المملكة العربية السعودية .
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للدعوة الإسلامية .
قسم الإعلام

الثبات الخلقي

بين الإعلام الإسلامي والإعلام المعاصر

رسالة أعدها :

احمد علي فره

لنيل درجة الماجستير

بإشراف

الدكتور : مصطفى حسين كمال

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وبعد ،

هذه رسالة فى الاعلام الاسلامى يرجع الفضل فيها لاستاذنا الشيخ زين العابدين الركابى الذى شرح لنا ونحن طلبة له أصول علم الاعلام الاسلامى والمنهج الفكرى لمن يريد أن يتناول هذا العلم بالبحث والدرس والتطبيق ولقد اتسع صدره لى فى تخطيط هذه الرسالة مبدئيا وألزمنى المنهج الواضح الذى يؤدى الى النتائج الصحيحة وجنبنى مزالق الفكر وأهاب بى ان اكون فى أمور العلم كالصيرفى الحاذق فى أمور المال يعرف الزيف من الصحيح ويسر لى. المعرفة وطرائق البحث .

أما الرسالة تنظيما وتبويبا ودراسة وعلما ومنطقا ومراجعا واشرافا وتوجيها فيرجع الفضل فى ذلك كله الى الاستاذ الدكتور مصطفى حسين كمال المشرف على الرسالة .

أرجو من الله ان اكون قد وفقت فى السير على دربهما وفى وعى بعض علمهما والالتزام بخالص نصحهما وراشد توجيههما وأدعو الله ان يجزيهما عنى خير الجزاء .

أحمد على فره

مقـــــدمة البحـــــــث

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتصال Communication كلمة مشتقه من كلمة Communis اللاتينية ومعناها الشيء المشترك. ويشتق منها الفعل Communicare بمعنى يذيع أو يشيع . والاتصال قد يكون شخصيا ويمتاز بتعديل أساليب الاقناع Interpersonal ويكون بين شخص وآخر أو بين شخص وعدة أشخاص. وقد يكون بين شخص وعدة جماعات متفرقة (Mass Communication)

والاتصال عملية نقل الاتجاهات والمعلومات والآراء وظاهرة الاتصال قديمة قدم الانسان وتستهدف المشاركة الوجدانيه والذهنية وتعتبر عنصرا أساسيا في الحياة البشرية. والمجتمع الانساني نشأ عن طريق الاتصال ومن أقوى وسائل التعذيب الحبس الانفرادي حيث يحس المحبوس أن حواسه معطلة وأن شخصيته توشك أن تتفكك تحت ضغط العزلة والقلق. وعلم الاتصال يثير اهتمام علماء التربية والاجتماع والاقتصاد .

ولقد اصبحت المعتقدات التي يقوم عليها النظام الاجتماعي في دولة ما(١) (Ideology) عاملا مهما في الاستقرار النفسي لافراد هذه الدوله لدرجة أن عدم الاقتناع بهذه الايدولوجية أو عدم قدرة وسائل الاعلام في التوضيح والاقناع يصيب بعض الافراد بالاختلال النفسي لدرجة أن الاطباء الصينيين يعالجون مرضاهم النفسيين على أساس ايدلوجي ويرفضون طريقة التحليل النفسي التي وضع أسسها (سيجموند فرويد) . ويرون أن سبب المرض في هذه الحالة راجع الى قصور الاعلام لتوضيح العتبة الفارقة بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة. ويعيدون تركيب شخصية الافراد بتوضيحهم لهم متى تنتهي المصلحة الشخصية ومتى تبدأ المصلحة العامة وكيف تلتحم المصلحتان معا في ظل النظام الاجتماعي فيعود الاتزان النفسي للمرضى بهذا النوع من المرض الناتج عن قصور الاعلام في أداء وظيفته.

وليس المقصود بالاتصال مجرد وجود كتل بشرية تعيش في مدينة يتجمعون ، متراصين عند ركوب السيارات أو القطارات أو عند دخول المسارح أو دور السينما أو غيرها من أماكن التجمع. ان مجرد التجاور لا يحقق الاتصال وانما الاتصال الذي نعنيه هو الاتصال الذي يستهدف المشاركه الوجدانيه والعقليه وممارسة

البناء الاقتصادى والسياسي والاجتماعي والالتحام الوجداني وتفريغ التوتر بالكلام والنقاش . فمشاركة الآخرين مباهج الحياة وآلامها هى التى تؤدى الى الانسجام وتحقق الاتصال ولذلك ينجح الدعاة اذا اندمجوا في الجماهير ولاحقوا أسئلتهم بالاجابات المقنعة وردوا على استفساراتهم بما لا يدع مجالا للغموض في تفكيرهم أو لوجود الثغرات في قوالب اقناعهم .

وعلم الاتصال يضم الاعلام والدعاية والاعلان والتعليم والعلاقات العامه. أى ينسحب على كل ما من شأنه تأثير الناس بعضهم على بعض عقليا أو عاطفيا أو ترفيهيا.

الاعـــــلام

يرى علماء الاتصال أن الاعلام تعبير موضوعى يقوم على الاخبار الصحيحة والحقائق الثابتة والبيانات الواضحة والارقام الدقيقة ويستهدف الاقناع والتبصير للوصول الى رأى عام عن طريق التفاعل الحر بحيث ينتج عن هذا الرأى العام قوة ضاغطة ملزمة تصنع القرارات وترسم السياسات ولا يصل الاعلام الى هذا الا بتوفير المصادر الصحيحة للمعلومات والحقائق التى تقدم للناس في القضايا التى تشغلهم والى مشاركة الناس بالتفاعل الديمقراطي عن طريق الشورى . لانه في حالة التعتيم الاعلامي لدولة ما يلجأ الشعب إلى إذاعات الأعداء وفي هذا خطر بالغ.

والرسالة الاعلامية تؤثر في تغيير رؤيتنا للاشياء والأحداث وتذيب الصراعات التى تواجه عملية التنمية وتقيم جسورا للتفاهم وطرقا للاقناع وتحول الوعى إلى قوة بناءة في الحياة الاجتماعية بشرط أن يكون هناك مناخ ملائم في النظام الاجتماعى . لتقبل هذه الرسالة وأن يقف التعليم والعقيدة والتنشئة الاجتماعية في مساندتها وأن يزاح التعتيم والتضليل والخداع والانحرافات من إعلام مضاد .

وتحاول الدول الان أن تعرف الرأى العام بطريقة صريحة كالاستفتاء أو بطريقة خفية كبث رجال المخابرات في القطارات والأتوبيسات وفي السينما وأماكن التجمع واستخدام أجهزة التصنت لمعرفة ما يقوله الناس. وهناك بعض رجال المخابرات يطرحون فكرة عادية المظهر بطريقة يظهر أنها طبيعية وعفو الخاطر في

الدعايـــــــــة

أما الدعاية فهى نوع من الاستهواء واستغلال نقط الضعف البشرى لحمـــل الافراد على رأى خاص بصرف النظر عن بعد هذا الرأى أو قربه من الحقيقـــــه.

والحرب النفسية نوع من الدعاية تستهدف السيطرة القائمة على القهر باستلال جذوة الايمان لتنتهى المقاومة ويبدأ الاستسلام. والدعاية تطمس الحقائق وتنحرف بالوعى وتشيع الخوف والرعب.

وفي كثير من الأحيان لا تحقق الدعاية التى تقوم على الحرب النفسية نجاحــا إذا وجد إعلام مضاد ينشر الوعى ويكشف القناع عن القوى العدوانية ويلعـب دورا معاكسا للنشاط الدعائي بدليل أن حكومة الولايات المتحدة حاولت كسب تأييـد الشعب الامريكي ضد شعب فيتنام فلم تنجح لان الشعب في الولايات المتحـــدة لعب دورا معاكسا لكل الانشطة الدعائية التى قامت بها الدعاية للحكومة الامريكية. واجهزة الاتصال الان لا تقاوم تخترق كل الحواجز ولا يقف دونها ودن النــــاس موانع تحول دون ابداء الرأى الاخر الذى يهدد ويكشف ممارسة الحرب النفسيـــة ولا يدع التمويه والزيف يستقر في حالة اقناع بأذهان الجماهير العريقة.

التعلـــــيم

أما التعليم فهو نقل التراث الثقافي من جيل لاخر بعد تنقيته وجعله ملائما للجيل الجديد واضافة الجديد الذى يساعد على التكيف للحياة المعاصرة ليصبح السلوك مستحبا ومنتميا لقيم الجماعة.

العلاقات العامـــة

أما العلاقات العامة فهى التفاعل المستمر المثمر بين الجماهير والمؤسسات عن طريق المناقشة والتفاهم وتقريب وجهات النظر وتقليل أسباب التوتر والخـلاف بهدف توعية الجماهير بالحقائق ورفع مستوى الخدمة في المؤسسات.

الاعـــــــلان

أما الإعلان فهو وسيلة اتصال جماهيرية للترويج للسلع .

ولكن هذا التقسيم تصنيف شكلي فالاعلام قد يتحول إلى دعاية بتزييف الحقائـــق ، والارقام والتعليم قد يتحول الى دعاية كما يوجد في مناهج الشيوعيين واليهـود . وقد نلجأ إلى شيء من الدعاية لإغراء الناس بسلوك معين يدعو إليه الدين أو لدفع الناس لاتباع التعاليم والإرشادات الصحية . والإعلان قد يتحول الـــى أداة تزييف الواقع إذا استغلها الاحتكاريون وأرباب المال وأصحاب المصانع والشركات في شراء الصحف ليحجبوا الافكار التى تناهضهم ويحولوا دونها ودون الظهـور وليقدموا عملاءهم إلى مراكز السلطة وصولجان الحكم في الحكومـــــــات .

أبحاث علم الاتصـــــال

أما أبحاث علم الاتصال فهى أبحاث متشابكة لا ينهض بها الاكوكبة من العلماء في حوزتهم نهر من المال أبحاث تدرس وسائل الاتصال وعمليات الاتصال ، ولذلك تستلزم هذه الابحاث دراسة في العلوم السلوكية والاجتماعية بالاضافة الى علـــم الهندسة الفيزيائية هذه الابحاث تتطلب تعاون علماء الاجتماع وعلم النفـــس والسياسة والانثروبولوجيا والاقتصاد والقائمون وعلماء الهندسة الفيزيائية دراسات تتطلب مالا وفيرا وجهدا متواصلا . وحسبنا أن نعلم (أن الولايات المتحـدة أنفقت ١ر٧ مليون دولار على أبحاث الاعلام عام ١٩٦٢م وكان لأبحاثها هـــدف أساسي هو خدمة سياستها الخارجية) (١) .

اذا كان الإعلام يقوم على تعاون مجموعة من العلوم كعلم الاقتصاد والإدارة وعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع - ولا يشكل علما قائما بذاته فلم تختلف نظريات الإعلام من دولة لإخرى ومن زمن لآخر فللإعلام أربع نظريات سائدة ذات أصـــل غربي هي :

(١) النظرية التسلطية وتقوم على السيطرة ومنطق العنف وتهدف الـــى جماعية السلطة وفرض نفوذ الحاكم والإ فوسائل الاعلام تغلق . ونشأت في انجلترا

في القرنين السادس عشر والسابع عشر .[1]

(٢) نظرية الحرية : الاعلام في هذه النظرية خضع للأهداف الرأسمالية فهو يسمح بالرأى الاخر ويتمشى مع حق الفرد في الربح والترقية ومراقبة أعمال الحكومة وظهرت في انجلترا في أوائل القرن الثامن عشر .[2]

(٣) نظرية المسئولية الاجتماعية : ظهرت في الولايات المتحدة في القرن العشرين وتهدف إلى الإعلام والترفيه والحصول على الربح ونصت على أن كل حرية يقابلها مسئولية ولكن سيطرة الاحتكارات والرأسمالية جرفت الاصلاح المنتظر في هذه النظرية والحقتها بنظرية الحرية في عهدها الاخير .

(٤) النظرية الشيوعية : وسائل الاعلام في قبضة الحكومة وترتبط بالحزب ارتباطا وثيقا وفق تخطيط شامل وأى نقد مصيره الإعدام أو النفي في سيبيريا .

السبب في اختلاف هذه النظريات الاعلامية أن الاعلام يعتمد على العلوم الاجتماعية . والعلوم الاجتماعية تختلف عن العلوم الطبيعية (كيمياء فيزياء) وعن العلوم الرياضية فالعلوم الطبيعية علوم عامة . أى عالم في أى مكان يستطيع أن يضيف إلى هذه العلوم جديدا إذا كان هذا الجديد نتيجة لبحث علمى صحيح والعالم كله في هذه الحالة يتقبل هذه الإضافة في هذا العلم ويستطيع أن يتحقق من هذه الإضافه بنفسه . وهذه العلوم تتحقق بالتجارب لأنها تتعامل مع الأشياء التى يمكن السيطرة عليها ومشاهدتها في أثناء التجارب التى تتم في ظروف محكومة دقيقة . والفروض في العلوم الطبيعية تستبعد إذا لم تكن معقولة أو تؤدى إلى نتائج صحيحة . والبرهان في هذه العلوم يصل إلى أعلى مستويات اليقين حيث يمكن للتعبير الرياضى أن يضبط العلاقات بين المتغيرات فالماء تصوغه بالمعادلة يد٢ أ - وتعتمد العلوم على المنهج الاستقرائي .

---

(١) د . أحمد بدر - الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية - ص ٣٣٨ - دار القلم .

(أما العلوم الرياضية فهى علوم عقلية بحتة تعتمد على المنهج الاستنباطي)
وموضوعات العلوم الرياضية مجردة والعقل هو الذى يبتكرها وليس من الضروري أن يكون لبعضها حقيقة ، فالرياضي يتخيل المربعات والدوائر فيعرفها ويدرس حقائقها . ويكفيه أن هذه الموضوعات ممكنة عقلا .

(وموضوعات الرياضيات تبدو مجردة عن كل ما هو حسي وكأنها تنبع من الفكر وحده ، فهى موضوعات لا تشير الى الاشياء حتى تحتاج مقدما في تكوينها واطراد نموها الى تجربة سابقة والى معرفة بها وانما هى تشير فحسب الى الجانب الذى (يقاس) و (يعد) منها . أعنى أنها تتناول جانب الزيادة والنقصان والمساواة في الاشياء وهذا هو (القياس) كما تتناول جانب (الترتيب) أو (النظام) في نتائج الاشياء وتسلسلها وهذا هو (العدد) .[(1)]

ان السبب في اختلاف نظريات الاعلام أن الإعلام علم اجتماعى ويعتمد على العلوم الاجتماعية . والعلوم الاجتماعية كالجغرافيا والتاريخ وعلم النفس والاقتصاد والمجتمع والانتروبولوجيا والإدارة والسياسة علوم منتمية كل فريق من الناس يفرض الفروض فيها . ويصدق هذه الفروض لانها تتبع هوى في نفسه ولأن التأكد تماما من صحة الفروض في هذه العلوم شيء يصعب تحقيقه والسبب في صعوبة التحقق من صحة هذه الفروض أن هذه العلوم تدور حول الانسان لا الآشياء .

فعلم النفس يدرس الإنسان في دوافعه ويستدل على ذلك بسلوكه ويبحث في مدى تأثير العوامل الطبيعية والادارية في هذا السلوك . وعلم الجغرافيا يدرس أثر البيئة الطبيعية في سلوك الانسان وفي تكوين مفاهيمه . صحيح في علم النفس عنصر ينتمى للعلوم الطبيعية وهو الجزء الذى يدرس قياس القوى الخاصة بالتركيب الفسيولوجي بعيدا عن الخوض في قوانين سلوك الانسان . وصحيح أيضا أن في علم الجغرافيا جزء ينتمى للعلوم الطبيعية وهو الذى يدرس الارض من ناحية الصخور والتربة والنبات بعيدا عن الأثر الذى تتركه مكونات البيئه الطبيعية في نفس الانسان .

وعلم التاريخ يدور حول دراسة الانسان في الماضي وأثر الحوادث عليه ومدى تحكمها فيه. وعلم الاجتماع يدور حول وضعية الإنسان في مجتمع ومدى تحكم هذه الوضعية في سلوكه ومعتقداته ودراسة قوانين التنظيم الاجتماعي وأهداف الجماعه وتكيفها . (وعلم الانثروبولوجيا يتناول مميزات الانسان الجسمية والعرقية وتوزيعه الجغرافي والتاريخي وتصنيف هذا الانسان وعلاقاته بالآخرين وتكامله الثقافي والاجتماعي)[1].

(ويتفرع من هذا العلم مجموعة من العلوم المتخصصة في دراسة الانسان كالانتروبولوجيا الفيزيقية والانتروبولوجيا الاجتماعية والانتروبولوجيا الثقافية)[2].

(وعلم الاقتصاد يبحث في سلوك الفرد المعيشي أى الدراسة العلمية لانتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات لتحقيق رفاهية الفرد . والنشاط الاقتصادى بطبيعته اجتماعى . وينشأ عن هذا النشاط اتصال بين الافراد ينتج عنه علاقات متشعبة)[3].

معنى ذلك أن العلوم الاجتماعية تتناول تفسير سلوك الانسان الظاهر وترده الى باطن مستتر لا سبيل إلى كشفه ولا سبيل إلى روءيته ولكن نصل اليه عن طريق السلوك الإنساني الذى نراه. والسلوك الانساني تصوغه عديد من الدوافع التى تتسرب من أيدينا كلما تلمسنا طرفا زاغ منا طرف آخر .

وبالرغم من أن أى دراسة تقوم على المنهج العلمي هى دراسة علمية يستوى في هذا الدراسة في العلوم الاجتماعية أو في العلوم الطبيعية الا أن الفرق يكمن في أن البرهان في العلوم الطبيعية يصل إلى أعلى مستويات اليقين لأن الفروض في العلوم الطبيعية تستبعد إذا لم توءد إلى نتائج صحيحة أما الفروض في العلوم الاجتماعية فتظل بدون تحقيق ويبنى على هذه الفروض التى لم تتحقق بناء شامخ من النتائج .

مثلا في اليونان القديمة اعتبر أرسطو الرق نظاما طبيعيا . فالله خلق

---

(١) د . فريد جبرائيل نجار - قاموس التربية وعلم النفس - ص ٣٤ - منشورات دائرة التربية الجامعة الامريكية - بيروت - ١٩٦٠ .

(٢) د . أحمد بدوى - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - ص ١٠٢ - مكتبة لبنان ،

بعض الناس كما يقول : خلقهم للحرية وخلق البعض الآخر للعبودية . وأهل اليونان خلقوا للسيادة كما يقول وغير اليونان خلقوا للعبودية . . . دفع ارسطوا هذا الغرض بدافع من الاستعلاء والتعصب وصدق الاغريق هذا الغرض وأقاموا على هذا الغرض نظاما للدولة .

ومفهوم علم الاجتماعى افترض أن الفضائل والرذائل ظواهر اجتماعية تختلف من جماعة أخرى ومن زمن لآخر والجماعة من الناس هى التى تقرر هذه الظاهرة أو تلك . وليست هناك قيم مطلقة كما يقرر هذا المفهوم لعلم الاجتماع ، وصدق الناس في أوروبا هذا المفهوم الفرضي واقتنعوا بأن الجماعة حرة وهى التى تقرر قيمها . وأضافوا مادامت الجماعة حرة فالنظام البرلماني يحقق هذه الحرية . فالأغلبية في النظام البرلمانى لها مطلق الحرية في تقرير وانفاذ أى أمر ولو كان شذوذا وخروجا عن المألوف . والحزب الشيوعى إذا كان يمثل أغلبية السكان فله أن يقرر مايشاء المهم الاغلبية لانفاذ القرار . وعلم السياسة يفرض الفروض ويقيم عليها صروحا شامخة من الثقافة تدفع طاقة هائلة من السلوك .

مثلا : يدعى جول هاريمان ١٩١٠ (١) - جمهورية فرنسا الثالثة لتوضيح التبرير الشائع للتوسع الإمبريالي وفقا للخطوط الداروينية الاجتماعية مصورا بذلك بأنه رسالة الحضارات الأُعلى (لابد لنا من تقبل كمبدأ أساسي من مبادئنا الحقيقية القائلة بوجود تدرج في الأُجناس والحضارات وأُننا ننتمى إلى الجنس الأُعلى والحضارة الأعلى ولكن لابد من أن ندرك أيضا أن تفوقنا تفوق أخلاقي بصفة خاصة وليس تفوقا اقتصاديا وعسكريا فحسب وهذه الحقيقة تشكل مبررنا الرئيسي لغزو الشعوب)

لقد افترض جول هاريمان :

(١) أنه ينتمى إلى الجنس الأُعلى .

(٢) أن تفوقه تفوق أخلاقي .

---

(١) د . مروان بحيرى - مجلة المستقبل العربي - بعنوان (الفكر الاستعمارى والاحياء الاسلامي ... العدد ... بتاريخ ١ / ٦ / ١٩٨٢م

واستنتج من هذا الفرض الذى لم يتحقق علميا أن من حق شعبه أن يغزو الشعوب وعلى الأثر تفجرت طاقة العدوان بالغزو متخذة من الفرض السابق تبريرا اقتنعت به القوات الغازية .

إذن الإعلام من العلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية علوم منتمية . كل دولة تفسر منها ما يتمشى مع طموحها وفلسفتها في الحياة . وليست المذاهب التى تعتنقها الدول قاصرة على تصنيفها كمذهب اقتصادى فحسب أو مذهب سياسي فحسب بل ان كل مذهب يقيم له قاعدة عريضة ودعوى واسعة في فهمه للوجود كله. ولا يمكن عزل أى نظام اجتماعي عن الفكر في الكون وغاية الوجود ومصير الانسان وعلاقة الانسان بالله وهل هناك وجود بعد الموت؟ ؟ وم نشأ هذا الكون المحس الذى نعيش فيه ومن الذى أنشأه وما القيم التى يجب أن تسود هذا الوجود ؟ كل نظام اجتماعى يجيب على هذه الاسئلة باجابات مختلفة . والإعلام محصلة لما يصدر عنه هذا المذهب الاجتماعى من اجابات وهذا هو سر اختلاف وجهات النظر في الاعلام .

يقول الاستاذ الدكتور عبد الواحد وافي(١) (ان الشيوعية مذهب له رأى نظرى في فهم الكون والمجتمع والطبقات وماوراء الطبيعة وله رأى علمي فيما ينبغى أن تكون عليه الحياة الفردية والحياة الاجتماعية في جميع ما يشتملان عليه من فروع وأوضاع ، ويخطىء من يظن أن الشيوعية مذهب مقصور على شئون الاقتصاد وتنظيم الطبقات ذلك أن أوضاعه الاقتصادية تقتضي أوضاعا عقائدية واجتماعية خاصة تنسق معها وتسايرها فيما تتجه إليه وهى في وضعها متعارضة تعارضا جذريا مع الاسلام) .

والمذهب الرأسمالي ليس مذهبا اقتصاديا فحسب فأنصاره يتصورون أن الكون آله(٢) حركها الله ثم تركها تدور دون تدخل ويبررون بهذا مذهب الحرية الاقتصادية الذى أدى إلى الاستغلال والربا والاحتكار والحروب.

---

(١) أنور الجندى - هزيمة الشيوعية - ص ٨٢ - الناشر - الاعتصام - مصر .

اذن الاعلام علم اجتماعي ويعتمد على العلوم الاجتماعية التي تدعو لانماط سلوكية خاصة لحياة الناس ولطريقة حكمهم وتعطي تصورا للكون والناس وما وراء الطبيعة مشتقا من فلسفة هذه العلوم الاجتماعية وتختلف هذه التصورات باختلاف المذاهب .

والاعلام ليس خطرا في حد ذاته ولكنه يحسب الهدف الذى يسعى إليه ويحسب المفهوم الفلسفي الذى يبرر هذا الهدف تستطيع الحكم له أو عليه . قد يساعد الإعلام على التنمية الاقتصادية وقد يعوقها . قد يشعل النار في القيم الثابتة وقد يجلوها قد يدعو للخير والحق والجمال وقد يطمس الحق والخير والجمال .

ولا يوجد إعلام ليس فيه قد .. وقد .. إلا الإعلام الإسلامي .

لا يوجد إعلام له خط واحد لا يحيد عنه إلا الإعلام الإسلامي .

لاننا نصوغ هذا الاعلام من هداية الله رب العالمين . نلتمسه من القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونلتمسه من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسل رحمة للعالمين .

فما الاعلام الاسلامي ؟!

الإعلام الإسلامي هو التعبير عن فكرة الإسلام عن الله والانسان والكون والحياة والدعوة إلى تطبيق منهج الإسلام على أساس هذا التصور . الإعلام الاسلامي لا يختلف عن الإعلام الغربي في الاعتماد على العلوم الاجتماعية وعلى الهندسة الفيزيائية الا أن مفاهيم العلوم الاجتماعية وتطبيقاتها في الإعلام الإسلامي تختلف عن مفاهيم العلوم الاجتماعية في الإعلام الغربي .

مثلا علم النفس في الإعلام الغربي بنى على أساس أن الإنسان حيوان متطور يمتاز بالذكاء وهذا الفرض بنى على أساس نظرية التطور . وينكر هذا العلم وجود أية قوى غيبية توجه الانسان وتقوده بحجة أن هذه القوى لا يمكن قياسها وإدراكها بالوسائل العلمية . أما في الإعلام الإسلامي فهو يترجم مفهومنا عن الإنسان أن الله خلقه من الطين خلقا مستقلا ونظرية التطور لم تصل بعد إلى اليقين العلمي .

ملائم مع الفكرة ككل . والعلماء صوبوا سهام النقد لهذه النظرية حتى لم يبق منها إلا الذماء (لقد أثبت العلم أخيرا أن كل نوع من الكائنات يختلف عن غيره لأن كل نوع أصلا مستقلا وبهذا يتعذر أن يكون نوع واحد أصلا لهذه الانواع كلها)[1].

ويختلف المفهوم الإسلامي لعلم النفس عن المفهوم الغربي يقول الدكتور أحمد فؤاد الأهواني[2] (ان القرآن الكريم حوى تفصيلا لمعظم الأصول النفسية التي يصدر عنها سلوك الانسان ابتداء من البحث في النفس ما هو وما أصلها وما مصيرها إلى كثير من أحوالها كما صور ألوانا من الخوالج النفسية والعواطف البشرية كالحقد والغيره والحسد والوسوسة) . والإسلام يدعونا إلى الإيمان بالغيب لأن الإيمان بالغيب أصل من أصول الاعتقاد الصحيح . قال تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .)[3] .

ويقول أحد المهتمين بهذا العلم[4] : (رأينا الطب ينتكس ويرتد إلى العلاج المادى بالمسكنات والمهدئات والمخدرات والمنومات وهو اعتراف بالعجز . لقد انتهى علم النفس الحديث إلى الفشل لأن منطلقاته معظمها خاطئ وكان أكبر أخطاء هذا العلم أنه علم وهو ليس علما) .

ومفهوم علم الاقتصاد في الإعلام الإسلامي يختلف عن مفهومه في الإعلام الاوروبي والأمريكي . فالمشكلة في الاقتصاد الرأسمالي وجود الندره من ناحية ووجود الفقراء من ناحية أخرى . ففي رأى أصحاب هذا المذهب أن الفقراء هم السبب في انخفاض الانتاج لكسلهم أو غبائهم وعليهم تبعة فقرهم . والمشكلة في الاقتصاد الشيوعي وجود الأغنياء ولذلك يثير أصحاب هذا المذهب الفقراء ضد الاغنياء -

---

(١) سانتلا ترجمة د . عصام الدين محمد على - الوجود الالهى - ص ١٣ - المقدمة - مؤسسة ومكتبة الخافقين .

(٢) د . أحمد فؤاد الاهوانى - مقدمة كتاب الدراسات النفسية عند المسلمين - للدكتور عبد الكريم عثمان عن كتاب النفس الانسانية تأليف ابراهيم محمد [illegible] ص ٣ - الطبعة الاولى عام ١٩٨١م الكتاب العربي السعودي .

لذلك يصادرون غريزة الملكية ويحاربون الحرية .

أما المشكلة في الإقتصاد الاسلامي فهي عدم الرشد في الانتاج بالقصور في استغلال الموارد - وفي شح الاغنياء بحبس المال عن الانتاج وعدم الرشد في التوزيع أو الاستهلاك (بالترف) . ومفهوم علم الاقتصاد في الاسلام أن المال مال الله فهو سبحانه وتعالى المالك الحق للمال . والإنسان مسئول عما بين يديه من مال أى ينفق هذا المال طبقا لمنهج الإسلام في المال .

ودعوى الندرة يرفضها الإسلام. قال تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) (١) .

أما دعوى الندرة فتجىء نتيجة لعدم الرشد في الانفاق كانشاء أجهزة الدمار وغزو الفضاء والحروب الباغية واتلاف المحاصيل للمحافظة على مستوى الأسعار.

ومفهوم علم السياسة في الإعلام الغربي يقوم على وسوسات ميكافيللي . والمهم المصلحة للدولة المنتصرة والنمو الاقتصادى لها ولو كان ذلك على حساب الشعوب الأخرى . ويتطلب ذلك فرض ثقافة الشعب المنتصر وتزييف ثقافة الشعب المغلوب.

ومفهوم علم السياسة في الإعلام الاسلامي يقوم على إزالة الطواغيت الذين يحولون دون نشر الدعوة الاسلامية في أممهم فاذا خلوا بيننا وبين الناس لندعوهم إلى دين الله فلا حرب بيننا وبينهم. واذا آمن الناس بدعوتنا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا أخوة في الله لا سيد ولا مسود . وحتى الشعوب التى لا تدين بدين الإسلام لها أن تعيش مع المسلمين بسلام ماداموا لا يكيدون للاسلام ولا يظلمون المسلمين . أما الفتح لنهب موارد الشعوب أو استعبادها فذلك أمر غير وارد في المفهوم السياسي للإعلام الإسلامي .

ومفهوم علم الاجتماع الذى يرى أن الدين ظاهرة اجتماعية وأن الناس تدرجوا من عبادة الطوطم إلى الحيوانات ومظاهر الطبيعة إلى التوحيد فذلك مفهوم يأباه الإعلام الاسلامي فما كان الله ليترك الناس يتخبطون في العقيدة حتى يصلوا الى

فكرة التوحيد بأنفسهم. فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل من عهد آدم داعين الناس إلى عبادة الله. كل رسول يقول اعبدوا الله مالكم من إله غيره. ولكن النـــــاس ينحرفون فيرسل الله رسولا يؤكد الإيمان بعبودية الناس لله رب العالمين حـــتى أرسل الله سيدنا محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين. قال تعالى : (وان من أمـــة الا خلا فيها نذير)[1]. وقال تعالى : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورســـلا لم نقصصهم عليك)[2]. قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلنا من قبلك منهم من قصصـنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)[3].

حتى أخناتون الذى يقولون عنه أنه أول من أرشد الى التوحيد كانت فكـــرة التوحيد سابقة عليه فقد كان سيدنا ابراهيم يدعو إلى التوحيد من قبل أن تقـــوم لأخناتون قائمة (ويقال ان أخناتون أخذ فكرة التوحيد مشوشة من أمه (تيتى) الـتى كانت تدين بدين سيدنا ابراهيم).

إذن المفاهيم التى يقوم عليها الإعلام الغربي تختلف عن المفاهيم التى يقوم عليها الإعلام الإسلامي . هنا نجد أسئلة تفرض نفسها :

(١) إذا كان الاعلام الاسلامي من توجيهات الله فلم نجده أخفت صوتا من الاعلام الغربي الرأسمالي أو الاشتراكي ؟

(٢) هل القرآن يعالج بناء المجتمع الانساني ؟

(٣) هل الانسان الذى خاطبه القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هـــو الإنسان في عصرنا وفي كل عصر ؟

(٤) هل القرآن لا ينسخ أى لا يتغير ؟

وللاجابة عن السؤال الاول يقول الباحث: الاعلام الاسلامي من توجيهـات الله فاذا وجدناه أخفت صوتا من الاعلام الغربي بجناحيه الرأسمالي والاشتراكي فذلك لأن أى اعلام لا يحقق نجاحا ولا يرتفع له صوت الا اذا ساندته العناصـــر الآتية :

---

(١) سورة فاطر آيه رقم : ٢٤ . (٢) سورة النساء آيه رقم : ١٦٤ .

ا ـ القوة الاجتماعية أى درجة الحضارة التي وصل اليها الشعب المرسل تجاه المجتمعات الاخرى .

ـ القوة السياسية التي تقنع أو تغرى أو تهدد وعندها بعد ذلك القوة العسكرية المتفوقة التي تضرب في حالة الاضطرار والضرورة .

جـ ـ التقدم العلمي وخاصة في وسائل الحرب التكنولوجية وفي الهندسة الفيزيائية .

د ـ ضخامة القوى البشرية التي تقوم بالاعلام وتفوقها الفكرى وتعدد الوسائل الإعلامية التي تستخدمها من إذاعة وتلفزة وصحافة وكتب .

هـ ـ قدرة هذه القوى البشرية بوسائلها المتعددة على الاقناع .

والإعلام الاسلامي لا يملك إلا سمو رسالته ومنطقيتها وصدقها .

أما السؤال الثاني : هل القرآن يعالج بناء المجتمع الانساني ؟

ويجيب الباحث : القرآن يعالج بناء المجتمعات الانسانية وينشىء للمسلم تصورا عاما للوجود ويحدد له الاطار الذى يسير خلاله .

في القرآن الكريم نظام شامل للحياة (في العبادات بأنواعها ١٤٠/ آية - في الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وارث ووصية وحجر ونحو ذلك ٧٠ ١/ آية . وفي المجموعة المدنية من بيع واجازة ورهن وشركة وتجارة ومداينة وغيرها نحو ٧٠/آية - وفي المجموعة الجنائية من عقوبات وتحقيق وجنايات نحو ٣٠/ آية - وفي القضاء والشهادة وما يتعلق بها نحو ٢٠/ آية - وفي الجهاد والسياسة وفي الاقتصاد آيات عديدة . وفي كل باب من هذه الأبواب أحاديث صحيحة بعضها يبين حكما أجمله القرآن وبعضها يشرح حكما سكت عنه القرآن أى أن القرآن والسنة منهاجان متكاملان شاملان لكل شئون الحياة).(١)

وفي نظام الحكم (لم يفصل القرآن الكريم نظاما لشكل الحكومة ولا لتنظيم سلطاتها ولا لاختيار أولى الحل والعقد فيها وانما اكتفى بالنص على الدعائم الثابتة التي ينبغى أن تعتمد عليها نظم كل حكومة عادلة ولا تختلف فيها أمة عن أمة ففي العدل في قوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

والشورى في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) والمساواة في قوله سبحانه (وانما المؤمنون أخوة) . أما ما عدا هذه الاسس من النظم التفصيلية فقد سكت عنها ليتسع لأولى الأمر أن يضعوا نظمهم ويشكلوا حكومتهم بما يلائم حالهم ويتفق ومصالحهم غير متجاوزين حدود العدل والشورى والمساواه. لأنما ينتهون إليه لا بد أن يكون في إطار القرآن والسنة.

وفي القانون الجنائي ـ وفي قانون المعاملات ـ وفي النظام المالي ـ أورد القرآن أصلا عاما لا تختلف فيه ـ وتحتكم الامم على أساسه ـ أما التفصيلات ـ أما الجزئيات فتترك لولاة الامور في كل أمة يفصلوها حسب أحوالها . ففلية الاسلام هو تحقيق الضرر عنهم. ولكل أمة أن تراعى مصالحها الخاصة وماتقتضيه أحوالها في اطار الإسلام .

وللاجابة عن السؤال الثالث : هل الإنسان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو الإنساني الحالي وهو الإنسان في كل زمن ومكان ؟

يجيب الباحث : الإنسان لم يتغير لأن القرآن يخاطب الانسان في شيء ثابت. يخاطبه في أصل فطرته التى لا تتغير فالانسان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو الانسان في كل وقت وحين من ناحية فطرته وأصل حقيقته التى خاطبه الله من خلالها .

أما الاجابة عن السؤال : هل القرآن لا ينسخ أى لا يتغير. يجيب الباحث: خاطب الله الإنسان في القرآن الكريم خطابا لا يتغير لأن القرآن الكريم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين . وتعهد الله بحفظ القرآن الكريم قال تعالى : (إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون) إذن الإعلام الإسلامي علم اجتماعى متميز عن الإعلام الأوروبي والأمريكي ويعتمد على تطبيق توجيهات من عند الله ونستطيع أن نكسب به رأيا عاما لان هذه التوجيهات أقامها الله على أساس من الفطرة التى لا تتغير والتى تساعد الداعية حين يقوم بالإعلام الإسلامي على التأثير والنجاح إذا ساندت هذا الاعلام القوى الضرورية التى تحدث

للمسلمين اعلام متميز : والإعلام الاسلامي في حاجة إلى الكاتب المسلم الذى يستخدم كل أسلحة التأثير من قصة ومقالة وقصيدة ومسرحية في الالتزام بمنهج شامل للحياة من خلال التصور الاسلامي .

الإعلام الاسلامي هو الذى يوضح فكرتنا عن بناء الدنيا على ركائز الدين .

الإعلام الاسلامي هو الذى يوضح فكرتنا عن المواءمة بين متطلبات التنمية ومقتضيات الدين .

الاعلام الاسلامي وظيفته نقد الحياة ومناهضة كل المعوقات التى تقف في سبيل النمو الروحي والمادى في اطار الاسلام .

الاعلام الاسلامي مهمته أن يعرفنا حكم الله فيما يحدث في الأرض .

بقي أن أجيب عن هذا السؤال : هل القرآن الذى نتلوه الآن هو الذى كان يتلوه محمد صلى الله عليه وسلم ، وسلم من التحريف والتزييف ؟ وهل السنة الشريفة شيء حقيقي ثابت وأنها مفصلة للكتاب وشارحة له والأصل الثاني للشريعة الإسلامية ؟ هل القرآن والسنة مصدران من مصادر المعرفة للمسلمين وبالتالي مصدران من مصادر الاعلام الاسلامي ؟

والاجابة عن هذه الاسئلة يضع لي أرضا ثابتة يقيم عليها الباحث بحثه لأن البحث يتعلق (بالثبات الخلقي) والقيم الاسلامية ليست من وضع الفلاسفة لأن المصدر الأساسي للفلسفة هو العقل ويستهدف الوصول إلى الحقيقة (ولقد بالغ الفلاسفة في شأن العقل وقدموه على الوحى حتى الفلاسفة المسلمين الذين حاولوا أن يوفقوا بين العقل والنقل انتهى بهم الامر إلى الاكتفاء بالعقل هاديا . ولم يصل هؤلاء ولا هؤلاء إلى شيء فعقل الانسان وحسه كلاهما محدود)[1]

(والقيم الإسلامية ليست من صنع الفلاسفة لأنها من الله . والمصدر الأساسي لهذه القيم هو الوحى . ويستهدف الوحى الطاعة المطلقة القائمة على التقوى)[2] .

---

(١) د . عمر الشيباني - مقدمة في الفلسفة الاسلامية - ص ١٤٧ - الطبعة الثانية ١٩٧٥ م - الدار العربية للكتاب ليبيا .

من اللازم أن يبين الباحث سلامة هذين المصدرين من التحريف والتزييف لأنه يعتمد على هذين المصدرين في تحديد (الخلق والثبات الخلقي). فالارتباط بين الثبات اليقيني للقرآن والسنة وبين الثبات الخلقي الذى استمده من هذين المصدرين شيء ضروري يدعو الباحث أن يفرد صفحات من بحثه للتدليل على ثبات القرآن والسنة وبالتالي على ثبات القيم الاسلامية التى يعتمدعليها الباحث كدليل في أعلى مستويات اليقين. قال تعالى : (ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه مايشاء انه على حليم)[١].

القرآن الكريم

قرآن / من الناحية اللغوية في الاصل مصدر على فعلان بالضم كالغفران والشكران تقول : قرأته وقراءة وقرآنا بمعنى واحد أى تلوته تلاوة. وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدرى[٢] في قوله تعالى : (إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه)[٣].

والقرآن الكريم كلام الله لفظا ومعنى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر ومن أسماء القرآن : الفرقان وفيه معنى التفرقة بين الحق والباطل. (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[٤].

الذكر (هذا ذكر مبارك أنزلناه)[٥].

التنزيل (تنزيل من رب العالمين)[٦].

---

(١) سورة الشورى آية رقم : ٥١.

(٢) د. عبدالمجيد دراز - النبأ العظيم - ص ١٢ - الطبعة الخامسة ١٩٨٠م ، دار القلم.

(٣) سورة القيامة : ١٧ - ١٨.

(٤) سورة الفرقان آية : ١

(٥) سورة الانبياء آيه رقم : ٥٠.

(٦) سورة الواقعة الآية رقم : ٨٠.

وذكر بعض العلماء أن تسميته قرآن من بين الكتب المنزلة لكونه جامعة لثمرة كتبه.(١)

والقرآن الكريم جاء بطريق الملك لم يأت الهاما أو عن طريق الرؤيا أو القاء في القلب ولكنه جاء في حالة اليقظة بواسطة جبريل. والقرآن الكريم نزل منجما لمسايرة الوقائع والأحداث وإعطاء حكم الله في هذه الأحداث وللتدرج في تربية المسلمين خلقيا وتشريعيا وليتيسر فهم القرآن وحفظه . قال تعالى: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيرا).(٢) كان القرآن الكريم ينزل طوال ثلاث وعشرين سنة وفيه حكم الله على ما يحدث (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين).(٣)

ولم يمت النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان القرآن مجموعا في صدور الصحابة فمن المهاجرين كان يحفظ القرآن : الخلفاء الاربعة - عبد الله بن مسعود - ابن عمر - ابن الزبير - عبد الله بن عباس - سالم مولى حذيفة .

ومن الانصار : أبو الدرداء - أبي بن كعب - زيد بن ثابت .

وكان للوحي كتاب: علي بن أبي طالب - زيد بن معاوية - أبي كعب .

وكان رسول الله يستدعي من حضر منهم ويكلفه بكتابة ما نزل ووضعه في مكانه. فالقرآن الكريم كان كله مكتوبا حين توفى الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان كل ما يكتب يوضع في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينسخ الكتاب لأنفسهم نسخه منه . ولكن المكتوب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا على رقاع وحجارة وعظام. وكتب القرآن مرة ثانية في عهد أبي بكر بعد مقتل كثير من الحفاظ إلا أن الكتابة في عهد أبي بكر تمتاز بالتنظيم كما أمر الرسول وفي صحف أي جمع القرآن في عهده بين دفتين . وظلت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم انتقلت الصحف إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ما تولى الخلافة. ثم بقيت الصحف عند حفصة بنت عمر بعد ما مات عمر. وكتب القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه لقطع الخلاف

---

(١) الشيخ عبد الستار سعيد في مذكرات لم تطبع (محاضراته في المعهد) ١٤٠٠هـ السنه الثانية بعنوان علوم القرآن.

بين شيوخ القراء. أراد سيدنا عثمان توحيد المصاحف في مصحف واحد إمـــام فأرسل إلى حفصة رضي الله عنهما لترسل اليه صحف القرآن الموجودة لديهـــا . ونسخوا منها مصحفا واحدا إماما واستنسخوا من هذا المصحف مصاحب أرسلت الى الدول الاسلامية.

ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بعد ما وعت القرآن صدور الرجـال ونقلت الصحابة القرآن والتابعون وتابع التابعين. ثم تتابعت الجماهير الاسلامية تنقله عبر القرون حتى وصل إلينا مثلما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلـــم وتعهد الله بحفظه للأجيال القادمة حتى يرث الله الارض ومن عليها .

عبر القرون السابقة والمؤمنون يتعبدون بالقرآن ويتقربون به الى الله. قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكـة وذكرهم الله فيمن عنده "(1) . والمؤمنون كانوا يتعبدون بالقرآن وكانوا يحافظـون عليه من أى حرف يزاد أو ينقص. وتعهد الله بحفظه والله خير حافظا . (إنا نحـن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

الاصلاح في رسم كتابة القــرآن

(المصحف الذى دون في عهد سيدنا عثمان بن عفان كان مكتوبا بالخــط الكوفي بلا نقط ولا شكل. وكان الاعتماد في قرآءته على التلقي من الحفظة. ولكن لما دخل في الإسلام كثير من الأمم غير العربية وخيف أن يقع بعض القارئين في الخطأ أو اللبس وضع أبو الأسود الدؤلي (٦٠٥م - ٦٨٨م) بناء على طلب أمير العـراق زياد بن أبية علامات لشكل أواخر الكلمات فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحــرف وعلامة الكسرة نقطة تحته وعلامة الضمة نقطة إلى جانبه وعلامة التنوين نقطتين. ثم عدل الخليل بن أحمد توفى (٧٨٦م) هذه العلامات فجعل علامة الفتحة ألفـــا مسطوحة فوق الحرف وعلامة الكسرة ياء تحته وعلامة الضمة واو فوقه .

ووضع نصر بن عاصم بناء على طلب أمير العراق الحجاج بن يوسف النقط لما ينقط من الحروف بنقطة أو اثنتين[١].

وفي القرن الثاني للهجرة أنشأ الناس في الامصار يجمعون قراءة واحد من مشاهير القراء.

في المدينة نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم توفي عام ١٦٩ هـ.

في مكة عبد الله بن كثير الدارى توفي عام ١٢٩ هـ.

في الشام عبد الله اليحصبى المعروف بأبى عامر توفى عام ١١٨ هـ.

في البصرة أبو عمر يعقوب بن اسحاق الحضرمي توفي عام ٢٠٥ هـ.

في الكوفة حمزة بن حبيب الزيات توفي عام ١٨٨ هـ.

عاصم بن أبى النجود توفي عام ١٢٧ هـ[٢].

السنّة

السنّة في اللغة الطريقة سواء كانت هذه الطريقة محمودة أو سيئة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)[٣].

والسنة في اصطلاح المحدثين : ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها. وهي بهذا ترادف الحديث عند البعض.

وفي اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول مثل : (الأعمال بالنيات)[٤]. أو فعل كأداء الصلوات أو تقرير (ما أقره الرسول من أمثال صدرت عن الصحابة). وفي اصطلاح الفقهاء ماثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن - من قول أو فعل أو تقرير يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي. والسنة تبين وتوضح وتفصل ما أنزل في القرآن وفي السنة من أحكام لم تأت في القرآن.

---

(١) عبد الوهاب خلاف - خلاصة التشريع الاسلامي - ص ٦٦ - دار الأنصار - القاهرة.
(٢) د. السيد أحمد خليل - دراسات في القرآن - ص ٩٧ - ط١، دار النهضة

فمثلا :

١ - خلع الثوب المخيط للمحرم في موسم الحج لم يرد صريحا في كتاب الله وإنما ورد في السنة .

٢ - قال تعالى (أحل الله البيع وحرم الربا) [١] ، فما الربا ؟ نجد الرسول يوضح ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا سواء يدا بيد فمن زاد أو ازداد فقد أربى) [٢].

٣ - لم ينص القرآن الكريم على تحريم كل ذى ناب من السباع ونصت عليه السنة .

٤ - لم ينص القرآن الكريم على تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ونصت على ذلك التحريم السنة .

٥ - لم يرد في القرآن النكاح المخالف للشرع كزواج المرأة بغير إذن وليها وورد في السنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل) [٣].

٦ - لم يبين القرآن اوقات الصلاة وأركانها وعدد ركعاتها وبينت السنة ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صلوا كما رأيتموني أصلى) [٤].

٧ - ولا نجد في القرآن مناسك الحج وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام المناسك لقوله (خذوا عني مناسككم) [٥].

٨ - وفي القرآن نجد أن الله سبحانه وتعالى فرض الزكاة ولكن لا نجد بيانا عما تجب فيه أو النصاب الذى تجب فيه وقد وضحت السنة ذلك .

٩ - وفي القرآن الكريم (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) [٦]. فيشرح الرسول ذلك قائلا (إن بيع الثمار قبل التثبت من صلاح التمر هو المقصود بأكل الاموال بالباطل فهذا البيع محرم وعلل الرسول

---

(١) سورة البقرة آية رقم : ٢٧٥ .
(٢) الامام مسلم في صحيحه.
(٣) سنن أبى داود .
(٤) أخرجه البخارى .

صلى الله عليه وسلم التحريم بقوله (أرأيت اذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه)[١].

١٠- قال تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)[٢]، اليد تطلق على الذراع والساعد والكف فكيف يكون القطع؟ . وقد بين الرسول الكريم الكيفية عندما (أتى سارق فقطع يده من مفصل الكف)[٣].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلتزم بالقرآن الكريم وان لم يجد اجتهد . وينزل الوحي مصححا اجتهاده لان الله سبحانه وتعالى لا يسمح لرسوله باجراء خاطئ. والسنة بهذا هى المصدر الثاني الذى يلي القرآن الكريم والله سبحانه وتعالى بعث محمدا إلى الناس .

١ - (يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا)[٤].

٢ - وأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما أراده الله فقال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[٥].

٣ - ووصف الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهداية (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما في السموات وما في الارض)[٦].

وبالتزام الوحي (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٧].

٥ - وألزم القرآن الكريم المؤمنين بطاعة الله ورسوله. قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون)[٨].

٦ - ثم أهاب القرآن بالمؤمنين ألا يختاروا حكما غير الحكم الذى يقضى به رسول الله. قال تعالى (ماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون

---

(١) رواه أنس بن مالك .
(٢) سورة المائدة آية رقم : ٣٨ .
(٣) أخرجه الدار قطني .
(٤) سورة الاحزاب آية رقم : ٤٥ ، ٤٦ .
(٥) سورة النحل آية رقم : ٤٤ .
(٦) سورة الشورى آية رقم : ٥٢ ، ٥٣ .

لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

٧ - وبين القرآن الكريم أن من يتبع منهجا غير منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن أو تحويل تعاليم القرآن إلى سلوك فلا يقبل عمله ولا يعتبر ملتزما بالقرآن قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)(٢) . وقال تعالى (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)(٣) فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي وهي التي تشرح المصدر الأول (القرآن الكريم) وتبينه وتوضحه وتفصله .

٨ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وماوجدنا فيه من حرام حرمناه الا وان ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله)(٤) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)(٥) .

٩ - وعلق الله ايمان المؤمنين بقبول حكم النبي في أمورهم . قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(٦) .

١٠ - والله سبحانه وتعالى يوجب اتباع السنة كما يوجب اتباع القرآن . قال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(٧) .

وعند ما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن سأله صلى الله عليه وسلم (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء قال أقضي بكتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم فان لم يكن في

---

(١) سورة الاحزاب آية رقم : ٣٦ .
(٢) سورة الحشر آية رقم : ٧ .
(٣) سورة النساء آية رقم : ٨ .
(٤) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٥ .
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك .

سنة رسول الله قال أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله)[1]. هذه هي السنة وأهميتها ومكانتها .

وكانت السنة في عهد الرسول حتى نهاية حكم سيدنا عثمان كالنهر الصافي المترقرق العذب. ثم بعد حكم سيدنا عثمان هبت على هذا النهر عاصفة هوجاء وألقت في النهر العذب الصافي حصباء وصخور وغيرت طبيعته الماء ثم عاد النهر صافيا رقراقا غنيا نميرا كما كان .

كيف حدث ذلك : ؟

ليس من طبيعة البحث أن أتعرض لذلك ولكن من يتناول السنة كمصدر للاعلام الإسلامي يتعين عليه أن يمر مرورا سريعا على الأحداث التى أثرت في السنة في الفترة العاصفة .

السنة في عهد الرسول حتى نهاية حكم سيدنا عثمان :

المسلمون كانوا في عهد الرسول يلتزمون بالسنة ولكنهم في بادىء الأمر لم يدونوا الأحاديث امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تكتبوا عني الا القرآن ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه)[2]. وكان هذا الأمر حتى لا يختلط القرآن بالسنة. ولكن لما حفظ المسلمون القرآن الكريم وتمكنوا من فهمه وتمثلوا به وعملوا بأحكامه وتحول القرآن الكريم في نفوسهم الى سلوك عند ذلك أباح الرسول لهم كتابة الحديث. فكان عبد الله بن عمرو يكتب عن رسول الله فغضب الصحابة وقالوا إنك تكتب عن رسول الله كل ما يقول الله ورسول الله قد يغضب فيقول ما لا يعتبر شرعا عاما . فرجع ابن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول عليه السلام (اكتب عنى فوالذى نفسي بيده ما خرج من فمى إلا الحق)[3].

واشتهرت صحيفة ابن عمرو بالصحيفة الصادقة كما كتبها ابن عمرو بخطه ولكن نقل إلينا الامام أحمد محتواها في مسنده ولهذه الصحيفة أهمية علمية عظيمة لأنها وثيقة

(١) رواه أحمد في مسنده .

تثبت كتابة الحديث النبوى الشريف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإذنه[1]

٢ - الصحيفة الصحيحة :

همام بن منبه أحد أعلام التابعين لقى الصحابي الجليل أبا هريرة وكتب عنه كثيرا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه في صحيفة أطلق عليها اسم الصحيفة الصحيحة لانه كتبها عن صحابي جليل خالط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة كما رواها ودونها همام عن أبى هريرة فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين).[2] وتزداد ثقتنا بصحيفة همام حينما نعلم أن الامام أحمد قد نقلها بتمامها في مسنده كما نقل الإمام البخارى عددا كثيرا من احاديثها في صحيحه).[3]

العاصفة

ثم حدثت فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه. كانت السنة صافية صادقة حتى هذا التاريخ ثم ظهر الوضع في السنة. يقول الدكتور مصطفى السباعى في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي : "كانت سنة أربعين من الهجرة هى الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية والخلافات الفقهية) .

ويقول الأستاذ أحمد أمين في فجر الإسلام (في الفقه لا تجد فرعا في الفقه مختلفا فيه إلا وحديث يؤيد هذا وحديث يؤيد ذلك. فالسنيون يرون أن الائمة من قريش ويروون أحاديث والخوارج يرون أن الائمة من كل المسلمين ويروون أحاديث والشيعة يرونها في علي وأولاده ويروون أحاديث .

والخصومة السياسية جوزت وضع أحاديث. فالشيعة وضعوا في مبدأ الامر أحاديث مختلفة في صاحبهم والبكرية قابلت ذلك بوضع أحاديث في صاحبهم

---

(١) محمد عجاج الخطيب ـ السنة قبل التدوين ص ٣٤٨ ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م مكتبة وهبه / مصر .

(٢) محمد عجاج الخطيب ـ السنة قبل التدوين ص ٣٥٥ / الطبعة الاولى

والاموبون وضعت لهم أحاديث والعباسيون وضعت لهم أحاديث وتدخل الخلفاء في وضع الحديث أو حذف أحاديث صحيحة. وضرب مثالا على ذلك قائلا كان الامام مالك يفتي الناس أنه لا يقع طلاق المكره ويحدث الناس بحديث (ليس على مستكره طلاق) ولم تكن هذه الفتوى تعجب العباسيين لان هذا يستتبع أن من بايع العباسيين مكرها فله أن يتحلل من بيعته فرووا أن المنصور نهى مالكا عن التحدث بهذا الحديث فلم يمتنع فضربه بالسياط.

وظهرت أحاديث موضوعة في فضائل الخلفاء ومناقب البلدان والايام وفي الزهد والدعاء وفضائل السور).

ولم يقتصر الاستاذ أحمد أمين على ذلك ولكنه سار في درب المستشرق جولد تسهير حتى نهايته فغمز خلق الامام ابن شهاب الزهرى فانتقض الدكتور مصطفى السباعي ورد على الاستاذ أحمد أمين والمستشرق جولد تسهير ردا مفحما قويا ورد على الاستاذ أبو رية وعاب عليه تشكيكه في الصحابي الجليل أبو هريرة في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا.

ثم بدأت العاصفة تهدأ. ورأى علماء المسلمين أن يعيدوا لنهر السنة عذوبته وصفاءه ويخلصوه مما علق به من أوشاب ورمل وحصى وحصباء وأشياء غريبة تنفر منها السنة. بذل علماء المسلمين جهودا عظيمة في تنقية السنة مما علق بها من أشواك فاختطوا منهجا علميا دقيقا سأعود اليه بعد قليل.

١ - في أوائل القرن الثانى الهجرى كتب عمر بن عبد العزيز الى أهل المدينة (انظروا حديث رسول الله فاكتبوه فاني خفت دروس العلم وذهاب أهله[(١)]. كما أمر الامام شهاب الزهرى (١٢٤ هـ) وغيره بجمع السنن[(٢)].

٢ - وفي النصف الاول من القرن الثاني الهجرى رتب الحديث على أبواب (وقد اختلف في أول من صنف وصوب فقيل عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج

---

(١) د. مصطفى السباعي / السنة ومكانتها (ص١٠٤) ط٢ / ١٩٧٨ / المكتب الاسلامي - دمشق.

(٢) محمد عجاج الخطيب - السنة قبل التدوين ص ٣٣٧ / الطبعة الاولى ١٩٦٣ /

البصرى المتوفى ١٥٠ هـ بمكة أو مالك بن أنس(٩٣هـ - ١٧٩هـ) أو محمد بن اسحاق (١٥١هـ) بالمدينة المنورة أو حماد ابن سلمة (١٦٧هـ) بالبصرة وسفيان الثورى (٩٧هـ - ١٦١هـ) بالكوفة. ومعمر بن راشد (٩٥هـ - ١٥٣هـ) باليمن. والامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى (٨٨هـ - ١٥٧هـ) بالشام وعبد الله بن المبارك (١١٨هـ - ١٨١هـ) بخراسان. وعبد الله بن وهب(١٢٥هـ - ١٩٧هـ) بمصر. وكان معظم هذه المصنفات تضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين كما يتجلى لنا هذا في موطأ الامام مالك بن أنس).[1]

٣ - ثم رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في مؤلفات خاصة فألفت المسانيد وهى كتب تضم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين تجمع فيها أحاديث كل صحابي ولو كانت في مواضيع مختلفة تحت اسم مسند فلان وتناقش هذه الاحاديث لمعرفة الصحيح والضعيف. (ويعتبر مسند الامام أحمد بن حنبل "١٦٤هـ - ٢٤١هـ" وهو من اتباع التابعين أو في تلك المسانيد).[2]

٤ - رأى بعض الائمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط وظهرت الكتب الستة في عصر أتباع التابعين واشتهرت بكتب الصحيح. وكان أول من صنف ذلك إلا -

١ - الامام أبو عبد الله محمد اسماعيل البخارى (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ)[3] الجامع الصحيح.

٢ - الامام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٤هـ - ٢٦١هـ).

٣ - الامام أبو داود سليمان بن الاشعث السجستانى (٢٠٢هـ - ٢٧٥ هـ). جمعه من وجهة نظر فقهية).

٤ - الامام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى (٢٧٩هـ) الجامع - رتبة على أبواب الفقه.

٥ - الامام أحمد بن شعيب الخراسانى النسائي (٢١٥هـ - ٣٠٢هـ) السنن رتبه على ابواب الفقه.

---

(١) محمد عجاج الخطيب - السنة قبل التدوين ص ٣٣٧/ الطبعة الاولى / ١٩٦٣

٦ - الامام ابن ماجه وهو عبد الله بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزوني (٢٠٧هـ - ٢٧٣هـ) السنن - رتبه على أبواب الفقه .

كيف أعاد علماء المسلمين لنهر السنه عذوبته وصفاءه ونقوه من الاوشاب والحصى والرمال

ذكرت أن الصحابة رضوان الله عليهم لا يرقى إليهم الشك في وضع أحاديث لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهم الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم مع رسول الله وكانوا يتحرجون من أقل وخز يخدش ايمانهم أو يسيء إلى النبي الكريم الذى وهبوه أرواحهم. فالحديث كان صافيا حتى مقتل سيدنا عثمان ثم حدث الهرج والمرج في الغلاف البشرى الإسلامي وشاعت الفتن وظهر الوضع في السنة الشريفة .

في أوائل القرن الثاني الهجرى بدأ المحدثون وقد هالهم ما حدث في وضع القواعد العلمية المنهجية لغربلة الحديث من الدخيل الذى شابه وبذلوا جهودا مشكورة موفقة .

(١) قال الامام الاوزعى (كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفه فما عرفوا منه أخذناه وما تركوا تركناه)[١].

(٢) جمعوا الحديث ودونوه وذكروا طرقا كثيرة لكل حديث يتمكن بها العلماء والدارسون من معرفة الصحيح من الضعيف .

(٣) كان التابعين يسألون عن الاسناد قال أبو العالية[٢]: (كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رحلنا اليهم فسمعناها من أفواههم) وكان التابعون وأتباعهم يتواصون بطلب الاسناد . قال هشام بن عروة[٣] (اذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا) . ويقول الاوزاعى[٤] (ماذهاب العلم الا ذهاب الاسناد) .

---

(١) الجرح والتعديل - ص ٢١ - ج ١ عن السنة قبل التدوين .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى .

ويقول عبد الله بن المبارك[(١)] (الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء) وقال (بيننا وبين القوم القوائم يعني الاسناد) .

(٤) كان المسلمون يحاربون الكذابين ويمنعونهم من التحديث ويستعدون عليهم السلطان قال الشافعي (١٥٠هـ - ٢٤٠هـ) (لولا شعبة ماعرف الحديث في العراق . كان يجيء الرجل فيقول لا تحدث والا استعديت عليك السلطان[(٢)] ، وكان الامام شعبان الثوري (٧٧هـ - ١٦١هـ) شديدا على الكذابين) .

(٥) درس علماء المسلمين حياة الرواة وتاريخهم وتتبعوهم في مختلف حياتهم وعرفوا جميع أحوالهم وكانوا يبحثون لعل المحدث روى عن شيخ لم يلقه أو عن شيخ في بلد لم يرحل إليه قط أو عن شيخ ولد بعد وفاته أو توفى هذا الشيخ والراوى صغير لم يدركه . وبحثوا في المتن من حيث ركاكة اللفظ أو فساد المعنى أو مناقضة نص الكتاب أو مناقضة السنة المتواترة أو الاجماع القطعي أو مخالفة الحقائق التاريخية .)[(٣)] .

(٦) تجمعت هذه الجهود العلمية وكونت علم الجرح والتعديل وألف فيه الامام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ - ٢٤١هـ) وهذا وضع أسسه كبار الصحابه والتابعين وأتباعهم مسترشدين بقول الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)[(٤)] .

(٧) في القرن الرابع الهجرى أفرد العلماء علم المصطلح بالتصنيف . وعلم المصطلح كانا نتيجة لخبرات ثرة في دراسة الحديث وأهله من علماء المسلمين الذين هالهم الوضع في الحديث وعزموا على تنقية الحديث مما شابه واختلط به من الاكاذيب ونجحوا في ذلك وأزالوا الكلف عن وجه السنة المشرق ما أمكنهم ذلك . وهذا العلم يبحث أحوال السنة والمتن ومن حيث القبول والرد وتمييز الصحيح من السقيم من الأحاديث وكان أول من أفرده بالتصنيف القاضي أبومحمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى المتوفي سنة ٣٦٠هـ[(٥)] .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) عجاج الخطيب ـ السنه قبل التدوين ، ص٣٢٣/ط١ / ١٩٦٣ / مكتبة وهبه القاهره .

وكثرت المصنفات في علم المصطلح . وبذلك أصبح الحديث صافيا خاليا من التحريف ماوسع هؤلاء العلماء الاكابر من جهد .

الاعلام الاسلامي وضرورتـــــه

الاعلام الاسلامي هو الدعوة إلى الله بمنهج الله تقربا الى الله ودفعـــا للفساد عن أنفسنا وعن خلق الله. والدعوة إلى الله في كل تصرف وفي كل عمل وفـي كل فرع من فروع الحياة وجوانبها . اننا أمة عقيدة ودعوة تخرج الناس من الظلمات إلى النور. هذا قدرنا وواجبنا كمسلمين. وجهاز اعلامنا لا بد أن يرفع الصوت عاليا بالدعوة إلى الله الواحد الأحد وبهداية الناس إلى شريعة الحق سبحانه وتعالـى وشرح حكم الله فيما يجرى على الارض من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية وذلك :

أولا : حتى نبتعد عن غضب الله. قال تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا مـــن البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهـــم اللاعنون) .(١)

نزلت هذه الآية في اليهود الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وهـــو مكتوب عندهم في التوراة. ويبين الله أن جزاءهم البعد عن رحمة الله والدعـــاء عليهم من الملائكة والمؤمنين باللعنـــة) .(٢) وهى دعوة مقبولة عند الله ومستجابـــة وكذلك أمثال اليهود من المسلمين الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى لقاء غرض من أغراض الدنيا كالتقرب من السلطان أو الحصول على منصب أو مـــال يسرى عليهم ما يسرى على اليهود من البعد عن رحمة الله والدعاء عليهم مــــن الملائكة والمؤمنين باللعنة وهذه الدعوة مستجابة .

قال تعالى(إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عـــذاب أليم) .(٣) أى إن الذين يحلفون بالله كاذبين لينالوا شيئا من عرض الدنيا لقـــاء كتمانهم ماعهد هم الله عليه من إعلان الهدى بغضب الله عليهم ولا يرحمهـــــم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم : ١٥٩ .

(٢) تفسير الجلالين ص ٣٢ / مكتبة الملاح / دمشق .

(٣) سورة آل عمران آية رقم : ٧٧ .

قال تعالى " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (١) فى هذه الآية تأكيد على أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب وقيل إن منكم ليست للتبعيض ولكن لبيان الجنس والمعنى كونوا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر (٢) واللام فى لفظه (ولتكن) لام الامر ولذا فالأمة الاسلامية مسئولة كلها عن إعلامها حتى يمكن أن تنقذ رقبتها من النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ونصيحة لقمان لابنهى " يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور " (٣)

هذه الآية توضح مايصيب أهل العقيدة من مصائب وضرورة الصبر على هذه المصائب لأن الصبر فى هذه الحالة يعتبر من مكارم الأخلاق التى يعزم عليها أهل الحزم والجد (٤)

كل مسلم مكلف بالإعلام الإسلامى أى بالدعوة إلى الله وقد يعترض معترض يقول الله سبحانه وتعالى " ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم " (٥)

إن هذه الآية تقول لايضركم من ضل إذا اهتديتم والاهتداء إنما يتم كما يقول ابن تيمية بأداء الواجب فاذا قام المسلم بمايجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يضره ضلال الضلال " (٦)

كل مسلم مكلف بالدعوة إلى الله على قدر استطاعته فيجب على العالم مالا يجب على الجاهل ويجب على صاحب السلطان مالا يجب على غيره .

---

(١) آل عمران آية رقم ١٠٤ . (٢) محمد بن جزى / التسهيل لعلوم التنزيل / ص ١١٥ دار الكتاب العربى / لبنان / الطبعة ٢ / ١٩٧٣ (٣) سورة لقمان آية رقم ١٧

(٤) محمد بن أحمد بن جزى / التسهيل لعلوم التنزيل / ص ١٢٧ / دار الكتاب العر

قال تعالى " الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور " (١) فهذه توضح مايجب على صاحب السلطان يقول ابن تيمية " إنما نصب الإمام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا مقصود الولاية (٢) والجاهل يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيما هو ظاهر كأداء الصلاة والصوم وأن ينهى عن المنكر فيما لا يخفى كالسرقة والزنا والعالم يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيما هو ظاهر وفيما هو خفى

فالاعلام الاسلامى واجب وفرض عين على كل مسلم بحسب استطاعته تقربا إلى الله

وقال تعالى " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا " (٣) فى هذه الآية توبيخ للمسلمين الذين يقعد بهم الخوف على أموالهم وأنفسهم عن الجهر بدينهم فى أرضهم أو عن الهجرة إلى أرض أخرى ليتمكنوا من إقامة دينهم والدعوة إليه .

وقال تعالى " المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف" (٤)

ثم قال سبحانه وتعالى فى نفس السورة " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض — يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (٥)

يقول القرطبى فى تفسيره لهذه الآية " جعل الله تعالى الامر بالمعروف والنهى فرقا بين المؤمنين والمنافقين فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ورأسها الدعاء الى الاسلام" (٦)

---

(١) الحج ٤١ (٢) ابن تيمية / السياسة الشرعية ص ٢٧ / طبعة ١ / دار المعرفة . (٣) النساء آية رقم ٩٧ (٤) سورة التوبة آية رقم ٦٧ (٥) سورة التوبة آية رقم ٧١ (٦) تفسير القرطبى ص ٤٧ جزء ٤ / الطبعة الثالثة عام ١٩٦٧ طبعة دار الكتب المصرية / دار الكتاب العربى

ثانيا : الاعلام الاسلامى ينقذ نا من العقاب فى الد نيا :

قال تعالى" فلولا كا ن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض إلا قليلا ممن أنجينا منهم" (١) وتفسير هذه الآية ــ فهلا كا ن من الامم الماضية أصحاب د ين وفضل ينهون عن الفساد فى الارض لقد أنجينا من نهى عن الفساد (٢) وهلك من فسد ولو كانت الأمة أطاعت من يدفع الفساد عنها لنجت.

قال تعالى " فلما نسوا ماذ كروا به أنجينا الذ ين ينهون عن السوء وأخذ نا الذ ين ظلموا بعذ اب بئيس بما كانوا يفسقون" (٣) وتفسير هذه الآية فلما تركوا ماوعظوا به أنجينا الذ ين ينهون عن السوء وأخذ نا الذ ين اعتد وا بعذ اب أليم " (٤)

فالذ ين نجوا من العذ اب هم الد اعون إلى الخير الذ ين يدفعون الضلالة بالهدى وقال تعالى " واتقوا فتنة لاتصيبن الذ ين ظلموا منكم خاصة واعلموا أ ن الله شد يد العقاب" (٥) ومعنى هذه الآية اتقوا فتنة إن أصابتكم لاتصيبن الذ ين ظلموا منكم خاصة بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بانكار موجبها من المنكر (٦)

فالتراخى فى تغيير المنكر يعم البلاء فإ ن رشاش الفساد يصيب غير المفسد ين بالقهر والغضب والإبادة . فالنار لاتراعى تأكل الأخضر واليابس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إ ن الناس اذ ا رأوا الظالم ولم يأخذ وا على يديه أوشك أ ن يعمهم الله بعذ اب من عنده وسألت زينب بن جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذ ا كثر الخبث" (٧)

---

(١) هود ١١٦ (٢) تفسير الجلالين ص ٣٠٧/ مكتبة الملاح دمشق .
(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٦٥ (٤) تفسير الجلالين ص ٢٢٧/ مكتبة الملاح دمشق (٥) سورة الانفال آية رقم ٢٥ (٦) تفسير الجلالين ص ٢٣٧ /

وقال تعالى " فمن اتبع هواي فلايضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى "(١) وتفسير هذه الآية فمن اتبع هداى فلايضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ومن يعرض فان له معيشة ضيقة فى الدنيا فان الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وان كان واسع الحال وقد قال بعض المتصوفين لايعرض أحد عن ذكر اللة الا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه (٢)

ضرورة الاعلام الاسلامى

ثالثا : الاعلام المضاد لدفع شبهات الكافرين:

من اللحظة الأولى التى بزغ فيها نور الاسلام وحتى الآن وأهل الكتاب وبخاصة اليهود يحاولون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . قال تعالى " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق " (٣).

(١) قال اليهود للمسلمين إن كان التوجه إلى بيت المقدس باطلا فقد ضاعت صلاتكم طوال هذه الفترة وإن كان صحيحا ففيم التحول عنه إلى الكعبة فنزل القرآن يبين لهم أن نسخ بعض الأوامر والآيات يتبع حكمة الله الذى يختار الأحسن لعباده (٤) " ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير " (٥) وقال تعالى " سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " (٦)

الأماكن لافضل لها فى ذاتها إنما يفضلها ويخصصها اختيار الله لها وأمره

(١) طه ١٢٤ (٢) الامام محمد بن أحمد بن جزى / التسهيل لعلوم التنزيل /

بالتوجه اليها وقال تعالى " وماكان الله ليضيع إيمانكم " (١) أى وماكان الله ليضيع صلاتكم التى صليتموها لله متوجهين إلى بيت المقدس.

(٣) كان اليهود يتظاهرون بالاسلام نفاقا ثم يخرجون عن الإسلام بدعوى مختلفة ليفتنوا المسلمين ويزعزعوا يقينهم وليدسوا على الرسول صلى الله عليه وسلم مفتريات وأكاذيب من هؤلاء المنافقين زيد بن اللصيت الذى قال عندما ضلت ناقة الرسول " يزعم محمد أنه يأتيه الخبر من السماء وهو لايدرى أين ناقته " فبلغت كلمته الخبيثة هذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال معلنا فى القوم " إن قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لايدرى أين ناقته وإنى والله ماأعلم إلا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب وقد حبستها شجرة بزمامها " فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢)

قال تعالى " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على محمد وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون" (٣) وقال تعالى " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون" (٤)

وسمى الله سبحانه وتعالى اليهود شياطين إشارة الى دسائسهم ووسوستهم ومحاولتهم تصديع صفوف المسلمين.

---

(١) البقرة ١٤٣ (٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ـ مكايد يهودية عبر التاريخ ص ٦٥ / الطبعة الأولى عام ١٩٧٤ / دار القلم / دمشق / بيروت.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٢ (٤) سورة البقرة آية رقم ١٤ ، ١٥ .

(٤) دخل أبو بكر رضى الله عنه بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيرين قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له " فنحاص" وكان من علمائهم ومن أحبار بنى قينقاع فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يافنحاص اتق الله واسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل فأخذ فنحاص يوجه عبارات الهزء والسخرية ببعض ما أنزل الله فى القرآن قال فنحاص لأبى بكر" والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وانه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وانا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهانا عن الربا ويعطيناه ولوكان غنيا ما أعطانا الربا " قال فنحاص كلامه هذا على سبيل الهزء والسخرية بقوله تعالى " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون" (١) فالله تبارك وتعالى يحض المؤمنين على الصدقة والإنفاق فى السبل الخيرة التى يرضاها فيجعله " فنحاص" اليهودى تضرعا من الله لعباده.

ولیس هذا التلاعب الخبيث الحقير بمعانى هذا النص القرآنى العظيم ابن وقته ولكنها قضية متدارسة مدبرة فى اجتماعات أحبار اليهود (٢) وهم يتحينون الفرص حتى يقذفوها على المسلمين بخبث ولؤم لقد غضب أبو بكر وضرب "فنحاص" وذهب فنحاص يشكو إلى رسول الله فلما ووجه فنحاص بأبى بكر أنكر فنحاص أنه قال شيئا فنزل قول الله " لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق" (٣)

---

(١) البقرة ٢٤٥ (٢) عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى - مكائد يهودية

وأنزل الله مخاطبا المؤمنين عامة فى معرض غضب أبى بكر من فنحاص " ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور " (١)

(٥) سلط اليهود شاعرين من شعرائهم وهما أبو عنك وكعب بن الأشرف فهجوا النبى صلى الله عليه وسلم وحرضا على قتاله والشعر عند العرب أهم وسيلة اعلامية فقتلهما المؤمنون " (٢)

(٦) واستمرت فتن اليهود فهذا " عبد الله بن سبأ " اليهودى ينفذ مخططات اليهود فى عهد الخليفة عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما أخذ هذا اليهودى ينفذ المخطط الجديد وهو عبارة عن : —

أ — التبشير برجعه محمد صلى الله عليه وسلم ويقول " عجب من يزعم أن عيسى سيرجع ويكذب بأن محمدا سيرجع وقد قال الله تعالى " إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " (٣) والمقصود بالمعاد مكة وكان الرسول قد اشتاقها (٤) — المعاد الموضع الذى يعاد إليه فقيل يعنى مكة والآية نزلت حين الهجرة ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها وقيل يعنى الآخرة فمعناها إعلام بالحشر " (٥) ولكن أحبار اليهود يلعبون بالنصوص الكريمة كما يحبون طبقا لمؤامراتهم وخططهم .

---

(١) آل عمران ١٨٦ (٢) عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى — مكائد يهودية ع التاريخ — ص ١٠٩ (٣) سورة القصص آية رقم ٨٥ (٤) تفسير الجلالين ص

ب ــ وقال أيضا " إن لكل نبى وصيا وعلى وصى لمحمد ومحمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على حق وصيه وتناول أمر الامة "

والتف حول هذا المنافق الذى كان يتظاهر بالتقوى والصلاح ليخدع السذج ويحكم تنفيذ مخططات الأحبار . التف حوله لفيف الفاسدين والحاقدين وتحولت الفتنة السبيئة اليهودية إلى ثورة مسلحة على سيدنا عثمان وهم الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه بقتل عبد الله بن سبأ ولكن ابن عباس أشار عليه بعدم قتله مادام تاب عن أراجيفه وكفره . فلما قتل على رضى الله عنه أخذ ابن سبأ يبث فى الذين تأثروا بضلالته أن عليا لم يقتل وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه وقال بأن عليا يجرى فى السحاب وأن الرعد صوته وأن البرق سوطه حتى صار السبئى إذا سمع صوت الرعد قال عليك السلام يا أمير المؤمنين (١)

ولو ذكرنا السلسلة الطويلة لمكائد اليهود التى لم تنقطع حتى يومنا هذا لطال بنا الوقت وحسبنا الاشارات لم تكد تخبو جذوة فتنة عبد الله بن سبأ حتى انعقد مجلس الأحبار وألف تمثيلية أخرى واختار بطلها " ميمون بن القداح " ثم تولدت " الباطنية " ثم "الماسونية" ثم الشيوعية والصهيونية ثم تقويض الخلافة الاسلامية ثم الاستيلاء على كل وسائل الإعلام فى العالم ثم الاستيلاء على فلسطين.

واليهود فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لا يختلفون عن اليهود الحاليين فى حقدهم على الإسلام وإشاعة الفكر المناهض للدعوة الاسلامية .

---

(١) عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى ــ مكائد يهودية عبر التاريخ / ص ١٦٩ / الطبعة الأولى / ١٩٧٤ / دار القلم / بيروت / لبنان .

ان شخصية (عبد الله بن سبأ) أو(ميمون القداح) لا تختلف عن شخصية (كريم بلقاسم
يقول مالك بن نبي (ان كريم بلقاسم وصفته احدى الصحف العربية يوما بأنه عملاق
الثورة الجزائرية وأضفت عليه الصحافة الفرنسية هالة كبيرة •• وبعد استقلال الجزائر
أسس حركة للمعارضة تحت اشراف سيده وصاحب نعمته (برنارد لوكاش) رئيس جمعية
(ليكا) أى الاتحاد الدولى لمناصرة اليهود وهو يهودى صهيونى وقد أصبح (لوكاش) هذ
فيما بعد رئيسا لجمعية حقوق الانسان (١) ••
كيف دخل هذا المنافق صفوف أبطال الجزائر ؟؟

مثل آخر :

السيدة (جميلة بو حيرد) هذه الفتاة التى ظهرت فجأة على مسرح الأحداث وأصبحت بطلة جزائرية ترمز لكفاح المرأة المسلمة • وكان لابد للانسان الجزائرى الأصيل أن يندهش من مثل هذه (البطولات المفاجئة) وتمضى الأيام ويثبت أن جميلة بو حيرد مدسوس على الكفاح الجزائرى وأخيرا انتهت بها الحياة الى الزواج من المحامى الفرنسى (جاك جيرفاس) وهو من المشكوك فى أصله وفى نزعته وهويته السياسية (١) ••

هذان المثلان يؤكدان لدينا خطورة المعركة الاعلامية التى تحاك ضدنا _ ان الأفكار المضادة تنبع من جمعياتنا ومؤتمراتنا وأحزابنا ومنظماتنا على اعتبار أنها صادرة منا والحقيقة أن أعداءنا يدسون علينا من يتظاهر بأنه منا ويسلطون عليه الأضواء الاعلامية الباهرة حتى يصبح من أبطالنا وعن طريقه ينشرون أراجيفهم وسمومهم ويقوضون بيوت من الداخل •

هل هناك أشرف من المنظمات الفلسطينية ؟ انهم ولاشك أبطال الأمة العربية والدليل الحى على حيوية وسمو هذه الأمة • ولكن الانسان يحار فى الحكم عليهم فى بعض الأحيان هذه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موجودة فعلا ولكنها منقسمة على نفسها شطر ماركسيين أحدهما يتبع المدرسة الماركسية الصينية والآخر يتبع المدرسة الماركسية الكوبية • وكلا الجناحين تابع لحركة القوميين العرب التى أعلنت اعتناقها للماركسية بعد نكسة حزيران • ثم انشطرت مذهبيا فمال منها د• (جورج حبش) وأتباعه الى المذهب الـ ومال الاستاذ محسن ابراهيم الى المذهب الكاستروى على أن الفريقين يلتقيان عند نقطة الحل الطبقى لقضية فلسطين • والحل الطبقى بطبيعته الأيدولوجية قائم على افتراض الا والاتحاد بين العمال العرب والفلسطينيين من ناحية والعمال اليهود الاسرائيليين من ناحية أخرى •

---

(١) محمود الناكوع _ مواقف فكرية _ نشر فى صحيفة الثورة ١٨/ ربيع ثان عام ١٣٩٠هـ ليبيا

ان هذه الاتجاهات نتيجة لمخطط اعلامي رهيب الهدف منه القضاء على البقية الباقي من المسلمين (١) وتدمير العقيدة الاسلامية . بل ان لطفي الخولي الشيوعي المصري اقترح في مجلة الطليعة (ابريل ١٩٦٩) مشروع جبهة عربية يهودية تتبلور في تنظيم حركي يعبئ قوى كل العرب واليهود المعادين للامبريالية والصهيونية . وهذه منظمة التحرير توافق وتبارك اعادة كارثة فلسطين في أفغانستان .

هل لأن روسيا لها ثقل دولي فهم يمالئونها حتى تعود فلسطين اليهم ثم ينفضوا عن روسيا؟ هل يعتقدون بالعلمانية التي يدعونها؟ هل اندس اليهود في صفوف الحركات العربية واتخذوا منها أبواقا لنشر سمومهم بهدف تمييع هذه الحركات وكشف خفاياها وأسرارها وتدمير مخططاتها وتحويل مسار جهادها الى طريق مرسوم على الماء وتذويب بأسهم في خامض المتاهات الفكرية والفلسفات اليهودية .؟

هذه الحركات التحريرية العربية العظيمة لماذا تسمح بهذا العبث ؟ لماذا تتركنا نحار في اتجاهاتها مع ان هذه الحيرة أول خطوة على طريق الاستخفاف بكل شريف وعظيم في جهادنا . لماذا لايتخذون الجزائر مثلا . عندما احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ م مدت يدها بالمواطنة الفرنسية للجزائريين . ومعنى المواطنة الفرنسية الموافقة على ازالة معالم الثقافة العربية . ولما كان الدين الاسلامي أصعب من أن تزيله فرنسا فانهم فطلوا دينا اسلاميا فرنسيا (خلي من المعنى ولكن بفرقع) .وفي نظير الموافقة على اجهاض الشخصية العربية وتمييع الدين الاسلامي مدت فرنسا يدها ببطاقة المواطنة الفرنسية واعتبرت من قبل ذلك مواطنا من الدرجة الأولى .

أما الجزائري الذي رفض هذا الاسلام المصنوع في فرنسا وظل على دينه وعقيدته وآثر الاسلام الحقيقي ورفض زخرفة (الديكور) العربي المصنوع في فرنسا فانه أصبح مواطنا من الدرجة الثانية . فكان الاسلام لهذا الجزائري جنسا ووطنا ودينا . ومن منطق الاسلام وحده قامت الثورة الجزائرية . هؤلاء الجزائريون الذين رفضوا الاسلام الفرنسي وقنعوا بالاسلام الحقيقي وطنا وعقيدة هم الذين قاموا أساسا بالثورة الجزائرية وقاوموا الاحتلال العسكري السياسي وانتصروا وانضمت اليهم بعد ما لاحت تباشير النصر الأراجوزات العربية الذين ظلموا أنفسهم بوضعها في قوالب فرنسية (فخطط الانطلاق كان من الاسلام) (٢) .

أما المنظمات العربية التي تتخذ من الأصنام الشيوعية آلهة وتلتقي بالصهيونية العالمية في وفاق فنحن لا نأمنها حتى ولو سلمنا بأنهم مخلصون فكريا ولم يخالجنا شك في أنهم عملاء على الأقل لتتشوش أذهاننا أنهم مخدوعون ومن هنا كان لابد لنا من اعلام اسلامي يدفع عنا فساد اليهود والصليبيين والملاحدة حتى لا تتعرض عقائدنا للتشويه والتحريف ولنحافظ على الذات الاسلامية من العدوان ونحافظ على وحدتنا من التدمير .

---

(١) محمود الشاكر ـ مواقف فكرية / ص ٣٩/ط١/١٩٧١/دار التراث العربي/ليبيا

اليهود يخشون من استيقاظ مفهوم الجهاد فى قلوب المسلمين وأنشأوا البابية والبهائية والقاديانية لتشويه معنى الجهاد فى الاسلام . المعركة الاعلامية على أشدها ويخططون لها فى أروقة الكنائس وصوامع الرهبان وأقبية الأحبار ويجندون لاشعالها دهاقين الساسة وعتاة العسكريين بعد عرضها على وزارة المستعمرات أو الكنيست اليهودى . ونحن نعتمد على الجهود الفردية .

وفى موسكو الجمعية الاتحادية لنشر العلوم السياسية والفنية لاهم لها الا اصدار الكتب ضد المسلمين والاسلام (١) وقد أصدرت أخيرا كتاب عنوانه (الاسلام بقلم ل . ى كليموفيش السلسلة الثانية رقم ٦ نشر فى زنابية فى موسكو بتاريخ ١٩٦٨ هذا الكتاب يقع فى ٥٢ صفحة من القطع الصغير وبه ما يأتى (ان الاسلام ككل دين ظاهرة تاريخية (وانتشر الاسلام نتيجة غارات وفتوحات الاقطاعيين فى بلاد آسيا وافريقيا) ويقول (ان أغلبية المسلمين تعبد الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان (١) ان الاعلام الاسلامى ضرورة حتمية . فالأيدولوجيات العالمية تحيط بنا وتضغط علينا ولا ينقذنا من التبعية العمياء الا التمسك بكياننا وتراثنا مع الانفتاح الواعى على الرايات الاعلامية المنصوبة كالعباءات لتلفنا فلا نستطيع الحركة وتغشى عيوننا فلا ندرى الى أى طريق نحن مساقون هذه الرايات الاعلامية تتطلب أن نرد عليها حتى تنتكس وتفسح الطريق للاعلام الاسلامى أن يسود . ان الاسلام يهيب بنا أن ننشىء الاعلام الاسلامى بتخطيط دقيق لنمحو هذه العناكب الاعلامية الغربية الخبيثة التى تنشر نسيجها القذر على مرآة عقيدتنا المجلوة الصافية .

واختتم حديثى فى هذا الفصل الذى أعالج فيه تزوير اعلامنا وضرورة تنقيته والرد على (الاعلام المضاد بهذه الشخصية العجيبة ايليا كوهين شوك كوهين كما هو مسجل فى كشوفات المخابرات الاسرائيلية وكمال ثابت كما سجل فى نقطة الحدود السورية فى يوم ١٠ يناير سنة ١٩٦٢ وكما عرف المجتمع السورى ورشح تحت هذا الاسم للوزارة فى سوريا وتفقد بهذا الاسم الجبهة أومرتفعات الجولان عدة مرات ولعب دوره كاملا فى السياسة العربية . حوالى أربع سنوات دبرت فيها مخدعه انقلابات وأوصل رفاقه الى أعلى المناصب التى يمكن تصورها وحضر اجتماعات القيادة العربية وصنف العرب الى تقدميين ورجعيين وشارك فى مناقشات الوحدة الفورية والمدروسة وكان يخلب لب الشباب العربى هناك بقدرته على الحديث العقائدى وشرح دور حزب البعث وضرورة الفصل بين الدين

---

(١) محمود الناكوع ـ جريدة العلم ١٩٦٨/١٢/٢٦ ليبيا ـ

والدولة حتى تكتسب القومية العربية طابعها العلمانى العصرى وكان من دعاة الوحدة المدروسة وعدم التعاون مع الرجعيات . هذا اليهودى المتسلل تركز خلفه كل القوى الرهيبة لجهاز الصهيونية العالمى (١) . أليس هو نسخة من شخصية (عبد الله بن سبأ) التقى الصالح .... المستخفى فى ثياب المسلمين وهو من دعاة اليهود .

(١) محمد جلال كشك ـ ايلى كوهين ص ١٣
الطبعة ١ / ١٩٦٨

الشروط التي يجب أن تتوفر في الاعلام الاسلامي

أولا : الصدق: قلت إن مصدر الإعلام الاسلامي وجوهره موجود في القرآن الكريم والسنة • قال تعالى "إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم" (١)

ومن هنا يجب أن يتوفر في الإعلام الإسلامي الصدق الذى يهدى الى الخير لقد اشترط علماء المسلمين في الحديث ليكون حديثه صحيحا (اتصال السند — عدالة الرواة — ضبط الرواة — عدم العلة — عدم الشذوذ) •

ومن هنا يتعين علينا أن نطمئن الى أن المخبر بالنبأ يتحرى الصدق ولا يكون فاسقا ولا متهما ولا مختل الادراك وأن يكون وراء ذلك كله قلب عامر بالايمان مطمئن إلى الاسلام وأن يكون هدفه تدعيم عقائد المسلمين وتزيين الحياة في ظلال الإسلام أو الموت دفاعا عنه •

وهذا يتطلب أن تكون وكالات الإنباء اسلامية لحما ودما فاذا لم تكن فلا أقل من أن تكون بوابات الأنباء في الداخل عليها حراس مؤمنون أذكياء عندهم الفطنة الكافية لمعرفة الدخيل من الأنباء كالصيرفي الحاذق الذى يعرف الدرهم الصحيح من الدرهم الزيف•

ولا تقل قيمة حراس هذه البوابات الإخبارية عن قيمة الجنود البواسل الذين يحرسون حدود البلاد من كل معتد أثيم • كل خبر مدسوس يخدم الاهتمامات الهابطة ينفى من الإعلام الاسلامي •

---

(١) الاسراء ٩

واذا كانت اهتمامات الناس تحمل رجال الإعلام البلا الاسلامي على اشباع هذه الاهتمامات بدون النظر إلى قيمة هذه الاهتمامات في ميزان الخير المطلق الذى ينص عليه الدين لان هدفهم الربح المادى فالإعلام الاسلامى يلتزم بالأخبار التى تأخذ بيد المسلمين إلى مرتقى الخير والنضج والرشاد •

الإعلام الاسلامى يُشترط فيه الصدق الذى يدعو الى الخير ـ الصدق الذى لايتناقض مع حقيقة الإيمان بالله الواحد الاحد الذى منه البدء واليه المنتهى ولايتناقض مع الآيات المحكمات فى كتاب الله ولا مع السنة فى سيرة الرسول وأحاديثه •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(١)

وقال تعالى " وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا "(٢)

والكذب جائز فى الإعلام الاسلامى فى أثناء الحرب • قالت أم كلثوم بنت عقبه لم أسمع النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى شيء من الكذب مما يقول الناس إلا فى الحرب والاصلاح بين الناس" •

الموضوعيـــة : القرآن الكريم ربى المسلمين تربية عقلية حيث قاد الأفراد الى اعتناق العقيدة الاسلامية بالحجة والبرهان وأقام لهم منهجا علميا فى التفكير لقد حرر العقل من سلطة الآباء ومن الظن ومن الهوى ومن الأوهام ومن حسب

---

(١) صحيح مسلم ٦٨/١ / كتاب الايمان (٢) الاسراء ٨٠

الغلبة بالباطل ومن الجزع عند المتخطئة أى من العاهات الخلقية التى تحـول د ون العقل البشرى ود ون الموضوعية فى الفهم و الإد راك ولقد تكلمت عـــن ذ لك فى الباب الثانى • يعتمد الاسلام على الحجة والاقناع ولا يعتمد علـى الإكراه • قال تعالى " لا إكراه فى الدين" وقال سبحانه " أفأنت تكـره الناس حتى يكونوا مؤ منين " ولا يعترف الاسلام بإيما ن المؤ منين اذ ا كا ن هذ ا المؤ من إمعه •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لايكون أحدكم امعه يقول أنا مع النـاس إن أحسنوا أحسنت وإ ن أساءوا أسأت" .

ومادمت بسبيل الإعلام الإسلامى الذى يتأسى بالقرآن الكريم فسأعرض نصوصا قدمها القرآن مناقشا عقائد المشركين لتكون للإعلام نموذ جا يحتذ ى .

(١) من العرب من كان يؤله الكواكب فأورد القرآن الكريم قصة ابراهيـم قال تعالى " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذ ا ربى فلما أفل قال لا أحـب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذ ا ربى فلما أفل قال لئن لم يهد نى ربـى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون • إنى وجهت وجهى للذ ى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين" (١)

(٢) ومنهم من أله عيسى فألزمهم القرآن الحجة بقوله" إ ن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال لـه كن فيكون" (٢)

(١) الأنعام ٧٦ـ ٧٩ (٢) آل عمران ٥٩ •

(٣) وأنكر قوم الحشر والنشر فرد عليهم القرآن " كما بدأنا أول خلق نعيده " (١)

(٤) وادعى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه فقال القرآن " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق" (٢)

(٥) وقال القرآن " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (٣)

(٦) وناقش أهل الشرك

قال تعالى " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " (٤)

" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض" (٥)

والقرآن الكريم يعتبر الدليل المقنع سلطانا مبينا فانعدام البرهان هو الذى جعل الفتية المؤمنين أصحاب الكهف يزدرون الشرك ويرفضون البقاء عليه

(٧) قال تعالى " هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهه لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا " (٦)

والاعلام يلتزم منهج القرآن فى الحوار المنطقى . قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا " (٧) والقول السديد هو القول المقنع الناتج عن تفكير صحيح وقد ذم القرآن من يجادل بغير علم قال تعالى " ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" (٨)

---

(١) الانبياء ١٠٤ (٢) المائدة ١٨ (٣) البقرة ١١١ (٤) الانبياء ٢٢ (٥) المؤمنون ٩١ (٦) الكهف ١٥ (٧) الاحزاب ٧٠ (٨) الحج ٨

(٨) واتهم المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم أنه تعلم القرآن من غلام أعجمى

قال تعالى " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه

أعجمى وهذا لسان عربى مبين" (١)

وقال تعالى " وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب ــ

المبطلون" (٢)

(٩) وأورد القرآن على لسان ابراهيم عليه السلام حجة ألهمها له الله

قال تعالى " ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك اذ قال

ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم

الظالمين" (٣)

" وتلك حجتنا أتيناها ابراهيم على قــومــه" (٤)

(١٠) وناقش القرآن الكافرين من العرب مناقشة منطقية نتخذها أسوة لنا اذ أردنا

أن ننشىء إعلاما اسلاميــا .

أطلق الكفار على بعض الأنعام أسماء " تشريعية " هذه الاسماء هى :

بحيرة ــ سائبة ــ وصيلة ــ حام فما المعنى المراد بهذه الأسماء ؟

روى الزهرى عن سعيد بن المسيب (٥) قال البحيرة يمنع درها للطواغيــــت

(اى يحجز لبنها ويخصص للآلهه فلا يطعمها الناس وكهنة الآلهة هم الذين

يأخذونه طبعا) . والسائبة من الابل كانوا يسيبونها لطواغيتهم . والوصيلة

(١) النحل ١٠٣ (٢) العنكبوت ٤٨ (٣) البقرة ٢٥٨ (٤) الانعام ٨٣

(٥) عن الظلال للشهيد سيد قطب ص ٩٨٩/٥ دار الشروق / طبعة ٤

كانت الناقة تبكر بالانثى ثم تثنى بالانثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنين ليس بينهما ذكر فكانوا يذبحونها لطواغيتهم .

والحامى : الفحل من الابل الذى يقوم بتلقيح عدد من النوق فاذا بلغ العدد المضروب (عشرة أبطن) قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وقال أهل اللغة عن الوصيلة (١) انها الانثى من الغنم ـ كانت الشاة إذا ولدت انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا ذبحوه لآلهتهم فى زعمهم . وإذا ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوه لآلهتهم (١)

والآية التى أوردها لتوضيح النقاش القرآنى . قال تعالى " ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين ... أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين (٢)

الآية تطالبهم باثبات دعواهم فى التحليل والتحريم " هل هذه الدعوى عن طريق العقل المنطقى ؟ هل هذه الدعوى عن طريق النقل الصحيح عن الوحى الالهى ؟ هل هذه الدعوى عن طريق الشهادة الحسية ؟ اذا كانت علة التحريم الذكورة فكل ذكر حرام . واذا كانت علة التحريم الأنوثه فكل أنثى حرام . واذا كانت علة التحريم اشتمال الرحم على الحمل فكل مولود حرام سواء كان ذكرا أو انثى . فاذا لم تكن العلة فيما تقدم فهل عندهم علم من جهة الله تعالى

---

(١) عن الظلال للشهيد سيد قطب ص ٩٨٩ / دار الشروق / طبعة ٤

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٤٣ ، ١٤٤

" جاءت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدل على أن الله حرم شيئا مما ذكر،

" فان لم يكن عندهم علم فهل كانوا حاضرين مشاهدين الله اذ أوصاهم الله "

" بهذا التحريم؟

" انهم لا يؤمنون برسول ومحال المشاهدة لله اذا هم كاذبون" (١)

إن القرآن الكريم ليس كتاب متاع عقلي ولا كتاب أدب وفن ولا كتاب قصة وتاريخ وان كان هذا كله من محتوياته إنما جاء ليكون منهاج حياة (٢)

ولم يعرض القرآن الكريم العقيدة الاسلامية في صورة " نظرية " أو " لاهوت " أو جدل فلسفي وانما يواجه واقعا بشريا كاملا بكل ملابساته الحية ويخاطب الكينونة البشرية بجملتها في خضم هذا الواقع (٢) فالقرآن الكريم يكون العقيدة من واقع الجماعة الفعلي .

لقد أعلى الفلاسفة العقل على الدين والوحي وجعلوه حاكما عليهما وهم في هذا في ضلال مبين فالتعقل في الاسلام هو الانفتاح أمام الدليل المخالف وازالة التناقض بين الوحي والعقل .

(١١) فهم المسلمون أنهم سينتصرون لانهم مسلمون فقط فلما انهزموا في غزوة أحد قالوا " أنى هذا ؟ " كيف نخذل ونحن مسلمون وفينا رسول الله؟

فبين الله لهم أن الاسلام ينتصر بجهدهم لا بمجرد رفع شعار الاسلام أمام نواميس الكون. قال تعالى " أولما أصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند انفسكم" (٣) وتفسير هذه الآية ـ عتاب للمسلمين على كلامهم

---

(١) د. زاهر عواض الألمعي ـ مناهج الجدل في القرآن ص ٢٨٠ / مطابع الفرزدق/

(٢) سيد قطب ـ معالم الطريق ص ١٥ / دار الشروق

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٦٥ .

فيمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف (أو لما) — (قد اصبتم مثليها) قتل يوم أحد سبعون وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عصى الرماة أوامر الرسول .

ثالثا : الالتزام :

الاعلام الاسلامى لابد أن يتوفر فيه الصدق . قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (١) ولكن الصدق فيم؟

الصدق المطلوب فى القيم التى يدعو اليها الاعلام الاسلامى . فالصدر الوحيد للقيم هو الله والاعلام الاسلامى لابد له أن يلتزم بهذه القيم . قال توما الأكوينى " الصدر الوحيد للقيم هو الله فهو الذى يقرر ماهو حلال وماهو حرام والله سبحانه وتعالى لايمكن أن يريد شيئا يتنافى مع الطبائع التى خلقها فالخير والشر كما قررهما الله يرجعان الى الخير والشر فى الاشياء المخلوقة ولا تعارض بين مايراه العقل ومايقرره الشرع" (٢)

" وجوهر الالتزام فى الإعلام الإسلامى هو الإيمان بألوهية واحدة تتجمع فيها كل ألوان السلطة وتتجه اليها المشاعر الأفكار والنوايا والأعمال وتتلقى منها القيم والشرائع والقوانين والتصورات والتوجيهات لأن العقل البشرى لايصلح وحده أن يكون ضابطا موزونا مالم ينضبط على ميزان العقيدة الصحيحة فالعقل يتأثر بالهوى وتفقد قدرته على المقاومة فى وجه الضغوط المختلفة مالم يقم إلى جانبه ذلك الضابط الموزون" (٣)

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٩ (٢) د. عبد الرحمن بدوى / الأخلاق النظرية ص٩٦/ الطبعة الثانية / ١٩٧٦/ وكالة المطبوعات/ الكويت — وقال بهذا الرأى ابن تيمية ص ٩٤/ كتاب درء تعارض العقل والنقل .
توما الأكوينى (١٢٢٥ — ١٢٧٤ م) راهب ولد فى ايطاليا وعلم فى جامعة باريس .

ولكن ماقيمة هذا الالتزام؟

إن هذا الالتزام يكمن فيه أسباب الجهاد فى سبيل الله ـ هو الخطوة الاولى فى القتال فى سبيل الله . كل مسلم مسئول مسئولية فردية . قال تعالى " كل امرئ بما كسب رهين" (١) فالمسلم يجد أمامه مسائل لها نصوص واضحة وصريحة لا لبس فيها فى كتاب الله وسنة رسوله (قطعيات) على المسلم الالتزام بهذه " القطعيات" ومناهضة الغير بالنصح والإرشاد إذا أوشك الغير أن يقع فى مخالفة هذه (القطعيات) أو وقع فيها فاذا وجد من هذا الغير استخفافا واستهتارا فعليه استعداء السلطان على هذا الغير حتى ولو كان هذا الغير أغلبية المسلمين فالإسلام لايترك الناس لأهوائهم ولا يرى فى الكثرة دليلا على الحق والصواب . قال تعالى " قل لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث" (٢) وقال تعالى " وما يتبع أكثرهم إلا ظنا" (٣) وقال الله سبحانه وتعالى " وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" (٤) وقال سبحانه وتعالى " وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة" (٥)

وهناك نصوص تحتمل التأويل ومسائل لم يرد فيها نص والحكم فى هذه الامور لرأى الأغلبية من المسلمين المشهود لهم بالتقوى والصلاح " يد الله مع الجماعة" وكما يقول الامام الشافعى " لاتجتمع أمة الاسلام على ضلالة" .

المسلم إذا رأى حدًا من حدود الله قد انتهك يلتزم بالحديث الشريف " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان"

---

(١) الطور ٢١ (٢) المائدة ١٠٠ (٣) يونس ٣٦ (٤) يوسف ١٠٣
(٥) القصص ٦٨ .

والتغيير بالقلب ليس معناه الصمت والسلبية بل الرفض وعدم التعاون والمقاطعة والاضراب " ومن هنا كان الاعلام الاسلامي مقدمة للجهاد .

والمسلم إذا كان خليفة للمسلمين فالامر لا يختلف - يمسك على يد أى فرد من رعيته لو خالف مسألة فيها نص واضح من الكتاب والسنة (قطعيات) أو خالف مسألة احتاجت الى تأويل أو لم توجد فى الكتاب والسنة وأدلى فيها علماء المسلمين برأى متفق عليه والجماعة عند الخليفة لاتختلف عن الفرد فهو لا يأبه برأى الجماعة اذا أصرت على اختراق حد من حدود الله .

أما إذا كان الخليفة يسير على هواه مستبدا بأمره مبتعدا عن أمر الله يصبح الخليفة فى هذا الوقت غاصبا وليس خليفة حتى ولو كان الخليفة معه أغلبية من المسلمين من أصحاب القوة أو الثروة أو النفوذ فالخليفة حاكم للمسلمين بدستور الإسلام والحاكم الحقيقى هو الله .

" والخليفة ليس له أى صفة من القداسة أو العصمة وليس له الحق وحده فى بيان الدين وتفسير نصوصه - هو رجل وثقت به الامة فولته أمورها يديرها بأحكام الله ومقتضى شريعته" (١)

قال تعالى " الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور" (٢)

يقول ابن تيمية " إنما نصب الإمام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا مقصود الولاية"

ويقول سيد قطب" إن الاسلام وحده هو الذى يجعل طاعة الحاكم مستمدة من قيامه على الشريعة التى لم يضعها هو بل وضعها إله البشر جميعا ومقوته بتنفيذا لحاكم لهذه الشريعة

(١) د. عبد الخالق النواوى - العلاقات الدولية والنظم القضائية فى الشريعة الاسلامية ص ١٣ / الطبعة الأولى / ١٩٧٤ م / دار الكتاب العربى / بيروت .

(٢) الحج ٤١ .

واتباعها فاذا اختلف الحاكم والمحكوم فى حكم أوقضية فليس الطريق هو الرضوخ لاستبداد الحاكم إنما الطريق أن يرجع الحاكم والمحكوم إلى الله والرسول "(١)

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول "(٢)

فى حالة الرفض لرأى الاغلبية التى تتبع هواها أو لرأى الخليفة الذى استبد برأيه أو لرأى طائفة مارقة تريد أن توجد بدعة فى الدين هنا يلعب الإعلام الاسلامى دوره فى المناقشة والأخذ والعطاء والاتصال وتبيين حكم الله — يبدأ بالنصيحة وينتهى بالقتال والمسلمون فى العالم يمثلون الضمير الأعلى إذا كان هناك ظلم فى أى بقعة فى العالم عليهم أن ينفروا خفافا وثقالا لازاحة هذا الظلم وانتزاع الطواغيت الذين يحولون بين شعوبهم وبين نور الله غير أن هذا لايتم إلا إذا كان المسلمون فى منعة وقوة وهنا يرتقى الإعلام الإسلامى إلى مرتبة الجهاد لان القتال يبدأ بالإعلام الإسلامى والمؤمن الذى يرفع راية الإعلام الاسلامى يقدم رأيه فى صورة علمية واضحة " ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينه "(٣) وبقلب مملوء بالمحبة والرحمة بدون استعلاء ذميم أو أوداج منفوخة أو غضب حاقد قال تعالى " وقولوا للناس حسنا "(٤) وقال تعالى " فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك "(٥) فالمؤمن عنده سكينة ورضا وطمأنينة وحب دافق للخير — قال تعالى " هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا "(٦) ولايتعارض هذا مع الإيمان الملتهب والغضب لله ولكنه الغضب الممزوج بالحب الهادف للخير وليس الغضب الذى يستهدف تأكيد الذات أو الغضب الشخصى المستتر وراء شعار الغضب لله شأن المنافقين فالمؤمن الحق لايجزع ولا يخاف ولايشعر بالضياع إنما يمتلىء قلبه بالأمل فى الله والإيمان بالله "لاتخف إن الله معنا "

---

(١) سيد قطب / السلام العالمى والاسلام ص ٦٢ / الطبعة الخامسة / ١٩٦٦/ مكتبة

هذا الاعلام الاسلامى قرين الجهاد ومقدمة للقتال .

الاسلام فى جهاد دائم لاينقطع أبدا لتحقيق كلمة الله فى الأرض ولايهادن أى قوة من قوى الطاغوت على وجه الارض حيثما كان ظلم فالاسلام منتدب لرفعه ودفعه" (١)

ومن هنا تكون أمة الاسلام فى حيوية فكرية وجسدية متجددة الشباب متالقة النضارة أما ان اخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يبتعدون عن الإعلام وعن القتال ويخلدون الى الارض إلى الراحة والترف وتهمد روح الامة الاسلامية وتبتعد عن الإسلام وماتلبث قليلا حتى يجتاحها غيرها من الامم .

فالإعلام الاسلامى يرفع راية الفكر ليحافظ على القيم الإسلامية من التحريف فى الامة الاسلامية وليحول دون تشكيل المسلم ليكون أسلس قيادا لائمة الكفر ودهاقنة الإفساد . والإعلام الاسلامى تتسع دائرته لتشمل الدنيا كلها فحيثما كان تشويه للحق والعدل والخير فالإعلام الاسلامى منتدب لالقاء نور الله على ظلمة المفسدين فاذا جوبه بالطواغيت الذين يحولون بين شعوبهم المطحونة بالظلم والكفر وبين عدل الله الذى يأخذ بيدهم الى مرتقى الخير والنضج والرشاد عند ذلك يفسح الإعلام الاسلامى الطريق للجيوش الاسلامية التى تغزو فى سبيل الله لارساء شرع الله ونزع الطواغيت التى تقف حاجزا بين شعوبهم وبين حقيقة الإيمان بالله الواحد الاحد الذى منه البدء واليه المنتهى .

ويقف عمل الجيوش الاسلامية عند رفع الحواجز وماعليها بعد ذلك الا أن تترك للإعلام الاسلامى البلاغ للناس فلا إكراه فى الدين . وعند تحرير العقل من سلطة الطواغيت ومن الظن

---

(١) سيد قطب - السلام العالمى والاسلام ص ١٧٣ / الطبعة الخامسة / ١٩٦٦ مكتبة وهبة القاهرة .

ومن الهوى ومن الأوهام ومن العاهات الخلقية التى تحول دون العقل البشرى ودون الموضوعية فى الفهم والادراك ،يدخل الناس فى دين الله أفواجا . فالاسلام دين الفطرة أى هو الدين الذى توافق عليه الفطرة العقلية اذا حررت وتركت دون ضغوط تشل الفكر أو تقوده من معدته أو من هواه .

الباب الأول

المبحث الأول

المحتوى

(١) معنى الخلق (٢) معنى الثبات

(٣) التغيير الاجتماعي في الاسلام

(٤) ثبات العقيدة وتغيير الشريعة

(٥) كل محاولة بشرية لتغيير العقيدة أو تغيير الشريعة تنتهي بالانحراف الكامل

أمثلة)

اليهود ـ الشيعة ـ ابن اللبنه ـ المتصوفة ـ المسيحية

ملاحقة الرسول لكل مظاهر التغيير التي تؤدي الى الانحراف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

المبحث الأول : الثبات الخلقي في الاعلام الاسلامي

معنى الخلق:

الخلق والجمع أخلاق معناها المروءة . العادة السجية . الطبع (١)

معنى الثبات:

ثبتت ثباتا وثبوتا في المكان دام واستقر على الامر داومه وواظبه فهو ثابت وثبيت وثبت (٢)

ومعنى الثبات الخلقي اسلاميا أن المبادئ الخلقية أوامر الهية يجب طاعتها وقيم ثابتة وليست نسبية تتغير من فرد الى فرد ومن مجتمع الى مجتمع أو من زمن الى زمن وليس معنى ذلك أن التغير الاجتماعي غير وارد في الاسلام فالتغير الاجتماعي في الاسلام لا يتوقف على الشكل وانما يتوقف على المضمون . قال تعالى " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي "

ونفهم من هذا أن الرسول الكريم وضع في حسبانه ضرورة التغير الاجتماعي ولكنه صلى الله عليه وسلم وضع أصول الضبط الاجتماعي مهما تغير شكل المجتمع على مدى الأحقاب وذلك بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله .

---

(١) كتاب المنجد في اللغة والاعلام ص ١٩٤ دار الشرق . بيروت لبنان الطبعة ٢٣

(٢) نفس المصدر السابق ص ٦٨ (٣) سورة الرعد ١١

والثبات الخلقى فى الاسلام حقيقى لانه يمثل ارادة الله المتمثلة فى قوله سبحانه وتعالى وارادة الله ثابتة وقوله ثابت . قال تعالى " مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد" (١)

والله سبحانه وتعالى حدد للانسان اطارا أخلاقيا ثابتا على أسلس الكون الذى خلقه والحقائق التى بثها فيه . فالله خلق هذا الكون لغاية والنظام الخلقى الذى وضعه الله يحقق هذه الغاية . قال تعالى " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون" (٢)

قال تعالى " انا كل شئ خلقناه بقدر " (٣)

قال تعالى " وخلق كل شئ فقدره تقديرا " (٤)

ولتأكيد هذا الثبات وعدم المساس بالقرب من تغييره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان" (٥)

والتغيير بالقلب يقصد بها المقاطعة وعدم التعامل فاسرائيل حاليا اذا لم نستطع أن نزيلها بأيدينا فلا أقل من أن نقاطعها ولانتعامل معها وهذا أضعف الايمان وروى ابن جرير روايه موقوفة عن أبى ثعلبه الخشنى ورويت مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم قال " ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها حرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها " (٦)

والثبات الخلقى قائم بما قرر الاسلام من قيم خلقية وماحدد من شريعة اسلامية .

والشريعة يتم تطبيقها بأمر الله وحده حسب البيئة والظروف التى تمر بها الانسان خدمة للحياة الطبيعية ونرى الشريعة كاملة فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم الانبياء والمرسلين .

---

(١) سورة ق ٢٩ (٢) المؤمنون ١١٥ (٣) القمر ٤٩ (٤) الفرقان ٢ (٥) صحيح مسلم ١/ كتاب الايمان.
(٦) حديث حسن رواه الدارقطني "

فالعقيدة الاسلامية عامة وأبدية وفطرة لان الاسلام عام . قال تعالى " وماأرسلناك الا رحمة للعالمين" (١) قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " (٢)

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " (٣)

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٤)

وفطرة (اى تستريح الفطرة العقلية الى أصوله " فالاسلام خاتم الأديان والناس مهما اختلفوا فالفطرة العقلية هى القاسم المشترك الاعظم بينهم . والعقيدة لم تتطور أبدا انها عقيدة واحدة فى جميع الرسالات . قال تعالى " ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون " (٥)

" يتجه الله بالخطاب الى أمة الرسل وكأنهم اجتمعوا فى صعيد واحد " (٦) والاديان السماوية وان اتفقت فى الاصول والاهداف الا انها ليست مكررة فى تشريعها لان ذلك يقتضينا أن نلغى التاريخ وألا نقيم وزنا لسنة التطور البشرى " (٧)

قال تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (٨)

" كذبت قوم نوح المرسلين " (٩)

(مع أنهم لم يكذبوا الارسولا واحدا هو رسولهم نوح عليه السلام وكذلك قوم عاد وثمود ولوط فالقرآن يبين أن الدعوة واحدة والمكذبين برسولهم مكذبون بالرسل جميعا " (١٠)

أما الشريعة فتتطور وليست ثابتة لانها تقوم على مايحيط بكل بيئة وكل عصر من ظروف خاصة . ولكن الله وحده هو الذى يطورها لا الانسان . فالله سبحانه وتعالى أباح زواج الاخ من أخته فى عهد آدم لان التشريع الالهى لابد أن يجرى حسب الظرف القائم ثم لما تكاثرت البشرية حرم الله

---

(١) الانبياء ١٠٧ (٢) الاعراف ١٥٨ (٣) المائدة ٣ (٤) الحجر ٩ (٥) المؤمنون ٥١ ، ٥٢

(٦ ٣٤٥) د. تهامى نقرة / كتاب سيكلوجية القصة فى القرآن/ الشركة التونسية للتوز- (رسالة دكتوراه) جامعة الجزائر ص ١٢٥ /طبعة أولى/١٩٧١/ (٨) المائدة ٤٨

زواج الاخت ولكنه سبحانه وتعالى لم يحرم زواجه من باقى المحرمات. وظلت الشريعة تتطور بأمر الله وحده فى الرسالات السابقة على الاسلام حسب البيئة والظروف التى مرت بها الانسانية الى أن وصلت الى كمال الشريعة فى الاسلام ولايحق للانسانية أن تطور الشريعة وكل ماحدث من تحوير فى الشريعة كان بواسطة الانسان لارضاء حاكم أو لارضاء رعية أو لحصول رجل الدين نفسه على امتيازات.

لذلك ألغى الاسلام وظيفة رجل الدين وألغى الاسلام الحاكم الوضعى أى صاحب التشريعات حتى لايضع قوانين من عنده اذ ان العقيدة لاتتطور وكل ماجاء على لسان الانبياء والرسل وجد لتصحيح العقائد التى حرفتها الناس . أما الشريعة فانها تطورت بأمر الله وحده وانتهى التطور الى شريعة ثابتة صالحة لكل زمان ومكان.

ولايصح مخالفة الشرع حتى ولو بهدف التقرب الى الله فالشريعة الاسلامية انتهت الى النظام التشريعى الكامل. وكل محاولة تغيير تحكم على هذا الكمال بالنقص وتفسد صلاحه .

وكيف نسلم لعلماء المادة بالقوانين المادية ولا نسلم لله الذى خلق القوانين المادية. كل الدساتير التى كانت من صنع البشر فشلت فى معالجة النظم الاجتماعية والنفس الانسانية.

الحقيقة متفقة مع الفطرة فاذا بدأ التحريف فى جزء منها فانه يترتب على ذلك سلسلة من الانحراف تنتهى بتحريف النظام كله.

فاليهود تغالوا فى تقدير ذواتهم وأدى ذلك الى تحريف الالوهية ذاتها فصار الاله الاها خاصا بهم . وكيف يكون هذا الاله عادلا وهو محب لليهود وكاره لغيرهم. لابد أن يكون هذا الاله جاهلا لانه لوكان عالما بكل شىء فلعله كان يختار شعبا آخر. ولكن اذا كان

جاهلافكيف يقود هم فتأتى الاجابة لتتوغل فى التحريف قائلة انه يستفتى الحاخامات أو يأخذ الرأى من أنبيائهم فلقد استجاب لموسى حينما كلمه موسى قائلا كيف تضرب شعب بنى اسرائيل وهو شعبك وسمع الاله لكلام موسى • وقال اليهود عن الههم المحرف انه اذا ارتكب الـه اليهود جرماضد اليهود كان يبكى ويسترضى هذا الشعب قائلا لهم طوبى لشعب يبكى الاهم فيرضون عنه • (١)

فالغلو فى شأن أنفسهم والظن بأنهم شعب مميز لذاته ترتب عليه كل هذا التحريف فى الالوهية • وادى الى الادعاء بأن الاله يغضب ويسترضيه حاخامات اليهود أو آباء اليهود فيرضخ (١)

والشيعة غالوا فى شخص من الاشخاص وعصموا أئمتهم من الخطأ واعلنوا ان الامـام لايخفى عليه شئ ولايكون فى زمانه احد اعلم منه مع ان الانبياء تخفى عليهم أمور يعرفها غيرهم •
ولقد كشف هدهد سليمان سرا لم يعرفه سليمان • قال تعالى " أحطت بمالم تحط بـه وجئتك من سبأ بنبأ يقين " (٢)

وسيدنا نوح لماأراد أن ينجى ابنه واتخذ مقياس النسب كمبرر لنجاة هذا الابن أجابه اللـه بالنفى •

---

(١) محاضرات لم تنشر، المعهد العالى للدعوة الاسلامية د • عمارة نجيب السنة الثانية ١٤٠٠ هـ - بعنوان - العقيدة والشريعة والانحراف
(٢) النمل آية رقم ٢٢

التغيير فى المسيحية

ولم تكن المسيحية أحسن حظا من اليهودية فى التحريف والجزء الاكبر من تحريف الدين المسيحى تم على يد اليهود والوثنيين .

" من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر "

هذا من تحريف اليهود للديانة المسيحية ولو نفذ المسيحيون ذلك لصاروا عبيدا لليهود والمؤمنون بالمسيحية والمتعصبون لها لايؤمنون بهذا النص ولاينفذونه بل ينتهزون كل فرصة ويهاجمونه فالاب شنودة يقول (الصلاة عندنا محبة وليست فرضا والصيام عندنا محبة وليست قيدا والله عندنا محبة ولسنا عبيده)(١).

ولقد حرف اليهود المسيحية كما حرفوا دينهم / عيسى رسول الله كبقية الرسل ولكنه فى نظر المسيحيين ابن الله الازلى . " وهو كالاب الازلى أيضا فليس بينه وبين الله فرق فى الزمن والله الاب غضب على الجنس البشرى بسبب خطاياهم وخاصة خطيئة آدم التى أخرجته من الجنة ولكن مع غضب الله على الجنس البشرى فهو رحيم يريد أن يمحو ذنبهم ويعيد رضاه عن الناس فأرسل ابنه ووحيده الى الارض حيث دخل رحم مريم العذراء البتول وولد كما يولد الاطفال وتربى كالاطفال حتى بدا انسانا كالبشر ثم صلب ظلما على الصليب لا لانه ارتكب خطأ فى حق الرومان أو اليهود بل ليكفر عن اثم آدم الذى أصبح المسيح كأنه أحد أبنائه فكأنه احتمل مسئولية عصيان آدم)(١) هذا التحريف حدث من بولس شاؤل اليهودى . لقد دخلوا فى المسيحية ليحرفوها .

(نقل شاءول بولس المسيحية من التوحيد الى التثليث قال بألوهية المسيح واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر)(٢)

" ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدالة وأى عدل فى تعذيب غير مذنب " .

" واذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الابوة حينما كان الابن يعذب .

" يدعى المسيحيون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم . فى أى شرع يلتزم الاحفاد بأخطاء الاجداد ."

" اذا كان صلب المسيح عملا تمثيليا فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم معتدين على السيد المسيح " .

" هل كان الانبياء جميعا مستدنسين خطاه بسبب خطيئة أبيهم آدم وكيف اختارهم الله لهداية الناس " .

" ولد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة اليه من أبيه . وما العمل فى أمه وهل لم يأخذ عيسى نصيبا من الخطيئة عن طريق أمه مريم ؟ "

" يعتقد المسيحيون أنهم حينما يأكلون الخبز ويشربون الخمر يوم الفصح وهو المسمى عندهم بالعشاء الربانى ـ فان الخمر يستحيل الى دم عيسى والخبز يستحيل الى لحم عيسى فمن أكل ذلك الخبز وشرب تلك الخمر فقد أدخل المسيح فى جوفه ؟ (١)

الخلق فى الاسلام ثابت لأنه يدعو الى الخير . والتشريع فى الاسلام ثابت لأنه يدعو الى العدل ولاأحد يعرف ماهية النفس الانسانية الا خالقها " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " (٢)

---

(١) د. أحمد شلبى ـ المسيحية ص ١٠٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ الطبعة ١٩٧٣/٤/ مكتبة النهضة المصرية / القاهرة (٢) الملك آية رقم ١٤ .

"الا له الحكم " (١) " ان الحكم الا لله " (٢) " لا معقب لحكمه" (٣)

" من يطع الرسول فقد أطاع الله " (٤) " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " (٥) " انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا " (٦) " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " (٧)

" الاسلام يقرر ثبات الخلق ويوجبه وينشئ النفس عليه لأن كل مسلم " فانما هو وعقليته فى سلطان باطنه الثابت الذى أحكم الاسلام أشد احكام

بأعمال الايمان كالصلاة والصوم والزكاة ٠ "

" ثبات الخلق يجعل الرجل ثابتا لا متقلقلا ناظرا فى الحياة الى الموضع الثابت لا الى الموضع المتغير للمنفعة " (٨)

" لو أنى سئلت أن أجمل فلسفة الدين الاسلامى كلها فى لفظين لقلت أنها "ثبات الاخلاق "

" ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الانسانية كلها فى حرفين لما زاد على القول أنه ثبات الاخلاق ولو اجتمع كل علماء اوربا ليدرسوا المدنية الاوربية ويحصروا مايعوزها فى كلمتين لقالوا ثبات الاخلاق " (٨)

---

(١) الانعام ٦٢ (٢) الانعام ٥٧ (٣) الرعد ٤١
(٤) النساء ٨٠ (٥) النساء ٦٥ (٦) النور ٥١
(٧) الاحزاب ٣٦

والرسول الكريم كان يلاحق كل تغيير حتى لا يؤدى هذا التغيير الى الانحراف .

أخذ المسلمون حديث رسول الله الذى كان يدعو فيه للهدية " تهادوا تحابوا " وحرفوه عن أبى حميد الساعدى قال (استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه قال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا)

ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا مالكم وهذا هدية اهديت لى أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم القيامة فلا أعرف أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر . ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطه يقول اللهم هل بلغت مرتين . (١)

أبعد غيبتى .

الرجل (ابن اللتبية) كان صادقا وساذجا فيمكن للرجل أن يخبىء المال اذا كان غير صادق ولعله فهم من حديث رسول الله صلى الله عليه " تهادوا تحابوا " أن الهدية حلال فى كل مناسبة وهذا الفهم بداية الانحراف وهنا اهتم الرسول بتوبيخ الرجل ثم وضع القاعدة الصحيحة . هل كل شخص يقبل الهدية ؟

اذا كان الانسان فى بيته فليقبل الهدية ولكن من كان فى موقف ابن اللبتة فعليه عدم قبول الهدية .

ومن العجيب أن عالما أزهريا فى كتاب الاسلام وأصول الحكم يقول فيه " النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لسياسة فلم يعزل واليا ولا عين قاضيا ولا نظم فيهم قواعد للادارة بل ترك لهم

---

(١) صحيح مسلم ص ٢١٨ باب تحريم هدايا العمال ـ ص ١٢

كل تلك الشئون • ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوجه الاجساد للحرب كما كان يوجه العقول والقلوب الى عقيدة الحق • والنبى أرسل الولاة الى صنعاء ونجران • ولى معاذ بن جبل الجند وصير اليه القضاء • وفى هذا الحديث نرى أنه أرسل الموظفين لجمع الصدقات ويقول " انى استعمل الرجل منكم فى العمل مما ولانى الله " فالعقيدة واحدة لم تتطور ولم تتغير لانها لاتزيد ولاتنقص • والعقيدة التى نزلت على الانبياء من لدن آدم عليه السلام حتى محمد خاتم المرسلين هى الايمان بالله الواحد الاحد الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير • والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

والشريعة من لدن الله ولكنها ليست ثابتة كالعقيدة غير أن الذى يغيرها هو الله بواسطة أنبيائه وجميع الاديان السماوية تستمد من نبع واحد قال عيسى عليه السلام " ماجئت لأنقض الناموس بل لأكمله " •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق " (١)

" وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " (٢)

" كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون " (٣) وهكذا كان كل الرسل يحملون عقيدة واحدة •

ادم عليه السلام عرف التوحيد والايمان بالله وملائكته واليوم الآخر فبدأت البشرية بالتوحيد فالتوحيد يوائم الفطرة البشرية ثم يأتى التحريف بالتخيل والتوهم والتجسيد والتشبيه والمغالاة ومن التخيل والتوهم تنشا الاساطير وتحدث الردة فيرسل الله رسولا ليصحح مسار القوم ويدعوهم الى عقيدة التوحيد نفسها التى أوحى بها الى آدم عليه السلام •

قال تعالى " وان من امه الا خلافيها نذير " (٤)

قال تعالى " وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وماكنا

الانحراف : هو كل محاولة بالاضافة أو الحذف فى تشريع الله والانحراف يعتبر شركا فالذى يصلى ركعتين بعد العصر يعتبر محرفا واذا اعتقد الانسان ان الفعل الذى جاء به ضرورى ولازم لحياة المسلمين فى الوقت الذى لم يشرعه الرسول حينئذ يكون كافرا .

فأصحاب الطرق الصوفية محرفون والشيعة محرفون . وعلماء المسلمين الذين ينادون بالاشتراكية ويعضدونها اشترضاء للحاكم وخدمة لأهوائه ولجلب المصالح لهم يعتبرون محرفين .

مثال آخر لملاحقة الرسول للتغيير حتى تسلم العقيدة من الانحراف وحتى يظل المسلم ثابت الخلق .

" وجد الرسول رجلا قد علق قطعة من نحاس فى رقبته فسأله عن السبب فى تعليقها فقال من الواهنة أى لتحميه من الوهن والضعف فقال صلى الله عليه وسلم انها لاتزيدك الا وهنا وانك ان لم تخلعها فلن تفلح ابدا " (١) وهذا يعنى أن التماس الحماية أو الوقاية بأمور لاتتفق مع المنهج الاسلامى منهج الشرع يعد من الشرك .

قال رسول الله عن الرياء انه الشرك الاصغر " فعندما يظهر المرء خلاف ما يبطن يكون ذلك اما خوفا أو رجاء فان كان خوفا من غير الله فهو شرك وان كان رجاء من غير الله فهو شرك .

قال الله تعالى " فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون " (٢)

---

(١) الامام أحمد بن حنبل ـ المسند ـ ص ١٧٥ جزء ٤ ـ الباب ٣١ من كتاب التجارات فى سنن ابن ماجه . (٢) سورة الماعون آية رقم ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

أى بادرة من بوادر الانحراف كان يتلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمحو السريع حتى لايصيب الثبات الخلقى الاسلامى أى مساس أو تحريف فسلمت العقيدة وسلم التشريع من الانحراف . لما سب أبو ذر بلالا وقال له ياابن السوداء غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا عندما بلغه ذلك وقال طف الصاع طف الصاع دعوها فانها منتنة ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل حتى جاء أبو ذر ليقبل رأس بلال تكفيرا عن خطيئته .

المبحث الثاني

الثبات الخلقي والعقل في الاسلام

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا " (١)

والقول السديد مظهر للتفكير السديد فالقول مصدره الفكر والفكر مصدره العقل فما العقل ومادوره فى الاسلام وماصلة ذلك بالثبات الخلقى .

العقل : نور به تدرك النفس مالاتدركه الحواس . (٢)

وقد سمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عن التورط (٣) فى المهالك أى يحبسه

وعقل فلان بعد الصبا أى عرف الخطأ الذى كان عليه (٢)

وعقل الشىء أى فهمه وتدبره فهو عاقل وهى عاقلة . (٢)

عقل : أ ـ قوة ذهنية قادرة على تنسيق عناصر الخبرة وادراكها (٣)

ب ـ لفظة عامة تطلق على جميع أنواع الوعى أو الادراك (٣)

جـ ـ قوى الفرد الفكرية كافة . (٣)

د ـ القدرة على التفكير المنطقى (٣)

ورغم هذه التعريفات نحن لانعرف ماهية العقل شيئا أين يقع هذا العقل . ماطبيعته ماقانونه ؟ .

ومن الغريب أن فلاسفة اليونان اعتمدوا على العقل المجرد فى بحث موضوعات ما وراء الطبيعة كالله والنفس والعالم " الا أن ذلك لم يفض لهؤلاء وهؤلاء الا الى مجموعة من الآراء المتناقضة والنتائج المتعارضة تتراوح كلها بين طرفى الشك واليقين أو النفى والاثبات . (٤)

---

١) الاحزاب ٧٠ ٢) المنجد فى اللغة والاعلام /ص٥٢٠/ طبعة ٢٣/دار المشرق/ بيروت (٣) د. فريد جبر اشيلى نجالا / قاموس التربية وعلم النفس/

اعتبر هؤلاء الفلاسفة العقل منفصلا عن خالقه جوهرا قائما بذاته يصلح أن يكون وحدة حكما فى كل شىء حتى موضوع الخالق وهذا مستحيل لأن المخلوق لا يستطيع الاحاطة بالخالق والاصغر لا يستطيع الاحاطة بالأكبر .

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر رفع المفكرون الالمان والانجليز والفرنسيون علم " سيادة العقل " على كل اتجاهات الحياة وكان الهدف ابعاد الدين المسيحى عن السيادة واخضاعه للعقل هروبا من الكنيسة وتصوراتها الدينية المحرفة وسوء استغلالها لسلطانها باسم الدين .

وهل استراح الناس لدعوى سيادة العقل . أبدا انهم انتقلوا الى الطبيعة كمذهب . ولقد حاول المعتزلة أن يبحثوا فى موضوعات ماوراء الطبيعة كالله والنفس فماذا ت بحوثهم الى شىء ولقد بهرت الحضارة الاوربية بعض مفكرينا ولما كان سلاح اوربا فى عالم الابداع المادى هو العقل .

" فقد حاول مفكرونا الدفاع عن الاسلام بسلاح الحضارة الاوربية وهو العقل واعلنوا أن الاسلام هو دين العقل " .

" بدأت هذه المدرسة برفاعة الطهطاوى والجبرتى والافغانى ومحمد عبده ومحمد فريد وجدى والطنطاوى جوهرى . اجتهدوا باخلاص " وأخطأوا وأصابوا ثم تطور الامر بهذه المدرسة الى مرحلة تقديم " " ذهبت هذه المدرسة " العقلانية " الى عدم الاعتراف بأحاديث الاحاد مع أنها تمثل جزءا كبيرا جدا من حيز الكلام النبوى الشريف [١] وذلك حتى تفسح لعقلها المجال لكى ينطلق بعيدا عن النصوص التى تقيد خطاه . لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا نضر الله امرءا سمع

(١) د . عبد الحليم عويس /مدرسة عبادة العقل فى الفكر الاسلامى من كتاب المسلمون

مقالتى فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها ثم ذهب بها الى من لم يسمعها ألا فرب حامل فقه لافقه له ورب حامل فقه الى من هو افقه منه "(١)

ولقد استنبط الامام الشافعى من هذا الحديث حجية خبر الاحاد وللشافعى عبارة مشهورة قال الشافعى رحمه الله " فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استماع مقالته وحفظها أداها امرءا يؤديها والمرء واحد دل على أنه لايأمر أن يؤدى عنه الا ما يقوم به الحجة على من أدى اليه لانه انما يؤدى عنه حلالا يؤتى أو حراما يجتنب أو حدا يقام أو مالا يؤخذ ويعطى أونصيحة فى دين ودنيا "(٢)

" ولم تقبل هذه المدرسة العقلانية الا الحديث المتواتر مع أنه قليل جدا "

" وعمدت هذه المدرسة الى رفض القاعدة الأصولية "

" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب "

فجعلت كل حادثه من الحوادث التى تكلم فيها الرسول يقتصر حكمها على الحادثة نفسها أى أنها جردت كلام الرسول عليه الصلاة والسلام من امتداده التشريعى ولهذا تحدث أحدهم فأفتى بأن الحجاب خاص بنساء النبى لان آية الحجاب نزلت فيهن فلا يجوز تعميمها متجاهلا آيات الحجاب الاخرى ومتجاهلا أيضا أن مايطبقه زوجات الرسول أحرى بالمسلمات الاخريات أن يطبقنه مالم يرد نص يقيده بهن وتلجأ هذه المدرسة الى توسيع رقعة حديث " أنتم أعلم بأمور دنياكم الذى ذهب ابن حزم الاندلسى الى تضعيفه وذلك لتضييق المساحة التى تمتد منها السنيـة الشريفة . أما أصحاب النية الخبيثة فهم الشيوعيون يقولون ان الاسلام دين العقل ويقصدون من ذلك أن العقل هو الذى أنشاه أى انه دين بشرى وليس منزلا من

---

(١) رواية انس بن مالك اخرجها الطبرانى فى الاوسط ، عن كتاب د . محمد أديب صالح / لمحات فى أصول الحديث ص ٣٥/ طبعة ٢/ ١٣٩٣/ المكتب الاسلامى .

عند الله "

هذه المدرسة حتى بدايتها الطيبة كانت نتيجة الانبهار بالحضارة الاوربية والمغالاة في هذا الانبهار أدى الى الانفلات من حدود الدين ولا يختلف هذا الاعجاب عن اعجاب الذين قالوا " انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون "(١)

الاعجاب بالاباء والاعجاب بسلاح الابداع في الحضارة الغربية حجبا الحقيقة اذا انطلق العقل وحده في البحث عن أمور الحضارة أبدع واذا انطلق وحده في البحث عن أمور ماوراء الطبيعة ضل في شعاب محفوفة بالاخطار وهبت عليه عواصف الباطل فأطفأت مصباحه .

فهل القرآن الكريم يأخذ بيد هذا العقل البشرى ليرسم له تصور عن الكون والحياة وماوراء الكون والحياة ؟

يرد على هذا السؤال الاستاذ الشهيد سيد قطب في كتابه " خصائص التصور الاسلامي ومقوماته " فيقول عقيدة المسلم ربانية أى من الله وتعهد الله بحفظها " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(٢) وعلى الرسول أن يبلغ أما الهداية فمردها الى الله " انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين "(٣)

ودور الفكر البشرى في هذه العقيدة الربانية التلقى والادراك والتكيف والتطبيق " فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا ."(٤)

وذكر الشهيد سيد قطب أن هناك أشياء لايمكن للفكر البشرى أن يصل فيها الى نتيجة أى أن العقل يعجز عن ادراكها

هذه الاشياء هي :

(١) ادراك الذات الالهية " ليس كمثله شيء "(١)

" فلا تضربوا لله الامثـــال "(٢)

(٢) ادراك كيف تتم المشيئة الالهية " قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشـــر . قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون "(٣)

(٣) عاجز عن ادراك مسألة الروح " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومـــا أوتيتم من العلم الا قليلا "(٤)

(٤) عاجز عن ادراك الغيب " وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تمـوت " (٥)

أما لمـاذا تعجز العقول عن ادراك هذه الاشياء فيجيب الشهيد سيد قطب عـن هذا السؤال فيقول: الله الذى خلق العقل يعلم أن العقل يضل اذا فكر فى هـــذه الاشياء فهى فوق حدود ادراكه هذا من ناحية ومن ناحية اخرى أن العقل مهيأ لتبـــذل طاقته فيما خلقها الله لها وهى كيفية خلافته فى الارض .

ثم يطلع علينا الشهيد بقانون آخر قائلا وهناك أشياء لايمكن للعقل البشرى المـؤمن أن يمسها بتغيير أو تطوير لانها حقائق ثابتة .

هـــذه الاشياء هـــى :

(١) اعتقـادا أن هناك ألوهية وعبـــودية .

ألوهية ينفرد بها الله سبحانه وتعالى وعبودية يشترك فيها كل من عداه وماعداه والعلاقة علاقة الخالق بالمخلوق والاله بالعبد .

" وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون "(٦) وان مـــن شيء الا يسبح بحمـــده "(٧)

" قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "(١)

والمسلم يعتقد أن لا اله الا الله وان لا معبود بحق الا الله وألا خالق الا الله وألا رازق الا الله وألا نافع الا الله وألا ضار الا الله فيتوجه لله وحده بالشعائر التعبدية ويتوجه لله وحده بالطلب والرجاء . ويتوجه لله وحده بالخشية والتقوى .

كذلك يعتقد المسلم الا حاكم الا الله ولا مشرع الا الله ولا منظم لحياه البشر الا الله فيتلقى من الله التشريع كمنهج حياه .

" ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم "(٢)

(٢) الايمان بالله بصفته التى وصف بها نفسه وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الاخر والقدر خيره وشره وأن هذا الايمان شرط لقبول الاعمال وصحتها .

(٣) الدين عند الله الاسلام . والاسلام معناه افراد الله سبحانه وتعالى بالالوهية والاستسلام لمشيئته والرضى بالتحاكم لأمره وشريعته وأن هذا هو دينه الذى ارتضاه لا أى دين سواه " ان الدين عند الله الاسلام "(٣)

(٤) الانسان بجنسه مخلوق مكرم على سائر الخلق فى الارض ، ليست هناك قيمة مادية فى هذه الارض تعلو على قيمته أو تهدر من أجلها قيمته " ولقد كرمنا بنى آدم "(٤)

(٥) الناس من أصل واحد متساوون والقيمة التى يتفاضلون بها فيما بينهم هى التقوى والعمل الصالح لا أى قيمة أخرى " ان اكرمكم عند الله اتقاكم "(٥)

(٦) غاية الوجود الانسانى هى العبادة لله بمعنى العبودية المطلقة لله وحده — والائتمار بأمره وحده فى كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها والخلافة فى الارض وفق منهجه .

---

(١) الاخلاص (٢) يوسف ٤٠ (٣) آل عمران ١٩
(٤) الاسراء ٧٠ (٥) الحجرات ١٣ .

(٧) رابطة التجمع الانسانى هى العقيدة الاسلامية لا الجنس ولا القوم ولا الارض ولا اللون ولا الطبقة ولا المصالح ولا أى اعتبار أرضى آخر .

(٨) الدنيا دار ابتلاء عمل والاخرة دار حساب وجزاء ومرد الامور كلها الى الله .

(٩) الشريعة الاسلامية أحاطت احاطة كاملة بالحاجات البشرية وانها صالحة لادارة جميع جوانب الحياة الانسانية الدنيوية والاخروية وصالحة لكل زمان ومكان .

يرى الشهيد سيد قطب أن هناك أشياء يعجز العقل البشرى عن ادراكها وهناك أشياء يعجز العقل البشرى عن تغييرها أوتطويرها لانها ثابتة المفهوم ثابتة الحقيقة .

ولهذا يرسم للعقل البشرى المؤمن عقلا قرآنيا حتى لايضل فى مغاور المتناقضات وشعاب المتعارضات وتهب عليه عواصف الضلال فتطفئ نوره وتتركه فى ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها .

وفى نفس الوقت رسم الشهيد سيد قطب للمسلم الثبات الخلقى عن طريق الفكر .

ومجمل القول فى مسألة العقل فى الاسلام ان العقل ظاهرة خلقها الله لتعمل بكل حرية فى تعمير الارض وخلافه الانسان فى الاض أما فى أمور ماوراء الطبيعة فالعقل البشرى قاصر عن معرفة حقيقة الله وهذا القصور اذا أدركم العقل البشرى فانه دليل على وعى العقل لحدوده وهذا هو ذروة الكمال العقلى .

والعقل هبه من الله وضعها فى كل انسان ليحاسبه بها على أفعاله وفى ذلك كمال الحرية والمسئولية " ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حى عن بينه "(١)

---

(١) الانفال ٤٢ .

اذا كان العقل هبة من الله للناس جميعا وعلى أساسه نحاسب فهل بسط الله سبحانه وتعالى من الادلة .

(١) مايقود به هذا العقل الى الهدى . ومالذى يمنع الفهم عن هذا العقل . وهل مايقدمه الله من منهج فكرى يقود الفرد الى الثبات الخلقى نعم لقد أخذ الله بيد العقل البشرى وقاده الى الهدى والنور ورسم له الطريق بالخطوات التالية :

أ) تحرير العقل البشرى من سلطة الاباء والرؤساء والسادة والكبراء اذا كانوا ضالين وحرره من أن يكون امعه

قال تعالى " واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه أباءنا أولوكان أباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون "(١)

قالوا يكفينا دين أبائنا انها سلطة الاباء ممثلة فى عدم الخروج على ماأمن الاباء به .

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا أباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون "(٢)

أمر من الله بعدم اتخاذ الاباء والاخوان الكافرين قادة ونصراء ومتبوعين فالاستسلام للاباء بدون تفكير خطأ وضلال .

قال تعالى " يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا "(٣)

والاستسلام للسادة والكبراء بدون تفكير خطأ وضلال .

قال تعالى " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله "(٤)

أربابا من دون الله أى يشرعون لهم والله سبحانه وتعالى هو المشرع ووضع الاحبار مكان الله او تكاس فى الفساد الفكرى .

٢) تحرير العقل البشرى من الظن •

والظن الذى حرر القرآن العقل البشرى منه هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض مثل ظننت زيدا صاحبك وظن تأتى بمعنى علم واستيقن ومنه " وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه " (١) اى أيقنوا (٢) .

ونتعرض الآن الى الظن بمعنى التردد بين طرفى اعتقاد جازم أى عدم التثبت تماما

الله سبحانه وتعالى يأخذ بيد العقل البشرى ويحذره من اعتبار الظن حقيقة

قال الله تعالى " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون (٣) .

أى أن الظن نوع من التخمين والاعتقاد فى ظل هذا التخمين لا يعتد به فهو مرفوض قال تعالى " وما يتبع أكثرهم الا ظنا أن الظن الظن لا يغنى من الحق شيئا" (٤) أى أن الظن لا يستند الى برهان أى انه فرض من غير تحقيق فهو مرفوض قال تعالى " ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا" (٥) .

هنا أعطى القرآن الكريم مثالا يوضح معنى الظن المنهى عنه أى الاقوال التى خلت من الحجة •

مثال آخر يورده القرآن موضحا الظن الذى لا ظل له من الحقيقة •

قال تعالى " والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا". (٦)

---

١) التوبة ١١٨ ٢) المنجد فى اللغة والاعلام • حرف ظ/ الطبعة ١٩٧٦/٢٣ دار المشرق/بيروت (٣) الانعام ١٤٨ (٤) يونس ٣٦ (٥) النجم ٢٧ – ٢٨

يحسبه هنا معناها ويظنه العطشان ماء فاذا جاءه خاب ما أمل وبطل ماظن كذلك الكافر يظن أن اعماله تنفعه فاذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهى كالسراب (٣) وحرر القرآن العقل البشرى من الهوى .

الهوى العشق يكون فى الخير والشر . ارادة النفس وميلانها الى ماتستلذ يقال فلان اتبع هواه اذا أريد ذم ويقال فلان من أهل الاهواء أى ممن زاغ عن الطريقة المثلى أو من أهل البدع (١) .

والهوى الذى يحرر القرآن العقل منه هو الهوى المذموم الذى يقود الى الشر قال تعالى " ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن " (٢)

أى لوكان الامر على ماتقتضى أهواؤهم لفسدت السموات والارض .

قال تعالى : وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " (٣)

يعنى بيننا لهم مايعقلونه ولكنهم اتبعوا هواهم وارتكسوا فى مستنقع ضلالهم واستحبوا ذلك .

قال تعالى " ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله " (٤)

الخطاب هنا للنبى داود يأمره الله أن يلتزم الحق ولا يتبع الهوى فالهوى يقود الى الضلال .

(٤) وحرر القرآن العقل من الاوهام .

قال تعالى " ومن الناس من يعبد الله عن حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه " (٥) .

---

(١) المنجد فى اللغة والاعلام / حرف ع / الطبعة ٢٣/ دار المشرق/ بيروت
(٢) المؤمنون آية رقم ٧٢ (٣) سورة فصلت آية رقم ١٧ (٤) سورة ص آية ٢٦
(٥) الحج آية رقم ١١

(نزلت فى قوم من الاعراب كا ن أحد هم اذ ا أسلم وولد ت أمراته غلاما أو نتجت خيلـــــة قال هذ ا د ين صالح وا ن لم تلد امرأته ولم ينتج خيله قال هذ ا د ين سوء وارتـــــد عن الاسلام • (١)

ونعى القرآ ن الكريم على بنى اسرائيل تطيرهم بموسى ومن معه •

قال تعالى " فاذ اجاءتهم الحسنة قالوا لنا هذ ه وا ن تصبهم سيئة يطيروا بموســـى ومن معه • (٢)

اذ ا جاءهم الخصب والرخاء قالوا حد ث ذ لك لنا بسعد نا ونحن مستحقون لـــــه واذ ا جاءهم الجدب قالوا هذ ا بشوءم موسى • وماقد ر لهم من الخير أو الشــر مــــن عند الله ولا د خل لشوءم موسى بذ لك • (١)

كا ن الرجل فى الجاهلية اذ ا تبنى ولدا د عى به فيقال ولد فلا ن وورثة كما يرثــــه أبناوءه فأبطل الاسلام هذ ا الوهم وهو اعبار المتبنى ولدا من صلب الرجل •

قال تعالى " وما جعل أد عياءكم أبناءكم ذ لكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل اد عوهم لآبائهم هو اقسط عند الله" (٣) •

وسبب نزول هذ ه الآية أمر زيد بن حارثة وذ لك أنه كا ن فتى من كلب فسباه بعـــــض العرب وباعه لخد يجة فوهبته للنبى صلى الله عليه وسلم فتبناه فكا ن يقال له زيد بن محمـــد حتى أنزلت هذ ه الآية الكريمة تأكيد لبطلا ن هذ ا الاد عاء والامر بنسبتهم الى أبائهم •

توفى ابراهيم ابن رسول الله وتصادف أ ن الشمس كسفت فقال الناس كسفت الشمس لمـوت ابن رسول الله فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا :

" ا ن الشمس والقمر ايتا ن من آيات الله لايخسفا ن لموت أحد ولالحياته " •

---

(١) [illegible]

كان العرب يتطيرون كبقية الامم فنفى الرسول الطيرة . ففى الحديث " لاطيرة وانما الطيرة على من تطير " .

وكان العرب يعتقدون أن طائرا يطلقون عليه الهامة يخرج من رأس المقتول ولايزال يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاهامة وكانوا يتشاءمون بشهر صفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصفر وسئل النبى عن الكهنة فقال ليسوا على شىء .

٥) وحرر القرآن العقل من الكبر حتى لاتاخذ العقل البشرى العزة بالاثم واورد القرآن مثالا يوضح ذلك قصة ابليس .

قال تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر (١)

قال الله تعالى " مالك ألا تكون مع الساجدين " (٢)

(مامنعك الا تسجد إذ أمرتك) (٣) فقال ابليس "أنا خير منه " (٤)

فقال الله تعالى " فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها " (٥)

ابليس كان أنانيا متعجرفا وقادته هذه الانانية والكبر والعجرفة الى النزوع الى الباطل وعدم اتباع الحق .

٦) وحرر القرآن العقل البشرى من الانفة التى تمنع من الخضوع للحق .

هذه الانفة قد تكون علوا فى تقدير النفس وقد تكون اعجابا بالرأى الشخصى أو بآراء الاباء وقد تكون جزءا من التخطئة .

---

١) البقرة ٣٤ ٢) الحجر ٣٢
٣) الاعراف ١٢ ٤) ص ٧٦
٥) الاعراف ١٣

قال تعالى فى اليهود " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا " (١)

لقد جحدوا بآيات الله مع تيقنهم أنها الحق وهذا الجحود عناد وأنفة من الخضوع للحق

قال تعالى " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا " (٢)

هنا اعجاب شخصى وغرور يملاء الفرد فيرى أن عمله السيء حسنا ٠

قال تعالى " واذا قيل لهم تعالو الى ماأنزل الله والى الرسول قالو حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولوا كان أباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون " (٣)

هنا اعجاب واكتفاء بدين الأباء وغلو بما وصل اليه هؤلاء الاباء ٠

ويصل الامر بالانفة أو الاعجاب أن يكتموا الحق وهم يعلمون أنه الحق ٠

قال تعالى " يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه " (٤)

انهم يحبون الغلبة بالباطل ويجزعون من التخطئة ٠

القرآن الكريم يأخذ بيد العقل البشرى ٠

فيحرره من أن يصيرا معه خاضعا لسلطة الأباء والكبر أو السادة ٠

ويحرر العقل البشرى من الظن * (٥)

ويحرر العقل البشرى من الهوى *

ويحرر العقل البشرى من الاوهام *

ويحرر العقل البشرى من الكبر *

ويحرر العقل البشرى من الأنفة *

ويحرر العقل البشرى من الاعجاب بالاباء لمجرد أنهم أباء *

---

١) النمل ١٤ ٢) فاطر ٨ ٣) المائدة (١٠٣ــ ١٠٤)

٤) البقرة ٧٥ (٥) * ساعدنى فى هذه العناصر كتاب الدكتور لبيب

[illegible]

ويحرر العقل البشرى من الاعجاب بالرأى الشخصى الناتج عن النرجسية .

ويحرر العقل البشرى من الجزع من التخطئة .

ويحرر العقل البشرى حب الغلبة بالباطل .

وبعد أن يعالج القرآن الكريم هذه العاهات الخلقية التى تحول دون العقل البشرى ودون الموضوعية فى الفهم والادراك يبسط منهجا علميا .

ليدرك العقل البشرى الحقيقة واضحة وتخشع للحى القيوم وبذلك يتم للانسان الثبات الخلقى عن طريق العقل .

ماالمنهج العلمى الذى يبسطه القرآن ؟

يبدأ المنهج العلمى القرآنى بالمشاهدة والنظر والاعتماد على الحواس على اعتبار انها باب العقل فماترصده الحواس يوءوله العقل .

قال تعالى " فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلاوحدائق غلبا . وفاكهة وأبا (١)

يوجه الله سبحانه وتعالى العقل الى طعام الانسان كيف ييسره بقدرته ويخلقه برحمته .

قال تعالى " أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت " (٢)

يحض القرآن الكريم العقل البشرى على النظر الى الابل ومنافعها والى القدرة العظيمة لله سبحانه وتعالى فى خلق الجبال وتسوية الارض وخلق هذه الابل .

---

١) عبس ٢٤ ـ ٣١
٢) الغاشية ١٧ ـ ٢٠

قال تعالى " قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق " (١)

انها دعوة للتفكير فى علوم الحياة والاستدلال على النشور يوم القيامة .

قال تعالى " فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها ان ذلك لمحى الموتى " (٢)

هذه الاية توجه العقل البشرى الى الاستدلال على البعث من النظر الى الارض الجرداء الميتة كيف تهتز بالنبات وتحيا اذا مستها رحمة الله بارسال المطر .

قال تعالى " قل انظروا ماذا فى السموات والارض " (٣)

هنا أمر بالاعتبار والنظر فى ايات الله .

هل يريد الله من العقل البشرى أن ينظر الى ايات الله لمجرد النظر والمشاهدة .

ان الله سبحانه وتعالى لايريد من العقل البشرى ان ينظر عن طريق حواسه لمجرد " الفرجة " ولكن للاستدلال بان هذه المشاهد المرئية لها خالق وأن هذا العالم مرتبط بمن خلقه وهو الله .

ان مجرد النظر لايكفى بل لابد من النظر الواعى وضرب القران الكريم للعقل البشرى مثلا لهذا المنظر الواعى فى قصة ابراهيم عليه السلام .

قال تعالى " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لاأحب الأفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون . انى

---

١) العنكبوت ٢٠ ٢) الروم ٥٠ ٣) يونس ١٠١

وجهت وجهي للذى فطـــــر السموات والارض حنيفا وماأنا من المشركين " (١)

ولم يترك القرآن الكريم العقل البشرى ليدرك النظر الواعى الفاحص بهذا المثال فحسب بل ذكر القرآن الكريم مقومات النظر الواعى الفاحص الذى يستقطر الحكمـــــة مما يرى ويصل الى بواطن الامور بالنظر الى ظاهرها وهذه المقومات القرآنية هى :

١) عرض كل ماتلمسه الحواس على العقل .

قال تعالى " انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " (٢)

قال تعالى " كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " (٣)

قال تعالى " ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون " (٤)

قال تعالى فى قصة ابراهيم " قال افتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئا ولايضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون " (٥)

قال تعالى " افلم يسيروا فـــى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أوآذان يسمعون يسمعون بها فانـها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " (٦)

٢) المقوم الثانى للنظرة الواعية الفاحصـــة :

العلم : حث القرآن الكريم العقل البشرى على طلب العلم .

قال الله تعالى " شهد الله أنه لااله الا هو والملائكـــة وأولو العلم قائما بالقســـــط لااله الا هو العزيز الحكيم " (٧)

جعل الله العلماء بعد الملائكة فى شهادة التوحيـــد .

قال تعالى " انما يخشى الله من عباده العلماء " (٨)

---

١) الانعام ٧٥ ٢) يوسف ٢ ٣) الزخرف ٣ ٤) الانفال ٢٢
٥) الانبياء ٦٦ـ٦٧ (٦) الحج ٤٦ (٧) آل عمران ١٨ ٨) فاطر ٢٨

قال تعالى " وقل رب زدنى علما " (١) ولم يقل الله سبحانه وتعالى لنبيه أن يدعو بطلب الزيادة الا للعلم .

قال تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (٢)

والله سبحانه وتعالى خلق العقل الذى به نتعلم العلم واذا حاول الانسان أن يتعلم وعزم وصمم فان الله يساعده على العلم فكل ما وصل اليه الانسان من العلم اطلاقا انما هو من الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون " (٣)

بين الله سبحانه وتعالى انه خلق آدم وعلمه كل شى وقال تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم " (٤)

فمصدر العلم هو الله وعلى الانسان ان يؤمن بضرورة العلم ويخطو فى سبيل ذلك الخطوة الاولى والله سبحانه وتعالى يعطيه كنوز العلم والمعرفة وينابيع الحكمة والهدى والرشاد .

قال تعالى " ولاتقف ماليس لك به علم " (٥) اى ولاتعترض بالقول او الحث او النصيحة او العمل الا اذا كنت واثقا عالما متأكدا متيقنا مما تقول أو تعمل المقوم الثالث للنظرة

---

١) طه ١١٤ ٢) المجادلة ١١ ٣) البقرة ٣٠-٣٣

الواعية الفاحصة .

التجربة العلمية ان تيسرت (١)

" مر أحد الانبياء أو أحد المؤمنين على بيت المقدس فرآه خربا باد أهله فتساءل عن غير شك على أي وجه يحي هذه الله بعد موتها ؟ فأراه الله عمليا كيفية احيائه بماضربه له في نفسه وفيما كان من طعام وشراب وفي حماره فذلك مايقوله الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة .

" أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير" (٢) وسأل ابراهيم ربه " رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن (٣) اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم" (٤)

(وهكذا جعل الله تعالى التجربة العلمية ان تيسرت أساسا للمعرفة اليقينية أى للنظرة الواعية الفاحصة) (١)

المقوم الرابع للنظرة الواعية الفاحصة :

استشارة عقول المختصين .

قال تعالى " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (٥)

وقد أوجب الله التخصص فى العلوم الدينية .

قال تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم

اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " (١)

فى الاية حض بعض المؤمنين على التخصص فى العلم وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوضح العلماء المتخصصين فى عهده قائلا :

من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت ابىّ بن كعب .

من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت .

من أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل .

من أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فان الله جعلنى له خازنا وقاسما (٢)

بعد أن رسم القرآن منهجا فكريا للعقل البشرى عرض الاسلام وبدأ بالالوهية .

قال تعالى " أفى الله شك فاطر السموات والارض " (٣)

قال تعالى " قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون " (٤)

"يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " (٥)

" قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)(٦)

قال تعالى " ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون " (٧)

" لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم " (٨)

---

(١) التوبة ١٢٢

٢)بن قيم الجوزية : اعلام الموقنين حـ١ ص ٢٥ طباعة دار الكتب الحديثة وتحقيق عبد الرحمن الوكيل .

٣) ابراهيم ١٠   ٤) يونس ٣١ ــ ٣٢

٥) يونس ١٨   ٦) المائدة ٧٦   ٧) فصلت ٣٧

٨) المائدة ٧٢

معرفة وجود الله مغروزة فى الفطرة الانسانية .

يقول ابن تيمية (١) " فطرة الخلق مجبولة على أنهم متى شاهدوا شيئا من الحوادث المتجددة كالبرق والرعد والزلازل ذكروا الله وسبحوه لانهم يعلمون ان ذلك المتجدد لم يتجدد بنفسه بل له محدث احدثه وان كانوا يعلمون هذا فى سائر المحدثات لكن ماعتادوا حدوثه صار مألوفا لهم بخلاف المتجدد القريب والا فعامة مايذكرون الله ويسبحونه عنده من الغرائب المتجددة قد شهدوا من ايات الله المعتادة ما هو أعظم منه ولو لم يكن الا خلق الانسان فانه من أعظم الايات فكل احد يعلم انه لم يحدث نفسه ولا أبواه أحدثاه ولا احد من البشر احدثه ويعلم انه لابد له من محدث فكل احد يعلم ان له خالقا خلقه ويعلم انه موجود حى عليم قدير سميع بصير". (١)

ومن جعل غيره حيا اولى ان يكون حيا ومن جعل غيره عليما كان اولى ان يكون عليما ومن جعل غيره قادر كان اولى ان يكون قادرا .

قال تعالى " وفى انفسكم افلاتبصرون " (٢)

فما عدت هذه المسألة من النظريات التى يقام عليها برهان فان الفطرة السليمة شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها بصانع قادر حكيم " أفى الله شك فاطر السموات والارض " (٣)

" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم " (٤)

وان غفلوا عن هذه الفطرة فى السراء فلا شك أنهم يلوذون اليها فى حال الضراء " واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين " (٥) "واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه " (٦)

عرض واضح لاثبات وجود الله مع استعداد الانسان لتقبل هذا القول لأنه يتمشى مع فطرة

---

(١) ابن تيمية /درء تعارض العقل والنقل / جزء ١ / مطبعة دار الشعب / تحقيق

الانسان ٠

ومجمل القول فى مسألة الالوهيـــة أن العرب فى النقاش القرآنى السابق آمنوا بوجود خالق للكون ومابه وأن هذا الخالق مخالف للحوادث أزلى بـــلا بداية وأبدى بـــلا نهاية اذ لو أن له بداية لاحتاج الى من يوجده وافتقر موجده الى موجد وهكذا الـــى مالا نهاية ٠

وليس العرب وحدهم هم الذين آمنوا من النقاش القرآنى بوجود خالق فان مـــن يتدبر القرآن وآياته لايجد فى نفسه ذرة شك ويسلم قلبه من الايمان الخاص بوجود الله ٠ قال تعالى " ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم " (١) فهذا استاذ ورئيـــس قسم الفلك بجامعة القاهرة يتحدث عن ايمان بالله سبحانه وتعالى فيقول فى كتابـــه لماذا أنا مؤمن " ان من ينظر الى العالم يجد هناك من الابداع والاتقان واستمـــرار الحياة مالايدع مجالا للشك بأنه لايمكن أن يكون هذا هذا عبثا وأنه لابد من وجـــود قوة تحافظ على هذا النظام وهذه القوة لامناص من ان يسلم بها العالم كذلك ٠ ونفس قوانين الطبيعة الحرارية تثبت أن الكون وجد فى لحظة معينة أى أن الكون لـــه ابتداء أى غير أزلى ٠

هذا العالم الذى وجد اما وجد من تلقاء نفسه واما أوجدته قوة أو أوجده خالـــق ولايمكن افتراض أنه وجد من تلقاء نفسه ٠ واذن فهذا العالم لابد أن يكون قد أوجـــده شىء فاذا افترضنا أن هذا الشىء من نفس نوع الكون يكون ذلك نوعا من العبث اذ يسلمنـــا هذا القول الى نفس المشكلة التى نرغب فى حلها وجلى أنه لامناص لحل هذه المشكلـــة من أن تكون تلك القوة التى أوجدت العالم يختلف عنه فى كل شىء وهذا هو الحل الوحيـــد

---

١) الاسراء ٩

فاذا كان الكون مخلوقا فهى الخالق واذا كان الكون ماديا فهى غير مادية واذا كان للكون بداية ونهاية فهى ليس لها بداية ونهاية .

هذه القوة التى أوجدت الكون هى الله تعالى الذى ليس كمثله شىء فالكون كما أراه من ارادة الله أو أثر من آثار قدرة الله . وثمة مصدر آخر لمعرفة الخالق هو القرآن الكريم الذى يعتبر أكبر معجزات الرسول وأخلدها وهو يدعو الى الايمان ويهدى للتى هى اقوم . فاذا كنت اريد ان اتجاهل الادلة المنطقية السابقة فان امامى افضل الرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء بكتاب معجز هو القرآن الكريم .

لقد لمست أنا اعجاز القران العلمى فى هذا العصر فأمنت بمحمد الذى هو بشر مثلى يقول أن هناك الها من وراء كل هذا فأنا اؤمن بالله ايضا عن طريق محمد عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى " قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد " (١)
الى هنا ينتهى كلام الدكتور الفندى استاذ ورئيس قسم الفلك بجامعة القاهرة .

لقد امن العرب بالله عن طريق الرسول الكريم وعن طريق القران الكريم العظيم وليس العرب بدعا فى ذلك فان من يتدبر القرآن فانه يؤمن بالله الواحد القهار مهما تباعدت الازمنة واختلفت الديار فان القرآن الكريم حكمة الله المهداه للبشر ليأخذ بيد العقل البشرى الى ميناء الهدى والرشاد .

---

(١) فصلت ٦

الوحدانية

قال الله تعالى " أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لكم رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لايعلمون . أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ماتذكرون . أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " (١)

قال تعالى " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون "(٢)

قال تعالى " ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (٣)

قال تعالى " قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به " (٤)

قال تعالى " قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون " (٥)

قال تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم " (٦)

---

١) سورة النمل ٦٠ ــ ٦٤ ٢) الانبياء ٢٢ ٣) المؤمنون ٩١
٤) الانعام ٤٦ ٥) القصص ٧١ / ٧٢ ٦) المائدة ٧٢

صفات الله وأسمـــــاؤه

قال تعالى " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (١)

يقول الامام الرازى فى التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ماهية ربه وعن نعمته وصفته فانتظر الجواب فأنزل الله تعالى هذه السورة (٢)

ويقول ان قوله تعالى " أحد " يدل على نفى الجسمية ونفى الخبر ونفى الجهة . (٣)

ويقول الامام الرازى فى تفسير قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهروالباطن " لو كان جسما لكان ظاهره غير باطنه . (٣)

قال تعالى " وماتحمل من أنثى ولاتضع الا بعلمه " (٤)

قال تعالى " واحصى كل شيء عددا " (٥)

قال تعالى "وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين " (٦)

قال تعالى " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادآ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا.أن دعوا للرحمن ولدا وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم اتية يوم القيامة فردا ." (٧)

قال تعالى " ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى يؤفكون . فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات

---

(١) الاخلاص (٢) الرازى / أساس التقديس ص ٢٠/ طبع بمطبعة كردستان العلمية

لقوم يعلمون " (١)

قال تعالى " مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم " (٢)

بمعنى يعلم أسرارهم .

ومجمل القول فى الاسماء والصفات الايمان بكل ماورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة من صفات الله تعالى " صفات ذاته وأفعاله " تصفه بها كما وصف الله بها نفسه وكما وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم بلا تكييف ولاتعطيل ولاتشبيه ولاتمثيل ولاتحريف ولاتأويل لأن ذلك خروج بها على حقيقتها الى الانحراف والالحاد فى معانيها .

" ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ماكانو يعملون" (٣)

---

١) الانعام ٩٧/٩٥

٢) المجادلة ٧

وليس لنا أن نبتدع من عندنا صفات الله غير التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وحتى تكون عبادتنا عن علم ومعرفة يتعين علينا أن نعرف صفات الله وأسماءه (١) .

هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم .

هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتجبر سبحان الله عما يشركون .

هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم .

والواجب فى آيات الصفات أن نصدق بها كما جاءت من غير تكييف ولا لا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل .

والقول فى الصفات كالقول فى الذات فكما أن الله ذاتا لا تشبه ذواتنا فلله صفات لا تشبه صفاتنا فالصفات فرع للذات مثلا قال تعالى " الرحمن على العرش استوى ... "

قال الامام مالك " الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة "

وقال الامام أحمد نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى ولا نزد شيئا ونعلم أن ماجاء به الرسول حق وصدق ولا نزد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه " ليس كمثله شىء "

---

(١) الالحاد فى اسماء الله له أقسام

١) تسميته بما لا يليق بجلاله وعظمته كتسمية النصارى له أبا وتسمية الفلاسفة له علة فاعلة

٢) أن يسمى بأسماء بعض المخلوقات كتسميتهم اللات من الاله والعزى من العزيز .

٤) تعطيل الاسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول انها ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات وبنى هذا التعطيل على أن هذه الصفات صفات أجسام والله ليس جسما ٠

٥) تشبيه صفاته بصفات خلقه

والتحريف نوعان: تحريف اللفظ وتحريف المعنى أما تحريف اللفظ معناه العدول من جهة الى الى جهة أخرى اما بزيادة أو نقصا أو تغيير حركة اعرابه ٠

تحريف المعنى وهو الذى يسمى التأويل مثل تأويل بعض الجهمية " كلم الله موسى تكليما " أولوها بـ " جرحه بأظافر الحكمة ٠"

التكييف: البحث عن كنه الصفات وقد نفى السلف عن صفات الله التكييف لان العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف٠

التمثيل: معناه أن صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقين والتمثيل منفى بالنص والاجماع " ليس كمثله شىء "

التشبيه: الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء وسمى بعض خلقه بالاسماء نفسها مثل عليم وحكيم فانهما ان اتفقا فى المسمى فان الله تعالى منزه عن مشاركة العبد فى خصائصه ٠ والله سبحانه وتعالى سم صفاته بأسماء وسمى بعض خلقه بالاسماء نفسها فانهما أى صفات الخلق وصفات الله ان اتفقا فى فى المسمى فان الله تعالى منزه عن مشاركة العبد فى خصائصه ٠

التعطيل: جاحدو الصفات فى المسمى يسمون معطلين لنفيهم عن الله صفات الكمال فالتعطيل شرك وكذلك تعطيل بعض الصفات٠

والله سبحانه وتعالى منزه عن الهيئة والمقدار فالله ليس بجسم ولا بجوهر يتميز لاتدركه الابصار ولاتصل الى كنه ذاته العقول ٠ والله سبحانه وتعالى منزه عن الجهات اذ الجهات من خلقه وايجاده فقد كان موجودا قبل أن توجد الجهات٠

والله سبحانه وتعالى لا شريك له اذ لو كان معه غيره لكان اما أن يكون مساويا له وبذلك يكون له من الصفات ماتؤهله للانفراد بالخلق٠ واما أن يكون ضعيفا او قويا عنه عند ذلك يتغلب القوى على الضعيف٠

قال تعالى " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون" (١)

---

(١) المؤمنون ٩١٠

تصـــديق الرســـول

قال تعالى " لقد من الله على المؤ منين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم " (١)

" الآية تخبر بفضل الله على الـمؤ منين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم فى الجنـــــس واللسا ن فكـونه من جنسهم يوجب الأ نس به وكـونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه ولكونـــه منهم يعرفون صدقه وأمانتـــه ويكون صلى الله عليه وسلم اشفق عليهم وأرحـم بهـم مـــن الأجانـــب " (٢)

قال تعالى " قل لوشاء اللـه ماتلوته عليكم ولا أدراكم بـه فقد لبثت فيكم عمـرا من قبـــله أفـلا تعقـلون " (٣)

" أى ماتلوته الا بمشيـئة اللـه لانـه من عنـده وماهـو من عنـدى ولقد بقيت معكم أربعين سنـة قبل البعث ماتكلمت فى هـذا حتى جـاءنى من عنـد اللـه " (٤)

قال تعالى " وماكنت تتلو من قبـله من كتـاب ولا تخطـه بيمينك اذا لارتاب المبطلون " (٥)

هـذا احتجاج على أن القرآن من عنـد الله لان النبى صلى الله عليه وسلم كان لايقـــرأ ولا يكتـب .

ويرد القرآن الكريم على المتسائـلين " مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق " (٦)

فيقـول " وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنـهم ليأكلـون الطعام ويمشون فى الاســـواق " (٧)

ويقول " ولقد أرسلنا رسلا من قبـلك وجعلنا لـهم أزواجـا وذريـــة " (٨)

ويـرد القرآن على التساؤل (لولا نزل عليـه القـرآن جملـــة واحـدة " (٩)

ويقول " كذلك لنثبت به فـؤادك ورتلنـاه ترتيـلا " (٩)

لو نـزل القرآن الكريم جمـله واحـده لتعذر على الـرسول الأمـى حفظـــه .

---

(١) آل عمران ١٦٤ (٢) الامام محمد بن جزى الكلبى / كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ص ٢٣/ طبعة ٢/٧٣م /دار الكتاب العربى/لبنان (٣) يونس ١٦ (٤) الامام محمد بن جزى

ويتساءلون " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (١)

فيرد القرآن عليهم " أهم يقسمون رحمة ربك " (١)

الضمير فى قالوا لقريش والقريتان مكة والطائف.

" ومعناها من احدى القريتين او على رجل من رجلين من القريتين فالرجل الذى من مكة الوليد بن المغيرة وقيل عتبه بن ربيعة والرجل الذى من الطائف عروة بن مسعود وقيل حبيب بن عمير. ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة فى قومه وكثرة ماله فيرد الله عليهم بقوله " أهم يقسمون رحمة ربك " يعنى أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ماتقتضيه حكمته وارادته وليس ذلك بتدبير المخلوقين ولا بارادتهم " (٢)

قال تعالى " وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا " (٣)

فيرد القرآن " قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا " (٤)

أى لوكان أهل الارض ملائكة لكان الرسول اليهم ملكا

ومعنى مطمئنين أى ساكنين فى الارض.

وجاء المشركون الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله " (٥)

---

(١) الزخرف ٣١، ٣٢ (٢) الامام محمد بن جزى الكلبى/كتاب التسهيل لعلوم التنزيل/ ص ٢١/طبعة ٧٣/٤م /دار الكتاب العربى/لبنان (٣) الاسراء ٩٤

(٤) الاسراء ٩٥ (٥) الواحدى/ أسباب النزول/ ص ١٠٣ـ ١٠٥

فنزل قوله تعالى " ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لاينظرون• ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون" (١)

ومعنى ذلك أنهم لايؤمنون ولوجاءتهم أوضح الآيات ولو أنزلنا ملكا فكفروا به بعد ذلك لعجل لهم العذاب أو لو انزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته فقضى الامر على هذا موتهم• ولوجعلنا الرسول ملكا لكان فى صورة رجل لانهم لا طاقة لهم على رؤية الملك فى صورته ولو رأو الملك فى صورة انسان قالوا هذا انسان ليس بملك ولبدا خلطهم على أنفسهم وعلى صفاتهم" (٢)

ويرد القرآن:

" قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين" (٣)

والخطاب هنا موجه لليهود •

قال تعالى " وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى " (٤)

قال تعالى " شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (٥)

ومعنى هذا أن الاسلام متفق مع أصول الاعتقاد فى جميع الديانات •

قال الكافرون ان محمدا يستمد القرآن من معلم فيقول القرآن " لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين" (٦)

---

(١) الانعام (٧-٩) (٢) الامام محمد بن جزى الكلبى/ التسهيل لعلوم التنزيل ص٦١ / طبعة ٢ / ١٩٧٣م / دار الكتاب العربى/لبنان (٣) آل عمران ١٨٣
(٤) النجم آية رقم ٣ - ٤ (٥) الشورى آية رقم ١٣ (٦) النحل آية رقم ١٠٣

معجـــزة القـــرآ ن

القرآ ن تحدى الكافرين أولا : أ ن يأتــوا بمثــل هــذ ا القــرآ ن .

قال تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآ ن لا يأتون بمثله ولوكا ن بعضهم لبعض ظهيرا "(١) ثم تحداهم أ ن يأتــوا بعشر سور من مثله " أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعو من استطعتم من دون الله ا ن كنتم صادقين "(٢)

ثم تحداهم أ ن يأتوا بسورة من مثله " أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ا ن كنتم صادقين (٣) ثم أخبرهم عن الغيب الماضى " تلك من أنباء الغــــيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هــذا "(٤)

وعن المستقبل " الٓمٓ غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين "(٥)

وقوله تعـــالى " لتدخلن المسجد الحرام ا ن شاء الله آمنين محلقين رؤ وسكم ومقصـــرين لاتخافــون ... "(٦)

ومعجزة القرآ ن مازالت قائمة لا ن اعجاز القرآ ن للبشر مازال قائما

قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآ ن ولوكا ن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(٧)

الى هنا اقتنع العقل البشرى بأ ن الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وأ ن القرآ ن من عنـــد الله .

---

(١) الاســراء ٨٨ (٢) هــود ١٣ (٣) يونس ٣٨ (٤) هـــود ٤٩ (٥) أول الروم
(٦) الفتح ٢٧ (٧) النســـاء ٨٢ .

الايمـــــان بالغيـــــب

قال تعالى " الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون" (٨)

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا " (١)

مادام القرآن من عند الله فكل ما فيه صدق .

والكون فى نظر المؤمن يتسع لعالم الشهادة وعالم الغيب .

قال تعالى " فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون" (٢)

" ان العالم الغربى ينبذ الدين معتذرا بأنه غيبيات مع العلم بأن العالم المادى نفسه غارق فى الغيبيات فما هى الكهرباء وما هو الالكترون وما هى الطاقة كلها غيبيات . العلم يعرف العلاقات والكميات والقوانين ولكنه يجهل ماهية الشىء " (٣)

لقد سأل اليهود نبيهم موسى عليه السلام " أرنا الله جهرة "

فأخذتهم الصاعقة قال تعالى " واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" (٤)

انهم كانوا دون مستوى الايمان بالغيب . وحذر القرآن الكريم العقل الاسلامى من أن يرتكس فى المادية ويسأل الرسول صلى الله عليه وسلم كما سأل اليهود رسولهم من قبل .

---

(٨) البقرة ١ ـ ٤ (١) النساء ١٣٦ (٢) الحاقة ٣٨ (٣) مصطفى محمود رحلتى من الشك للايمان ص ١٠٣/ طبعة ١٩٧١/٢/دار العودة /بيروت (٤) البقرة ٥٥

قال تعالى " أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل "(١)

يقول ابن تيمية " غاية ما يتوقف عليه الشرع من العقل تصديقه للرسول صلى الله عليه وسلم " . وذلك فى كتابه درء تعارض العقل والنقل جزء ١ .

والنبى عندما يقول للعقل المتوقف عند حدود الامكان نعم يوجد له بالفعل فان العقل هنا يستند فى حكمه بوجود الله الى هذا الامكان من ناحية والى الثقة فى صاحب الخبر من ناحية الأخرى "

يوم القيامة

قال تعالى " وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم "(٢)

قال تعالى " فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة "(٣)

قال تعالى " أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى بلى انه على كل شىء قدير "(٤)

قال تعالى " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه "(٥)

قال تعالى " أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه "(٦)

" واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من االطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن

---

(١) البقرة ١٠٨ (٢) يس ٧٨ ـ ٨٠

يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم" (١)

قال تعالى " ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم" (٢)

قال تعالى " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين" (٣)

قال تعالى " ونضع الموازين القسط يوم القيامة" (٤)

قال تعالى " أيحسب الانسان أن يترك سدى" (٥)

قال تعالى " نسوا الله فنسيهم" (٦)

قال تعالى " فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا" (٧)

قال تعالى " لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب" (٨)

قال تعالى " فاتقوا النار التى وقودها والناس والحجارة" (٩)

قال تعالى " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز" (١٠)

قال تعالى " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة" (١١)

قال تعالى " وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها" (١٢)

قال تعالى " تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا" (١٣)

قال تعالى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى" (١٤)

قال تعالى " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا" (١٥)

قال تعالى " ان المتقين فى جنات ونعيم" (١٦)

---

(١) البقرة ٢٦٠ (٢) الحج ١ (٣) النور ٢٤ ٢٥ (٤) الانبياء ٤٧ (٥) القيامة ٣٦
(٦) التوبة ٦٧ (٧) الاعراف ٥١ (٨) ص ٢٦ (٩) البقرة ٢٤ (١٠) آل عمران ١٨٥
(١١) النساء ١٢٤ (١٢) هود ١٠٨ (١٣) مريم ٦٣ (١٤) النازعات ٤٠ (١٥) الكهف ١٠٧

أين الثبات الخلقي

لقد ذكرت أن القرآن أخذ بيد العقل البشري فعالجه من العاهات الفكرية حتى اذا شفي من هذه العاهات قدم له منهجا علميا على أساسه عرض القرآن الكريم الاسلام .

" وينتهي العقل البشري من استيعابه للاسلام مختارا الى معرفة آيات الله وماوعد وتوعد . هذه المعرفة تورث الخوف من الله والخوف من الله يورث المحاسبة والمحاسبة تؤدي الى المراقبة ومن المراقبة تتولد المعاني الاخلاقية كالمحبة والصدق والاخلاص . (١)

آيات الثبات الخلقي في القرآن ـ التي يتبلور حولها جماع الاخلاق الشخصية .

قال تعالى " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وأتى المال على حبة ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . " (٢)

يقصد بالبأساء ـ الفقر .

يقصد بالضراء ـ المرض

حين البأس ـ القتال

البر ـ الصدق

قال تعالى " قد أفلح المؤمنون الذين في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي / العقل وفهم القرآن/ص ١٨٢/ طبعة ٢ / طبعة ٢/ ١٩٧٨/ قدم له وحققه حسين القوتلي /دار الكندي/دار الفكر .

معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • أولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون • " (١)

قال تعالى " وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما • إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا • إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما • ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماما • أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما " (٢) قال الله تعالى " إن الانسان خلق هلوعا • إذا مسه الشر جزوعا • وإذا مسه الخير منوعا • إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • إن عذاب ربهم غير

---

١) المؤمنون ١ ـ ١١
٢) الفرقان ٦٣ ـ ٧٦

مأمون • والذين هم لفروجهم حافظون • إلا على أزواجهم أو ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قائمون • والذين هم على صلاتهم يحافظون • اولئك فى جنات مكرمون • » (١)

(١) المعارج ١٩ ــ ٣٥

الباب الاول

المبحث الثالث

الثبات الخلقي في الاعلام الاسلامي

أولا

الاخلاق الشخصية (الفردية)

الاخلاق الفردية ــ أمثلة من القرآن :

قال تعالى : "واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه ابدا . وماأظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولاأشرك بربى أحدا . ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أويصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا . وأحيط بثمرة فاصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وماكان منتصرا . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا" (١)

وفى هذه القصة القرآنية نرى الثبات الخلقى عند الرجل الفقير الصابر المنكر على صاحبه غروره وزهوه واختياله والمحذر له من سخط الله وانتقامه .

وتدعو هذه القصة الى الثبات الخلقى بشكر الله المنعم والتمتع بالطيبات بحيث لاتطيح هذه اللذائذ المادية بالاعتقاد بأن الفرد فى يد الله ان شاء رفعه وان شاء وضعه وأنه لا ملجأ من الله الا اليه .

الوارثين • وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وماكنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون" (١) كل مجموعة من الناس تكفر بنعم الله يحل عليها غضب الله " ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى " (٢)

(٣) قال تعالى " ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون • فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولايلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين • وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون • تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا • • والعاقبة للمتقين " (٣)

هذه القصة القرآنية تبين عاقبة من تكبر وطغى وفرح بالدنيا فرحا أنساه الاخرة (ولاتفرحوا بما آتاكم) فالتمتع بالدنيا لاغبار عليه (ولاتنس نصيبك من الدنيا) بشرط أن تكون الاخرة ماثلة أمام عين هذا المتمتع ويحسن الى عباد الله كما أحسن الله اليه •

المال زلزل ثباته الخلقى وأطاح بعقله لدرجة أن اعتقد أن الله خصه بهذا المال وهذا

---

(١) القصص ٥٨ (٢) طه آية رقم ٨١

(٣) القصص ٧٦ ـ ٨٣

من باب الغلو الذى يتسرب منه الانحراف والكفر ·

واهتز الثبات الخلقى عند بعض قومه ومالوا الى الحياة الدنيا وتمنوا أن ينالوا مثلما نال قارون مع علمهم بفساده وغروره وقال الذين تمكن منهم الثبات الخلقى الناتج عن العلم ثواب الله خير والثبات الخلقى هنا الصبر (ولايلقاها الا الصابرون) والصبر هنا امساك النفس عن الدنيا وزينتها اذا كانت مقترنة باهتزاز الثبات الخلقى أى بالغفلة عن الآخرة أو امساك النفس عن الدنيا اذا كان الله أراد التضييق فى الرزق فلا راد لمشيئته فالله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والثبات الخلقى هو الذى يعمل بالصبر والثبات وعدم الاهتزاز ·

(٤) قال تعالى " وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون " (١)

هنا تدعو امرأة العزيز يوسف عليه السلام للزنا فاستعصم وقال أعوذ بالله ـ الثبات الخلقى هنا لم يهتز أمام امرأة العزيز ·

(٥) قال تعالى " عبس وتولى أن جاءه الاعمى · ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى · أما من استغنى فأنت له تصدى وماعليك ألايزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى " (٢)

" الرسول هنا كان حريصا على اسلام قريش وكان يدعو أشرافهم الى الله تعالى ليسلموا فيسلم باسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم وقومه اذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الاعمى فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لايعلم بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاطعة الاعمى كلامه فعبس وأعرض عنه فنزلت الآية فكان ـ

---

(١) يوسف ٢٣ (٢) عبس ١ ـ ١٠ ·

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى عبد الله بن مكتوم بعد ذلك يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين" (١)

" روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدب بما أدبه الله فى هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى " (٢)

(٦) قال تعالى " وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين" (٣)

فى هذه الآية دعوة الى ثبات الاخلاق بالصبر كان أيوب نبيا من بنى اسرائيل وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر ثم أهلك الاولاد فصبر ثم سلط المرض على جسمه فصبر ثم لما ضاق به الامر نادى ربه ووصفه بغاية الرحمة ليرحمه فاستجاب له الله (٤)

وشخصية أيوب عليه السلام مثال للثبات الخلقى وقدوة حسنة للذين يمسهم الضر فيذكروا أيوب وصبره فيصبروا كما صبر .

" ويحاول بعض الذين مسهم الضر فى المال أو الولد أو الصحة طرد الضيق بالانغماس فى الخمر أو المخدرات أو محاولة النسيان بالاكل والملذات "(الجنسية) وأغلب هذه الطرق ترفع التوتر الجسمى والنفس وتحدث التعب"

والصبر صبران صبر على مايحبه الانسان ليبلغه أو صبر عنه وصبر على مايكرهه ليتجاوزه أو يغيره (٥)

وأمرنا بالصبر لحكم اللـــه .

---

(١) الامام محمد بن جزى الكلبى / كتاب التسهيل لعلوم التنزيل/ص١٧٨ /طبعة ١٩٧٣/٢ دار الكتاب اللبنانى/بيروت (٢) نفس المصدر السابق ص ١٧٨ (٣) الانبياء ٨٣

(٤) الامام محمد بن جزى الكلبى/كتاب التسهيل لعلوم التنزيل/ص ٣١/طبعة ١٩٧٣/٢م دار الكتاب اللبنانى/بيروت . (٥) د . أسعد على / تفسير القرآن المرتب / ص ٤١ طبعة ١٩٧٩/١/دار السؤال/ دمشق .

(٧) قال تعالى " انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا ياويلنا اناكنا طاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون. كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون" (١)

كانوا أخوة من بنى اسرائيل لهم جنة وحلفوا ألا يعطوا مسكينا منها شيئا وباتوا عازمين على ذلك فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقها فلما أصبحوا الى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطئوا الطريق ثم تبينوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بماقالوا فندموا وتابوا" (٢)

" هذه صورة تدعو للثبات الخلقى حتى لايغتر المرء بقوته أو بما يملك فتصيبه الكزازة والشح ويتحول قلبه الى صخر " .

(٨) قال تعالى " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعلمون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون" (٣)

ثبات الاخلاق هنا واضح فى عدم الطغيان وفى عدم الاعتماد على الظالمين فالطاغية لايطغى الا اذا قبل الناس طغيانه واستسلموا له ولم يقاوموه أو على الاقل لم يقاطعوه بالصمت وعدم الاختلاط وبالبعد عن الرياء له .

" كان الزهرى " المحدث العظيم يختلط ببعض الحكام المشهورين بالظلم فكتب له واحد من

---

(١) القلم ١٧ ــ ٣٣) (٢) الامام محمد بن احمد بن جزى الكلبى/ التسهيل لعلوم التنزيل /ص ١٣٨ /طبعة ٢/ ١٩٧٣/دار الكتاب العربى/بيروت (٣) هود آية ١١٢ ــ ١١٣

اخوانه يقول " ان أيسر ماارتكبت وأخف مااحتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى بدونك ممن لم يؤد حقا ،ولم يترك باطلا ءانه حين أدناك اتخذك قطبا تدور عليه رحى باطلة وجسرا يعبر عليك الى بلائه وسلما يصعد به الى ضلاله فماأيسر ماعمروا لك فى جنب ماخربوا عليك فداو نفسك فقد دخلها سقم وهىء زادك فقد حضر السفر البعيد ومايخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء" (١)

(٩) قال تعالى " قل ياأيها الكافرون لااعبد ماتعبدون ولاأنتم عابدون مااعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولاأنتم عابدون مااعبد لكم دينكم ولى دين" (٢)

عندما نزلت هذه السورة قال قوم من قريش ان محمدا يدعى أن القرآن بلسان عربى مبين وهذه السورة فيها تكرار عن وبعد عن البيان العربى وفريق آخر أبعد غورا وأكثر فهما أدرك أنه لاتكرار فى الآيات وانما فيها تصميم وعزم وثبات والتكرار هنا بلاغة لانه يناسب مقتضى الحال ، لقد مكر الذين كفروا فرد الله عليهم بمثل هذا البلاغ المبين ليسد عليهم كل منفذ يتسربون منه لخلخلة الدعوة وصاحب الدعوة ،

" جاء كبار قريش ومنهم " ابو لهب " الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا له " يا ابن أخينا مالك وألهتنا تستهزىء بهم ومالك تسفه أحلامنا اذا نزلنا على حكمهم ومالك تلفتنا عن آلهتنا وتريدها بسوء اجعل للنصفة موضعا واجعل الامر بين معبودك ومعبودا اتنا مناوبة وتداولا فاعبد أربابنا أسبوعا نعبد ربك شهرا وأعبد أربابنا شهرا نعبد ربك سنة "

يوضح الله لنا مثلا من امثلة الثبات الخلقى فالحق لاتجوز فيه المساومة والحاكم الذى يفرط فى اى جزء من قيم الدين لقاء أى عرض من عروض الدنيا له أو لأمته فانه يبدأ فى الهبوط مع أمته الى هاوية الضياع لان الامة شيئا فشيئا تفقد كيانها المعنوى الذى هو سبيل البقاء

---

(١) د ، ابراهيم سلام /خلق ودين ص ٣٥٧/ الطبعة الأولى/ملتزم الطبع والنشر /مكتبة مصطفى البابى الحلبى ...

لها والمتعة لابنائها وأجيالها اذا تزلزل الثبات الخلقى للامة فانها تتحول من صخـور شامـخة عزيزة الى كومة من تراب تقذف بها أى ريح الى أى مكـان.

(١٠) قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا أباءكم واخوانكم أولياء ان استحبـوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل ان كان أباؤكم وابنـاؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهـا أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهـدى القوم الفاسقين" (١)

فى الآيتين السابقتين مثال واضح قوى على أهمية الثبات الخلقى أمام باطل الاباء والاخوان والازواج والعشيرة والمال والتجـارة والمساكن.

هناك حق لابد من التمسك به والثبات عليه وهناك باطل متلفع بأردية القربى والعشيرة والزوجة والاباء ومستخف تحت بريق المال والتجارةوالمساكن المريحة والحق أولى بالاتباع فماخلق الله الناس الا للعبادة وما العبادة الا تحرى العدل والحق والخير فى اطار ماأمر اللـه بـه .

" والاسلام فوق كل شئ للمسلم وعليه أن يضحى فى سبيله بكل شئ ولايجوزله أن يضحى بـه فى سبيل شئ" (٢)

ان المهاجرين من مكـة قاتلوا ذوى قرباهم فى بدر وأحد والذين أمنوا مع ابراهيم عليـه السلام اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومماتعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكـم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحـده" (٣)

ومن الغريب أن اسرائيل تشوه الدين الاسلامى فى مدارس المناطق المحتلة سواء فى القـدس أو فى الضفة الغربية أو فى مدارس الوكالة فتفسر أن " قل ان كان أباؤكم .. " التى نحـن

---

(١)التوبة ٢٣، ٢٤ (٢)ابو الاعلى المودى ــ بين الدعوة والرابطة الاسلامية /ص ٤٦ /طبعة ١٩٦٧ /دار العربية / بيروت (٣) الممتحنة آية رقم ٤

بصدد ها تفسيرا يصور الاسلام بانه دعوة اجرام تجعل معتنقه قاطع طريق يفضل القتال وسفك الدماء على كل شيء لايصل رحما ولايهتم برخاء اقتصادى أو عمران أو مدنية وتكون النتيجة لهذا التأويل الشرير تتنكر الشباب المسلم لدينهم مادام يحث على القسوة والتخلف والاجرام (١)

(١١) قال تعالى " وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما " (٢)

فى هاتين الآيتين تحذير من الانتهازية ودعوة الى الثبات الخلقى فالانتهازيون يندمون على ترك الغزو اذا كانت نتيجة المعركة الانتصار والغنائم ويسرون بترك الغزو اذا كانت نتيجة المعركة الهزيمة . وفى نفس المعنى قال تعالى " واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا ام يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون" (٣)

هذه الآيات السابقة تحذر من الميل مع المنفعة ومن يفعل ذلك فلا ثبات خلق لديه وقد وبخهم الله بقوله تعالى " أفى قلوبهم مرض أم خافوا أن يجور الله عليهم" لان الرسول انما يحكم بأمر الله وشرعه . أما الذين عندهم ثبات خلقى فيقولون سمعنا وأطعنا اذا دعوا الى شرع الله .

---

(١) ماجد عرسان الكيلانى/مناهج التعليم العربى فى اسرائيل ص ١٧٧- ١٧٨/طبعة ١ مكتبة الأقصى/عمان (٢) النساء ٧٢-٧٣ (٣) النور ٤٨- ٥١ .

(١٢) قال تعالى " الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله" (١)

وقال تعالى " يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " (٢)

فى هاتين الآيتين تصوير للثبات الخلقى فلا الرأى العام له قيمة اذا تعرض للقيم الدينية الثابتة فى نفس المؤمن • والمؤمن الثابت خلقيا لا يعبأ الا بما استقر فى نفسه من قيم فالثبات الخلقى يدعو المسلم الى التشبث بالاتجاه الذى اختاره لنفسه •

(١٣) قال تعالى " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما " (٣)

ذكر الواحدى فى أسباب النزول ــ ١٢٠ ــ مناسبة نزول هذه الاية وذلك أن رجلا من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق ثم ذهب وأخفى الدرع عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين• فذهب قتادة بن النعمان الى الرسول صلى الله عليه وسلم متهما طعمة الذى قال انه لم يأخذها وقال أصحاب الدرع لقد غشنا وأخذها وبعد أن حلف طعمة تركوه وتتبعوا أثر الدقيق الذى كان يتناثر من خرق فى الجراب حتى انتهوا الى منزل اليهودى ووجدوا الدرع عنده فقبضوا عليه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن أبيرق وشهد لليهودى أناس من اليهود على صدقه فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه فى ذلك وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودى فأنزل الله تعالى الاية السابقة " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك ولا تكن للخائنين خصيما " أى لا تكن لاجل الخائنين مخاصما غيرهم •(٤)

---

(١) الاحزاب ٣٩ (٢) المائدة ٥٤ (٣) النساء ١٠٥

(٤) الامام محمد بن جزى الكلبى/ص ١٥٦/ط ٢/دار الكتاب العربى/بيروت

مجرد الميل والهوى بعد عن الثبات الخلقى والرسول مثل أعلى ،لذلك نزل الوحى ليقيم الرسول الكريم على صراط الثبات الخلقى .

وفى نفس المعنى " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا "(١)

" سبب النزول أن قريشا قالت للنبى اقبل بعض امرنا ونقبل بعض امرك"

" لولا تدل على امتناع شىء لوجود غيره فدلت هنا على امتناع مقاربة النبى صلى الله عليه وسلم الركون اليهم لاجل تثبيت الله له وعصمته أى أنه لم يفعله فانتفى الركون اليهم ومقاربته ولو لم يثبته الله لكانت مقاربته للركون اليهم قليلا "شيئا قليلا "(٢)

هذه الاية تصور أن الله قد وفق الرسول الكريم الى الثبات الخلقى على أعلى نسق .

(١٤) قال تعالى " وماخلقت الانس والجن الا ليعبدون"(٣)

هذه الاية يتمثل فيها الثبات الخلقى بأحلى معانيه فليست العبادة هى الصلاة والصوم والزكاة والحج بل ان غاية الوجود الانسانى هى العبادة المتمثلة فى كل نشاط يقوم به الانسان فالانسان يتجه الى الله فى كل نشاط يقوم به فى كل أمر من أمور الحياة فى كل حركة وفى كل نفس وفى كل خالجة وفى كل خطوة .

اذا أصاب الانسان خير شكر الله واذا أصاب الانسان شر حمد الله فهذا شىء قدره الله و لا يمكن أن يكون تقدير الله الا لحكمة ولايمكن أن تكون حكمة الله الا خيرا فالله يعلم ونحن لانعلم . الله هو الذى خلق الكون ومن فيه ومافيه " ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون"(٤)

يتلقى المسلم من الله ميزان القيم ومنهج الحياة ونظام المعيشة والتوجيه والتشريع .

---

(١) الاسراء ٧٤ (٢) الامام محمد بن جزى الكلبى/كتاب التسهيل لعلوم التنزيل/ ص ٢٦/ج٣/طبعة ١٩٧٣/٣م /دار الكتاب العربى/بيروت/لبنان (٣) الأنبياء آية ٣٥

قال تعالى " كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون " (١)

أى ليكن تعليمكم ودراستكم لله رب العالمين أساسا لا للوظائف أو المناصب أو الوجاهة فالاسلام يمنع أن يطلب العلم لغير غاية أخلاقية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار " (٢)

والذى يستشهد فى الجهاد ليقال جرئ لم يفعل شيئا) (ومن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو سبيل الله " (٣)

قال تعالى " وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون " (٤)

فالله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه . فالثبات الخلقى اذا تمكن من انسان فانه يعمل وغايته الله وحده .

---

(١) آل عمران ٧٩ (٢) صحيح الترمذى ٤ / ١٤١ كتاب العلم
(٣) البخارى ومسلم كتاب الجهاد (٤) الروم ٣٩ .

تابع المبحث الثالث

الأخلاق الفردية فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

* * * * * * *

(١) قال حكيم بن حزام سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم قال ياحكيم ان هذا المال خضره حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باسراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من السفلى . قال حكيم فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا "

فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه فيأبى أن يقبله فقال يامعشر المسلمين أشهدكم على حكيم انى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له فى هذا الفئ فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى توفى ." (١)

فى هذا الحديث الشريف يثير النبى صلى الله عليه وسلم فى نفس حكيم الثبات الخلقى تجاه المال فالمشكلة ليست ضيق ذات اليد ولكنها الطمع وعالج الرسول نفسية سيدنا حكيم لان المسلم لايصح أن يلهث وراء المال فمن تتشوف نفسه الى المال من الصعب عليه أن يحمل الرسالة وشبه الرسول الكريم المال بالفاكهة الخضرة الحلوة ويقصد بالخضرة الحديثة العهد بالقطاف وليست بذات اللون الاخضر ويقصد الرسول الكريم أن المال لا يبقى كما لاتبقى الفاكهة الحديثة عهد القطاف ومن ثم فالمال لايساوى بذل ماء الوجه .

والثبات الخلقى واضح فى رفض سيدنا حكيم أن يأخذ حقه من الغنيمة من سيدنا أبى بكر وفى رفض سيدنا حكيم أن يأخذ حقه من الفئ وهو نصيبه من الغنيمة من سيدنا عمر . كان الرسول الكريم فيه من قوة الايحاء وقوة الشخصية مايعدل بها مسار أصحابه ويضعهم فى دائرة الثبات الخلقى .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ورواه مسلم فى كتاب الزكاة فى باب اليد العليا خير من اليد السفلى .

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة اذا أعطى رضى وان لم يعط لم يرض تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة وان كان فى الساقة كان فى الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع . (١)

فى الجزء الاول من الحديث يدعو الرسول على من استسلم للدرهم والدينار والترف فى الملبس حتى صار عبدا للقطيفة والخميصة وللدرهم والدينار والرسول يدعو عليه بالتعاسة والشقاء .

أما الجزء الثانى من الحديث فهو الذى يهمنا لأن الرسول يصور انسانا بلغ مستوى رفيعا من الثبات الخلقى لايلتفت الى الدنيا وأربابها لايبتغى مالا ولاجاها فهو عند الناس لايؤبه به اذا استأذن لم يؤذن له ولايقبل الناس شفاعته ولكنه عند الله يكون وجيها فهو يفنى فى أداء واجبه بدون ضجة أو لفت النظر له اشعث الرأس مغبر القدم .

ان كان فى الساقة فهو فى الساقة أى فى أمر عظيم والساقة مؤخرة الجيش عند الخروج من الحرب وهو موضع مهم .

وان كان فى الحراسة أى فى مقدمة الجيش فهو فى مقدمة الجيش أى فى أمر عظيم . ان كان فى الحراسة فهو فى الحراسة هذا المعنى نراه من كانت هجرته الى الله ورسوله كانت هجرته الى الله ورسولة أى هذا شىء عظيم . وطوبى أى الجنة أو شجرة فيها ويقال طوباك أو طوبى لك .

---

(١) رواه الامام البخارى وابن ماجه فى كتاب الجهاد وعند البخارى فى كتاب الرقاق .

هذا الانسان الذى يؤدى واجبه ولايقصد الرياسات لايبتغى مالا ولا جاهـــا ويقبل أى موضع اتفق له يفنى بكليته فى نفسه وأداء واجبه مثل رائع للثبات الخلقى .

(٣) أخبرنا سويد من نصر أنبأنا عبد الله عـن أبى جريح قال أخبرنى عكرمة بـن خالد أن ابن عمار أخبره عن شداد بن الهاد أن رجلا من الاعراب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فلما كانت غزوة (١) غنم النبى عليه وسلم شيئا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه فأقسم له وكان يرعى ظهرهم (٢) فلما جاء دفعوه (٣) اليه فقال ماهذا ؟

قالو قسم قسم لك النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه وجاء به النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا ؟ قال قسمته لك فقال ماعلى هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على ارمى هاهنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال الرسول ان تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلا ثم نهضوا فى قتال العدو (٤) فاتى به النبى يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى أهو هو ؟ قالوا نعم قال صدق الله فصدقه ثم كفنه النبى فى جبته ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك .

هذا الحديث رد واضح على كل من يفسر الجهاد بتفسيرات مادية وعلى من يفسر التاريخ تفسيرا ماديا فالذى يخرج من أجل الدنيا لايعتبر مجاهدا فى سبيل الله ليس عند هذا الرجل غاية دنيوية فقد قاتل وكل غايته أن تكتب له الشهادة . والثبات الخلقى يظهر فى اجابة الرجل . ماعلى هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على ان ارمى هاهنا

---

١) حصلت غزوة

٢) يرعى ظهرهم اى يرعى

بسهمواشار الى حلقه فاعطاه الله الشهادة فى الموضع الذى طلبه وكفنه النبى ووصفه النبى بالعبودية لله والجهاد فى سبيله . (١)

٤) عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد ان انقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف فى النار (٢) .

الامام البخارى جاء بهذا الحديث بعد حديث النبى صلى الله عليه وسلم " لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين " وفى رواية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم " لأنت أحب الى من نفسى " .

فقال الرسول والذى نفسى بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال عمر رضى الله عنه فانك الآن والله أحب الى من نفسى فقال الان ياعمر أى الآن حصل لك كمال الايمان "

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لماجئت به" . وهذا الحديث يبين العلاقة بين القرآن والسنة بين (البيان والتبيين) قال الله تعالى " النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم " وقال تعالى " قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين " (٣)

ماالفرق بين حب الاهل والولد والزوجة والوالد والمال والتجارة وحب الله ورسوله .

---

١) أورده الامام مسلم فى باب الخصال . ٢) أورده البخارى فى اكثر من موطن ولكنه أورده أول شيء فى باب الايمان .

ومامعنى الحب فى الله

وما المقصود بكره الكفر

حب الوالد والولد والزوجة والاهل والمسكن المريح ميل قلبى لاينفيه الحديث الا انه صلى الله عليه وسلم يضعه فى دائرة أقل من دائرة حب الله ورسوله فاذا مالزمت التضحية بأحدهما استغنى عن حب الوالد والولد والزوجة والاهل والمال والمسكن المريح وكل شىء ولذلك فى الحديث أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .

ولم يقل " ممن " سواهما ليعم العاقل وغير العاقل . قال الله تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله" (١)

ولكن ما المراد بحب الله ورسوله .

المراد بحب الله ورسوله الانتماء الى شريعة الله وسنة رسوله الموضحة لهذه الشريعة ودليل هذا الانتماء اى هذا الحب العطاء الكامل فى معركة الاسلام والبعد عن المسالك المؤدية للكفر وهى كثيرة الآن وتتخفى وراء شتى أنواع الشعارات .

وما المراد بالحب فى الله " وأن يحب المرء لايحبه الا الله " أى لأجل الانتماء لشريعة الله لا لغرض دنيوى ويقول يحى بن معاذ " الحب فى الله لايزيد بالبر ولاينقص بالجفاء "

وفى الحديث " المتحابون فى الله يوم القيامة على منابر من نور يحيطهم النبيون والشهداء"

فى الحديث يصف الرسول الكريم ثلاث خصال للمسلم

١ ـ أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .

٢ ـ أن يحب المرء لايحبه الا الله

٣ ـ أن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار ـ أى أنه لوكان له الخيار

بين امرين هل يقذف فى النار او يستقر فى الكفـــــر .

يفضل أن يقذف فى النار ولا يستقر فى الكفر والنار المقصودة نار الدنيا والكراهية هنـا معناها الرفض البات . ومن أوذوا فى سبيل الله على مدى التاريخ اما انهـــــم رفضوا الاستجابة للكفر ظاهرا وباطنا كما فعل سيدنا خبيب اذ قال " ولست أبالـــى حين اقتل مسلما على اى جنب كان فى الله مصرعى " .

وأما انهم استجابوا للكفر ظاهرا وايمانهم مستقر فى قلوبهم كما فعل سيدنا عمار بـــــن ياسر وهذه رخصة سمح بها الله " ألا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان " مادخل هـــذا الحديث الشريف بالثبات الخلقى ؟

صور الرسول الكريم الثبات الخلقى فى الانسان المسلم الذى يقف صلبا صلدا شامخـــا ثابتا أمام متغيرات البشر التى تنحنى للمال والولد والاهل والمسكن المريح والزوجـــة الوضيئة .

يقف ليصحح تحريف الانسانية لانسانيتها كانما هو نبع لمعانى النور فى الارض .

هذا الانسان المسلم بثباته الخلقى يخضع الحياة لعقيدته فلا تغره الدنيا ولايمســكـه الزمان وانما يسلم نفسه الى واجبه الاسلامى . هنا ارتفع الثبات الخلقى بصاحبـــه حتى أصبح هذا الانسان يستضاء به . لقد تحول الى نسق من الانسانية العليا ترتفـع على حكم حواسها بعد أن اصبح له حواس اخرى تلمس المعنويات والمجردات فتدركهـــا مباشرة فتتذوق حلاوة الايمان .

الاسلام يقرر الثبات الخلقى ويوجبه وينشىء النفس عليه .

٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أول من تسعر بهم النار يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعم فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لا ن يقال جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار وثانيهم رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآ ن فأتى به فعرفه نعم فعرفها قال فمافعلت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرا ن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرا ن ليقال قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار .

وثالثهم رجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعم فعرفها قال فما عملت فيها قال ماتركت من سبيل يجب أ ن ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم القى فى النار (١) .

فى هذا الحديث ظاهرها الثبات الخلقى وباطنها الثبات على غايات أرضية مختلفة تماما عن الظاهر .

فهذا رجل استشهد لالتكون كلمة الله هى العليا ولكن لتهتف الناس بشجاعته وجرأته ويخلد فى أذهانهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل حمية مثل هذا الصنف لايطلق عليه لقب مجاهد " . (٢)

هذا رجل تعلم العلم وقرأ القرآ ن لاليتمكن من هداية الناس مريدا بذلك وجه الله ولكن اختيالا على رؤوس العباد ليقال عالم وقارىء وهذا آخر أنفق مالا فى سبيل الله ولكن ليقال أنه جواد .

---

١) صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد باب (٤٣)
٢) البخارى ـ كتاب الجهاد باب (١٥)

سمع رجل أن من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فأخذ في الاخلاص لينال الحكمة فلم تأته الحكمة بعد أن تم الامر فسأل عن ذلك فقيل له انما أخلصت للحكمة ولم تخلص لله .(١)

روى النسائي عن أبي امام الباهلي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له . ثم قال : ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه . (٢)

الثبات الخلقي قوة باطنة يقاد بها الانسان فلا تسير الارادة ولا تتجه الرغبة الا تبعا لأمر هذه القوة الباطنة . فاذا تم للمرء ثبات الخلق في اطار الاسلام ينطلق اثبت مايكون وأقوى مايكون لان هذا الثبات لا يبنى على العواطف التي تغور مرة وتفتر أخرى ولكنها تبنى على التأمل والنظر وتعرض في كل حين على ميزان العقل .

العواطف قوة محركة الى الخير اذا كانت خاضعة باستمرار للعقل والاسلام يحث على استعمال العقل وعلى التفكير والتبصر وسيوضح هذا في باب الثبات الخلقي والعقل في الاسلام . أو بمعنى آخر لقد وصفت الثبات الخلقي في الاعلام الاسلامي في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة .

وفي الباب الثاني اتجاوز الوصف وأوضح كيف كون الاعلام الاسلامي والقرآن الكريم والسنة الشريفة كيف ربى هذا الاعلام الاسلامي المسلمين تربية قويمة تدعوهم الى الثبات الخلقي .

لقد رسم الاسلام منهجا فكريا . وضع مسلمات للعقل البشرى ثم لما اطمأن الاسلام

---

١) الموافقات/شرح الشيخ عبد الله دراز/٢١٩/١/المكتبة التجارية الكبرى بمصر

٢) [illegible]

(الاعلام الاسلامى) الى استيعاب العقل البشرى للمنهج الفكرى عرض الاسلام فى ضـــوء هذا المنهج .

عرض الالوهية والوحدانية وصدق الرسول واعجاز القران وأنه من عند الله ثم تعـــرض للايمان بالغيب فى ضوء عقلى ثم عرض القيامة والحساب والجزاء وانتهى من ذلك كله الـــى معرفة المسلم آيات الله ووعده ووعيده وبث فيـــه التقوى نتيجـــة. هذا المنهـــج الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والتقوى تورث الخوف من الله والخوف من الله يورث المحاسبة للنفس والمحاسبة تـــؤدى الى مراقبة النفس ومراقبة النفس تؤدى الى تولد المعانى الاخلاقية كالمحبة والصدق والاخلاص ومن دوام الخوف والمحاسبة والمراقبة وتولـــد المعانى الاخلاقية يحدث الثبات الخلقـــى فالى الباب القادم لنرى كيف قاد الاعلام الاسلامـــى العقل البشرى الى الثبـــات الخلقى . وجعل هذا الثبات نورا يسير فى ضوئه المسلم ولا يحيد عنه مختارا غير مجـــبر مقتنعا غير مسير بلافهم ، سعيدا بهذا الاقتناع غير مكبل بأغلال الخوف أو مسوق بعصـــا المنفعـــة .

اللهم وفقنى وهيء لى من أمرى رشـــدا .

المبحث الرابع فى العلاقات الدولية فى الاعلام الاسلامى

(أ) القواعد الاسلامية

الجهاد (الحرب) فى الاسلام

الاسرى " "

الجزية " "

(ب) أمثلة تفسر الثبات الخلقى فى العلاقات الدولية الاسلامية

فى الحرب

فى الجزية

فى الاسرى

فى العلاقات الدولية

لايوجد في الاسلام حرب بمعناه الحالي .

إن الحرب الحالية هدفها الاستعلاء في الأرض ونهب خيرات الشعوب ومحاولة نزع جذور المغلوب من أرض قيمة لجعله ضائع الهوية مزعزع العقيدة فلايقوى على نضال .

وإذا لم يكن له تراث يخشى منه روّض كما تروض الحيوانات ليكون جامع المطاط أو زارع القطن أو حافرا لمنجم أو حمالا على سفن الشحن .

الرأسماليون في أوربا وأمريكا زيفوا الشعوب المستعمرة وأصبحوا عليهم آلهة والشيوعيون في موسكو اختلفوا عن الرأسماليين في أنهم أعطوا للشعوب المغلوبة فكرة ومنهجا وبالرغم من فساد الفكرة وضلال المنهج ومصادمته لطبيعة الانسان فانهم جعلوهم يسجدون لكهنة الحزب الشيوعي في موسكو . وإذا حاولوا إبراز هويتهم جرى عليهم ماجرى على المجر وتشيكوسلوفاكيا ومايجري الآن على الصين . فالخير ماتراه موسكو والمصلحة ماتهم موسكو . واما الدول القريبة والبعيدة فانها تدور في ساقية موسكو مغمضة العينين والويل لها إن رفعت القناع .

ألوهية الناس على الناس وعبودية الانسان لأخيه الانسان . الحرب البشرية الارضية افقار المغلوب والاستعلاء عليه وجعله عبدا لاله من البشر . والأنبياء جميعا أرسلوا لتخليص الإنسان من عبادة الانسان كانوا جميعا يقولون لأقوامهم " اعبدوا الله مالكم من اله غيره " (١) وكانوا جميعا يربطون قلوب الناس بالله حتى لايخضعوا إلا لله ولايخشوا أحدا سواه .

---

١) الاعراف ٥٩

" بعثوا لمحاربة الاستعلاء والبغى والتسلط بين البشر ولتخليص الشعوب وتحريرهـا فالمالك الحقيقى هو الله والمعبود بحق هو الله وشريعة الله نافذة فالأرض وماعليهـا ومن عليها لله والامر والحكم والتشريع لله .

" مامن حاكم ولا ولى ولا مليك مقتدر لهذا الكون إلا ذلك الاله الواحد الفرد "

" الصمد وانه هو الحاكم القاهر الذى لا معقب لحكم ولا شريك له فى الملك . "

" ولا ينفذ فى السموات والارض إلا أمره فالقانون قانونه فارفض كل نوع من أنواع العبوديـة والطاعة والخنوع لأحد من دونه وكن عبدا لله قانتا " مستسلما لأوامره (١) ولذلـك سميت الحرب فى الإسلام بالجهاد والمعنى جاهد مجاهدة وجهادا : بذل وسعه (١)

جاهد فى الله : قاتل محاماة عن الدين

وقال صاحب القاموس :

الجهد : الطاقة والمشقة واستفراغ الوسع فى مدافعة العدو (٢) ولنبدأ قصة الجهاد :

قال الله تعالى : (ياأيها المدثر قم فأنذر)(٣) والخطاب للرسول الكريم لينـذر الناس .

قال تعالى " قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا " (٤)

وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة .

قال تعالى " وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (٥)

تأكيد اخر بأن محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الناس وهذه صفة أعطاه اللـه إياها دون سائر الانبياء .

---

(١) ابو الأعلى الموردى/نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ص ١٠٣/طبعة ١ بيروت/مؤسسة الرسالة.
٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦ ٥ ٤ـ ١
٣) سورة المدثر ١ ٤) الاعراف ١٥٨ ٥) [illegible] ٢٨

وقال تعالى " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " (١) ان ذكور أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ماتوا صغارا فليسوا رجالا " ماكان محمد ابا أحد من رجالكم " .

رد على من قال فى زيد بن حارثة زيد بن محمد وخاتم النبيين أى آخرهم (٢)

قال تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (٣)

ان الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم متفق مع ماأتى به جميع الانبياء فى أصول الاعتقاد (٤)

قال الله تعالى " وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير " (٥)

أم القرى : مكة المكرمة يوم الجمع : يوم القيامة

وقال تعالى " إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم " (٦)

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فى سن الاربعين واستمر ثلاث سنين يدعو سرا الى الاسلام ولكن الله أمره بعد ذلك أن يجهر بالدعوة .

قال تعالى " فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " (٧)

اى صرح بما تقول وبدأ المشركون يضربون المشركين ويعذبونهم ولم يقتصر التعذيب على الرجال بل تعداهم للنساء ولما اشتد البلاء بالمسلمين اقترح الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فهاجروا ولم تكتف قريش بذلك بل آذت الرسول

---

١) الاحزاب ٤٠ (٢) الامام محمد بن جزى الكلبى/ التسهيل لعلوم التنزيل/ص ١٣٩ ج ٣/طبعة ٢/دار الكتاب العربى/بيروت (٣) الشورى آية ١٣ (٤) انظر الفصل الأول
٥) الشورى آية ٧ (٦) الاسراء ٩ (٧) الحجر آية ٩٤

وألقت عليه الاقذار وقت صلاته .

ولما علموا بتحالف الرسول مع أهل يثرب تآمروا على اغتياله فهاجر الرسول وأبو بكر الى يثرب . مكث الرسول بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن قريشا آذاقته كل صنوف الاذى والله سبحانه وتعالى كان يأمره باحتمال الاذى والصبر

" فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم " (١)

قال تعالى " فلاتطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا " (٢) والضمير يعود على القرآن الكريم فى (به) وقال تعالى " ادفع بالتى هى أحسن " (٣) "فاعف عنهم واصفح" (٤) (واهجرهم هجرا جميلا) (٥)

والمسلمون ذاقوا من العذاب ألوانا وكلما شكوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلو عليهم قول الله " قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون " (٦) أيام الله أى عذاب الله .

وكلما اشتدت الشكوى كان الرسول الكريم يقول الصبر انى لم أومر بقتال .

والصحابة كانوا من القلة بحيث لايستطيعون الوقوف أمام المشركين فكان لابد من الصبر . ومن جهة أخرى قد يكون هناك احتمال لأن يثوب المشركون إلى رشدهم . وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وتكونت الدولة الاسلامية بقيادة الرسول وقويت شوكة المسلمين وعندئذ أذن الله لهم بالقتال . مجرد إذن . هذه هى المرحلة الاولى .

قال تعالى " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

---

١) الاحقاف ٣٥ — ٢) الفرقان ٥٢ — ٣) فصلت ٣٤
٤) المائدة ١٣ — ٥) المزمل ١٠ — ٦) الجاثية ١٤

لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور " (١)

واشتد ساعد المسلمين أكثر فنزل قول الله " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين " (٢)

" فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين " (٣)

" ولاتعتدوا على الاطفال والنساء والشيوخ والرهبان اعتمادا على قول الرسول الكريم لخالد بن الوليد " لاتقتل شيخا فانيا ولاطفلا صغيرا ولاامرأة "

ولكن فى رأى أن هذه الاية : "• • • • • ولاتعتدوا " تمثل حلقة ثالثة من حلقات تنظيم الجهاد فى الاسلام •

الحلقة الاولى : الصبر — الثانية : الاذن الثالثة : القتال بدون اعتداء • (٤)

فالقتال فى سبيل الله واجب ومطلوب من البداية والامر فيه يؤخذ بالتدريج تمشيا مع قدرة المسلمين • ان عدم الاعتداء على الاطفال والنساء والشيوخ والرهبان على اعتبار انهم لايقاتلون من خلق الاسلام ولكن هذه الاية تمثل حلقة من حلقات التدرج فى سلسلة الجهاد •

وحتى لو بدا المسلمون القتال أليس اخراج الرسول من مكة وفتنة الناس وايذاء المؤمنين ومحاربة الدعوة أليس كل هذا يعتبر اعتداء •

ثم بلغ المسلمون مرحلة النضج وتسنموا درجة من درجات القوة اعلى من السابقة فالمدينة أصبحت معقل الاسلام وبنى الرسول المسجد وآخى بين المهاجرين والانصار وتلاشت الفوارق الجنسية والعصبية والقبلية التى مزقت شمل العرب قبل الاسلام ونزل قول الله :

---

١) الحج ٣٩ — ٤١   ٢) البقرة • ١٩٠   ٣) البقرة ١٩١

يٓا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم " (١)

وهكذا أصبح الإسلام أساس الوحدة بين البشر وسالم اليهود وأمنهم على أموالهم وترك لهم حرية التدين وفتح الطريق للراغبين فى الإسلام منهم وكفل لهم مساواتهم في الحقوق بالمسلمين بشرط الإخلاص للدولة الجديدة فى يثرب وعدم ممالأة أعداء الاسلام ولكن المشركين من ناحية ازداد إصرارهم على استئصال شأفة المسلمين . واليهود من ناحية أخرى خانوا عهودهم وتآمروا مع المشركين – عداوة حاقدة وجموح عنيد فلم يبق إلا الاستبسال فى حرب أعداء الدعوة وإلا فنى المسلمون وتلاشت الدعوة منطق الامور يتطلب الجهاد لا دفاعا عن النفس فحسب بل دفاعا عن دين الله رحمة بعباد الله وتمشيا مع قول الرسول " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ... "

أليس الشرك والعدوان والظلم ومنع الناس من الإيمان بالدعوة وفتنة المؤمنين يعتبر منكرا أنا لاأقول بأن الجهاد مجرد دفاع بل أحيانا يكون دفاعا مشروعا عن النفس ولكن الجهاد مطلوب لذاته لا لاكراه الناس على الايمان ولكن لازاحة الطواغيت الذين يحولون بين الرعية وبين مجرد معرفة هذا الدين القويم وهذه هى الحلقة التى يكتمل بها الجهاد .

نحن نقاتل لنفتح مدارس نناقش فيها أئمة الكفر ونأخذ الشعوب من ساحة الشيطان الى جنة الغفران والايمان والرحمة ولا بد أن يكون موقفنا كريما فى أثناء هذه الدعوة فنحن ندعو ووراءنا قوة تسندنا إذا اعتدى علينا فى أثناء هذه الدعوة او اذا اعتدى على المسلمين الذين أمنوا بدعوتنا فى هذه الشعوب .

---

١) الحجرات ١٣

ولكن هذه القوة التى تسندنا لا دخل لها باقناع الناس . فلا يمكن أن تكون هناك عقيدة تقوم على السيف وانما نشهر السيوف لنرهب أعداء الله حتى يخلوا بيننا وبين شعوبهم وما علينا بعد ذلك ان آمن القوم أو لم يؤمنوا إنما واجبنا أن نكمل المسيرة التى بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى " ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (١)

قال تعالى " إنك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين " (٢)

قال تعالى " لاإكراه فى الدين " (٣) " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء " (٤)

" فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب " (٥) " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر " (٦)

بهذه الحلقة يصل الجهاد إلى تمام نضجه .

وهذه الحلقة النهائية أخذت صورتها الحيوية الواقعية كالاتى :

أرسل الرسول سرية بقيادة عبد الله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين ليستطلعوا أخبار قريش بمراقبة قوافلهم ومرت قافلة من قوافل قريش بقيادة عمرو بن الحضرمى فاشتبك معها عبد الله بن جحش وأصحابه وقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدّموا الأسيرين والعير . فقال لهم رسول الله " ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام " فسقط فى أيديهم وظنوا أنهم قد هلكوا بما صنعوا " (٧)

فدافع الله عن المؤمنين ونزل قول الله تعالى " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله

---

١) يونس ٩٩   ٢) القصص ٥٦   ٣) البقرة ٢٥٦   ٤) البقرة ٢٧٢

٥) الرعد ٤٠   ٦) الغاشية ٢١   ٧) د. حسن إبراهيم حسن/تاريخ

والفتنة أكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " (١)

معنى ذلك أن الافعال التى فعلها الكفار تبرر القتال فى الشهر الحرام • وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من قتلهم فلا حرمة لهؤلاء الباغين المعتدين الذين يتسترون وراء المقدسات وهم أول من يدوسونها •

قال تعالى " واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فإن الله غفور رحيم • وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين " (٢)

اقتلوهم حيث ثقفتموهم : حيث وجدتموهم (ولكن فى ساحة الحرب)

هذه الآية تبرر الأخذ بوجهة نظرى من أن الجهاد مطلوب لذاته • هنا أمر بالقتل للكافرين الذين يفتنون المؤمنين • فالدولة الشيوعية الآن التى تفرض الإلحاد وتأخذ المسلمين فيها بكل أنواع العذاب ليلتفتوا عن دينهم وتأخذ بقية المواطنين عندها سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين تأخذهم بالفساد والضلال وبينما نحمل فى أيدينا الحق الصراح وعندنا القدرة على حمايته • إنها خيانة لدين الله أن نقعد ولانحمل السيف أو آلة من آلات الحرب لتخليص المسلمين من الأذى والفتنة ولأخذ بيد بقية الناس معهم الى طريق الله نعرضه عليهم بلا اكراه ولا من •

(فان انتهوا فان الله غفور رحيم "

---

١) البقرة ٢١٧ والشهر الحرام شهر رجب ٢) البقرة ١٩١ـ١٩٣

الانتهاء هنا الذى يستاهل غفران الله هو اعتناق الاسلام ـ انتهوا عن الكفر وآمنوا بالإسلام . أما إذا انهزموا وظلوا على دينهم مثلا فلا يستاهلون غفران الله (١)

وفى الآية التى تليها " انتهاء بشكل آخر " فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين أى اذا انتهوا عن الحيلولة دون الناس والاستماع لدعوة الحق وتركوا الباب مفتوحا لمجرد عرض الدعوة على شعوبهم . اذا فعلوا ذلك فهم آمنون والظالم يكون هو المعتدى .

ماذا عن دورنا نحن فى هذا الجهاد ؟

هل صحيح أن الجهاد قاصر على أيام الرسول فقط ؟

قامت انجلترا بدعوة لابطال الجهاد والغائه وتلك دعوى القاديانية العميلة لانجلترا ان المستشرقين فهموا ديننا تماما وحذروا أممهم منا فحاولت أوروبا أن تميع أفخر مايعتز به المؤمن وهو الجهاد فى سبيل الله قالوا إن المسلمين لاهم لهم الا سفك الدماء باسم الجهاد وحاولوا أن يقنعوا المسلمين بان الجهاد انتهى وأنشأت انجلترا لهذه الدعوة نحلة القديانية لاقناع ضعاف النفوس بالغاء الجهاد حتى نترك أنفسنا طعاما سهلا مستساغا للاوربيين ويظنون أنهم يبلغون غرضهم بان لالنا وانهم حتى وان بلغوا فينا مايهدفون اليه فان عقيدتنا خالدة " إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٢) وحتى إذا حكم على هذا الجيل بالضياع أمام الرأسماليين والشيوعيين فان الله سيقيض لدينه جيلا غيرنا يحمل الرسالة ويحميها .

قال الله تعالى : " وربك الغنى ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين " (٣)

هل صحيح أن الجهاد انتهى ولادور لنا فيه الآن ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١) تفسير سيد قطب / الظلال / سورة البقرة / دار الشروق / طبعة ٤ / ١٩٧٣ / بيروت

الجهاد ماض الى يوم القيامة " فواجب المسلمين فى الدعوة ممتد طالما كان فيه مسلمون قادرون . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرءا سمع شيئا فبلغه كما سمعه . . . " وقال رسول الله فى حجة الوداع " إنى تركت فيكم مالن تضلوا بعدى كتاب الله وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعن بعدى كفارا (أو ضلالا) يضرب بعضكم رقاب بعض وأنتم تسألون عنى فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى عنه له وفى رواية فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه " هذا أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن تقوم مقامه فى التبليغ والأداء والنصح فالجهاد واجب علينا . الجهاد مطلوب لذاته لمجرد الدفاع بل هو دفاع وهجوم وفى حالة الهجوم لانكون معتدين فنحن لا نهاجم إلا اذا انتهك حد من حدود الله الا اذا فتن شعب من الشعوب بنحلة أرضية أو شريعة بشرية عند ذلك نهاجم لنبلغ للناس حكم الله فاذا خلى الحكام الضالون بيننا وبين الشعب المضلل وضعنا " سيوفنا " فى قرابها وبدأ رسالتنا فى عرض الإسلام وماعلينا إلا البلاغ .

قال تعالى " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله "(١) .

هذه آية من آيات السيف كما يقول المفسرون والان يحاول علماء المسلمين ان يتخلصوا من أيات " السيف " بالقرآن بمحاولة التمحك بالنسخ وتحميل الايات من المعانى فوق ماتحتمل لوضع أنفسهم فى دائرة الذين يقولون بأن الجهاد لمجرد الدفاع . ان علماءنا الابرار يخجلون من الواقع المر الذى نعيشه فكيف يرفعون المسلم الى صولجان الحق وعزة الايمان . كيف يتصورون المسلم شامخ الرأس عزيز الانف أبى النفس عالى الجبهة وهو مسحوق تحت أقدام أبالسة البشر

---

(١) الحجرات ٩ .

وعتاة الشر وأرباب الدنيا .

هذه طوائف المسلمين أمامنا يقاتل بعضهم بعضافليبيا ضد مصر وضد المغرب وضد السودان وايران ضد العراق . والجزائر ضد المغرب ومصر ضد الدول الاسلامية كلها تقريبا . والاردن والعرق ضد سوريا . لو حكمنا السيف كما يقول القرآن فى هذه الطوائف المقتتلة ألا يصبح المسلمون اخوانا ويصبحون قوة على عدوهم .

ولكن كيف وكل دولة اسلامية ماعدا القليل الاقل تتبع شيطانا من الشياطين الانس .

هذه الدولة فى ركاب أمريكا وتلك فى ركاب روسيا . والقتال دائر بين روسيا وأمريكا على أجسادنا واقتصادنا وعقيدتنا . الشعوب الاسلامية كرة يتقاذفها الفريق الامريكى والفريق الروسى ونظن أننا اللاعبون ونحن فى الحقيقة الذين نتلقى ضربات أرجل هذا الفريق أو ذاك .

فكيف يقول علماؤنا إنهم على استحياء يقولون إن الجهاد لمجرد دفع العدوان فاذا لم يرد أحد بنا سوءا قبعنا فى مساجدنا نتلوا القرآن بركه وباطمئنان وكأن الدنيا حولنا لاتعنينا ــ ودع الخلق للخالق ومن تدخل فيما لايعنيه لقى مالا يرضيه .

بينما أوربا " تجاهد " لنشر الزنا والقمار والخمور والفساد وتمييع الاسلام بواسطة أجهزة اعلامنا من حيث ندرى ولا ندرى . وبينما روسيا تنشر الالحاد وعينها على الدول الفقيرة منا حتى اذا قاربت هذه الدول السقوط إعياء كالحبشة وافغانستان التهمتها كأى وحشى ضار يتتبع فريسته . إنهم يهاجمون الدول ويسحقونها لنشر أوهام ضالة وتسيل الدماء أنهارا لمجرد الدعوة إلى هذا الفساد . ونحن إذا قلنا ان الجهاد مطلوب لذاته وهدفنا أن ننشر دين الله وأن تخرج الناس من وهم الأبالسة الى يقين الاسلام قالوا ان الجهاد الاسلامى هدفه سفك الدماء . المسلمون لا يبتغون جزاء ولا يطمعون

فى أرض ولا يسعون الى ذهب أو قطن أو مطاط أو بترول ، فالله لايقبل من الجهاد الا ماكان خالصا لوجهه الكريم . نهدف إلى اعلاء كلمة الله لا الاستعلاء على عباد الله . نحن لانكره الناس على ديننا الحق ولانقبل أن يكره أحد الناس على الغى والضلال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من جاهد يبتغى عرض الدنيا فلا أجر له ، من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ." (١)

ان المسلمين الاوائل خرجوا من مكة تاركين أموالهم وأملاكهم وزهدوا فى المال وما قاتلوا من أجله . قال تعالى " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين " (٢)

وقال تعالى " وانفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " (٣) هذه الاية نزلت فى المؤمنين الذين يأتون مجاهدين ولكنهم لايجدون سلاحا ولا دابة عند ذلك نزل قول الله آمِرًا المسلمين القادرين أن ينفقوا فى سبيل الله أى فى تموين هؤلاء المحاربين بالعتاد الحربى وقال الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أى إن عدم الانفاق على الجهاد فى سبيل الله ضياع وهلاك .

ان بعض المفكرين رأى أن تكون هيئة الامم حكومة دولية بشرط إلغاء الفيتو وتزويدها بجيش ضارب قوى . إن هذه الصورة هى حقيقة الجهاد فى الأمة الاسلامية القوية . هيئة اسلامية قوية وعندها قانون الله وجيش ضارب قوى يحارب فى سبيل الله يحمل الحق للشعوب وماعليه بعد ذلك أن آمنوا أو كفروا .

صورة أخرى تقرب الدولة الاسلامية القوية وصلتها بالجهاد :

---

(١) البخاري وأبو داود والنسائي (٢) التوبة ٢٤ (٣) البقرة ١٩٥ .

هيئة حقوق الانسان فى سويسرا هى نفسها هيئة حقوق الانسان فى الدولة الاسلامية القوية وصلتها بالجهاد فى سبيل الله عند المسلمين والفرق أن الجهاد يحقق لهذه الهيئة بالسلطان والقوة وشريعة الله مالاتستطيع تحقيقه هيئة حقوق الانسان بسويسرا بالوسائل الشكلية التى تقوم بها ٠

وماذا عن أهل الكتاب؟

قوبل رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهود فى يثرب مادين أيديهم بالاخلاص — متعاهدين على أن يكونوا والمؤمنين أمة واحدة فى دستور الدولة الجديدة التى أقامها رسول الله بصفته رئيسا لهذه الدولة والرسول يعلم أن الاديان واحدة فى العقيدة وان كانت تختلف فى الشرائع ٠

قال تعالى " شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه "(١)

قال تعالى " ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "(٢) أنهم لم يكونوا جميعا ضالين بل كانت منهم طائفة مهتدية آمنت بالرسول الكريم لانه مكتوب عندهم فى توراتهم مثل الصحابى الجليل عبدالله بن سلام رضى الله عنه ٠ قال تعالى "وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب"(٣)

توضيح آخر يبين أن بعضا من أهل الكتاب آمنوا بما أنزل إليهم وما أنزل الى المسلمين والاديان واحدة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) الشورى ١٣ (٢) الاعراف ١٥٩ (٣) آل عمران ١٩٩ ٠

الفرصة كانت مهيأة لليهود ليؤ منوا وتصبح الدولة الجديدة وحدة واحدة ولكن وظيفة رجل الدين التى ألغاها الاسلام . وظيفة رجل الدين عز عليهم أن ينزلوا عنها.أحبار اليهود ودهاقينهم أخفوا نبوة محمد الموجودة عندهم فى التوراة قال تعالى " واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد " (١) لقد اخفوا نبوة محمد مع علمهم بها جريمة مع سبق الاصرار البينة أمامهم واضحة ولكنهم أخفوها قال تعالى " ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون " (٢) وأنكر القرآن عليهم التحريف والتأويل وكتمان بعض ما أنزل الله .

واتضحت الامور ، الأحبار والحاخامات ودهاقين اليهود تنكروا للاسلام وهؤلاء كانوا محاور الاتكاز لليهود فى يثرب وبدأوا يكيدون للمسلمين .

قال تعالى " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولاتؤ منوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله " (٣)

ونقض يهود المدينة العهد وانضموا خيانة الى مشركى قريش لقتال الرسول والمسلمين ونزل قول الله " واما تخافن من قوم خيانه فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين " (٤) ومعنى الاية إذا خفت الخيانة ونقض العهد فرد عهدك لهم كما فعلوا سواء بسواء .

---

(١)الصف ٦ (٢) البقرة ١٠١ (٣) آل عمران ٧٢، ٧٣ (٤)الانفال ٥٨ .

وضيع اليهود فرصة سانحة للايمان والطاعة والاخلاص ،وهذا كله من رؤسائهم ودهاقين الاحبار وأبالسة الحاخامات الذين عز عليهم ضياع نفوذهم ومواتة مراكزهم إذا هم انضموا للإسلام . وانحدر اليهود بقيادة رؤسائهم فى هاوية الخيانة اكثر فأكثر فتآمروا على قتل الرسول وهتكوا ستر امرأة مسلمة وانتهى أمرهم كما هو معروف بالهزيمة والطرد من شبه الجزيرة .

الجـــزيـــة

وماذا عن الجويزية ؟

قال تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" (١)

صاغرون يعنى مطيعون لا متمردون .

هذه الاية يجمع المفسرون على أنها لم تنزل قبل قيام الرسول وأصحابه لغزوة تبوك وغزوة تبوك كانت فى شهر رجب ٩ هـ (٢) وأول جزية جبيت فى الاسلام كانت من وفد نجران سنة ١٠هـ. (٣) وليس دفع الجزية واجبا على أهل الكتاب لانهم كفار بل هى مجرد ضريبة لاغناء من يستطيعون حمل السلاح من أهل الكتاب من الجندية .

وفى بلاد كثيرة فتحها المسلمون انضم أبناء هذه البلاد وهم على دياناتهم الاصلية لجيش المسلمين فسقطت عنهم الجزية .

" حدث ذلك فى " جرجان " وفى " أذربيجان " وحدث مع أهل ارمينية ".(٤)

وصار ذلك سنه فيمن كان يحارب العدو من أهل الكتاب وعمر بن الخطاب منعها عن نصارى

---

(١) التوبة ٢٩ (٢) نهاية الارب جـ٧ اص٣٥٢ (٣) ابوعبيد/ الأموال ص٤٦/ تحقيق محمد هراس/

تغلب لمنافاتها لأنفتهم وكبريائهم العربى (١)

والذين يدفعون الجزية يسمون بالذميين اذ أن لهم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذميون يعطون الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ولا يضار أحد منهم ولا يكرهون على دينهم وكانوا غير مجبرين على العمل بأحكام الشريعة الاسلامية بل كانت لهم الحرية فى اتباع أحكام دينهم .

قال تعالى " وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه " (٢) وقال تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من ظلم معاهدا أو انتقض حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصيمه (حجيجه) يوم القيامة " (٤) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كتاب له الى عمرو بن العاص أثناء ولايته على مصر " ان معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون الله خصمك .

الوصية العمرية لأهل بيت المقدس .

" هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان . أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها " أنه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا شىء من أموالهم " (٥) ويقول القرطبى فى تفسيره " ان لاهل الذمة " عصر خمرهم ماستروا ذلك ولم يعلنوا بيعها ومنعوا من اظهار الخمر والخنزير فى أسواق المسلمين . فان أظهروا شيئا من ذلك أريقت الخمر عليهم وأدب من أظهر الخنزير فان أراقها مسلم من غير إظهارها فقد تعدى ويجب عليه الضمان " (٦)

---

(١) ابن عبد البر / اختصار المغازى والسير ص ١٤٩/١٥٠ (٢) المائدة ٤٧ (٣) المائدة ٨
(٤) سيد سابق / السنة ج ١ ص ١٢٦ الطبعة النموذجية بالقاهرة عام ١٩٦٧
(٥) د. عبد الحليم محمود / بيت المقدس فى الاسلام ص ٥٧ / المغازى
(٦) أحكام القرآن ج ٨ ص ١١٣

الاســـرى

ومــاذا عــن الأســــرى؟

قال تعالى " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فــداء حتى تضع الحرب أوزارهــا "(١)

المن هــو اطلاق السراح مجانا .

الآية لاتبيح القتل ولا الاسترقاق. فالخيار بين أمرين اثنين المن أو الفداء . والفــداء قد يكون بالمال أو بتبادل الاســرى أو بمقابل خدمات كتعليم الصبيان. قال تعــالى " ماكان النبى أن يكون له أســرى حتى يثخن فى الارض"(٢) عاتب الله النبى على العجلة فــى أخــذ الاسرى بعد صادمات للمشركين خفيفة لا ترجح ميزانا عاما للمسلمين. والله سبحانــه وتعالى يأمر بالحرب الشاملة التى تنجلى آثارها باستئصال شأفة المشركين المعاندين الذيــن يريدون أن يطفئوا نــورالله . وبعد أن يصل المسلمون الى هــذه الدرجــة من اكتســاح المشركين لا مانع من وجــود الأســرى .

الدولة فى القانــون الاســلامى

الدولة اما أن تكون دولة الاسلام وهــى الدولة التى تكــون الكلمــة العليا فيها للمسلمين وتطبق فيها الشريعة الاسلامية واذا كان فيها ذميون فلهم الحرية فى تطبيق شريعتهم .
والدولة الاسلامية مسؤلة عنهم واما أن تكون الدولة دولة صلح وهى الدولة التى تصالحت مــع المسلمين طبقا لشروط ارتضاها الطرفان على أن تكون هــذه الدولة ملزمــة بدفع مقــدار معين من انتاجها فى نظير حماية المسلمين. ولهم حريتهم كاملة وشريعتهم كاملة بشرط أن يوجد فى هــذه الدولة من يبصر الناس بالدين الاسلامى .

واما أن تكون الدولة دولة حرب وهى الدولة التى امتنعت عن قبول الدعاة الاسلاميين فى أراضيها وللمسلمين أن يشنوا عليها حربا هجومية اذا لم يتمكنوا من اقناعهم بقبول الدعاة للدين الاسلامى ، فاذا قبلت تعتبر دولة صلح . نحن لا نقصد مكسبا أو مغنما ولكننا نؤدى ذلك لرفع لواء القانون الالهى خفاقا على ربوع العالمين. فالدنيا كلها هدف لنشر الاسلام والاسلام لا يهادن أى دولة الا اذا فتحت أبوابها لدعوته هذا

قدرنا فى هذا العالم.

قال تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم "(١)

---

(١) النور ٥٥.

(ب) أمثلة واقعية اسلامية توضح الثبات الخلقى

في العلاقات الدولية

(أ) الحرب

(ب) الجزية

(جـ) الأسرى

(١) روى أنه فى قتال المشركين أوقع الامام على كرم الله وجهه أحد المشركين وقفز فوق صدره وشهر حسامه لينحر رقبته ولكن المشرك بصق فى وجه الامام على فلم يقتل على المشرك وتركه يفر فقيل له لم لم تقتله فقال انى أقاتل فى سبيل الله فبعد أن بصق المشرك فى وجهى خفت أن يختلط الهدف الخالص فى القتل بهدف شخصى فقد تكون نفسى حملت موجدة شخصية فيكون القتل ليس خالصا فى سبيل الله

(٢) لماذهب جابى الخراج الى يهود خيبر بعد ما انقادت لامر الاسلام وخضعت له قدموا له مبلغا كبيرا من المال ليخفف عنهم بعض ما عليهم من خراج الحكومة فأبى أن يقبل الرشوة ورفضها بل شطر جميع ما أغلته أرضهم فى ذلك العام شطرين وخيرهم أن يأخذوا أيهما شاءوا ولما رأت اليهود من الجابى هذه المعاملة الغريبة أخذ العجب منهم مأخذا عظيما واستولت عليهم الدهشة حتى صاحوا

(ماقامت السموات والارض الا بمثل هذا العدل والقسط" (١)

(٣) كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى الامام الحسن البصرى مستغيثا " مابال الخلفاء الراشدون تركوا أهل الذمة وماهم عليه من نكاح المحارم واقتناء الخمور والخنازير فأجابه الحسن البصرى " انما بذلوا الجزية ليتركوا وما يعتقدون وانما أنت متبع ولا مبتدع والسلام" (٢)

(٤) روى أبو يوسف فى كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب رأى شيخا يتكفف الناس فسأله من أنت ياشيخ قال رجل من أهل الذمة فقال الفاروق العادل الرحيم " ما أنصفناك أكلنا شبيبتك وتركناك فى شيخوختك وأجرى له رزقا من بيت المال وقال الخازن بيت المال ابحث عن ضرباء هذا وأجر لهم رزقا من بيت المال وقال انه داخل فى المساكين اذ يقول الله سبحانه وتعالى " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين فى سبيل الله" فأدخله فى المساكين.

(٥) فتح سعيد بن عثمان سمرقند صلحا على مال يؤدونه للخليفة مقابل حمايتهم فلما مات وتولى بعده قتيبة بن مسلم قيادة الجيوش الفاتحة لأرض خرسان استقل هذا المال الذى يدفعونه وفتح بلادهم عنوة دون أن يخطرهم بنقض العهد السابق وايذانهم بالحرب وهذا أمر تأباه تعاليم الاسلام الكريم . فقتيبة فى هذه الحالة قد فتح سمرقند غدرا . وصبر أهل سمرقند وقلوبهم تغلى رفضا . ولما آلت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هجرية وعلم أهل سمرقند بأن الخليفة عمر بن عبد العزيز ــ كامل العدالة أنابوا عنهم وفدا لمقابلة الخليفة والشكوى له ضد قتيبة وقابلوا الخليفة ونفضوا له مابصدورهم فتناول الخليفة قرطاسا وكتب الى سليمان بن أبى السرح عامله على سمرقند وقال فيه اجلس قاضيا لوفد سمرقند وكان القاضى " جميع بن حاضر الناجى" استمع لظلامة القوم واستدعى شهودهم وشهودا من جيش المسلمين الذى حضر الاقتحام مع قتيبة فشهدوا بالحق ، شهدوا أن قتيبة فاجأ القوم بالفتح عنوة . فقال القاضى " على الجيش الاسلامى الذى فتح سمرقند بقيادة قتيبة أن يتأهب للخروج منها فورا وكذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح " (١)

" يقول ابو بكر فى توديع جيش أسامة بن زيد ياأيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى لاتخونوا ولاتغلو وتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولاامرأة ولاتعقروا نخلا ولاتحرقوه ولاتقطعوا شجرة مثمرة ولاتذبحوا شاة ولابقرة ولابعيرا الا لمأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم ومافرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليها .

---

١) عن مقال فى العربى العدد ٨٦ يناير ١٩٦٦ ص ١٠٧ ــ ١٠٩ قضية فى القضاء الاسلامى خالدة بقلم د. أحمد عبد ال

عدم التمثيل بالقتل أو الاحراق بالنار أو تجويع الاعداء أو ارهاب الاسرى واعلان الحرب قبل بدء القتال ولاتعلن الحرب الا بعد استنفاذ وسائل النصح ثم عدم التفاخر بالنصر أو مراءاة الناس " ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس " (١)

(٧) أبو عبيدة بعد ماأخذ الجزية والخراج من أهل الشام " علم أن الروم جمعت له جموعا لاقبل له بها فرد الجزية والخراج الى المواطنين ووعدهم بأنه سيأخذها منهم اذا انتصر على الغزاة من الروم . ولما انتصر تلقى الاهالى أبا عبيدة بالمال الذى رد عليهم وبايعوه

(٨) وفد نجران وكانوا من نصارى العرب ــ لما قدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاتهم فقاموا يصلون فى المسجد فأراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم ــ فصلى وفد نجران صلاتهم ثم عقدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا يدفعون بموجبه الجزية وكتب لهم " لايغير أسقف عن اسقفيه ولا راهب عن رهبانيته ولا كاهن عن كهانته ولايغير حق من حقوقهم ولاسلطانهم ولا مما كانوا عليه " (٢)

(٩) لقد فرض الحجاج الجزية على من أسلم بحجة أنهم لم يسلموا الا هربا من دفع الجزية فلما علم عمر بن عبد العزيز بذلك كتب الى عامله بالعراق ومصر " أما بعد فان الله بعث محمدا نبيا داعيا ولم يبعثه جابيا فاذا أتاك كتابى هذا فارفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة " (٣)

١٠) قال أبو بكر لخالد بن الوليد " ياخالد اذا لقيت العدو فقاتلهم بالسلاح الذى يقاتلونك به السهم بالسهم والرمح بالرمح والسيف بالسيف " (٤) ذلك مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم " (٥)

---

١) الانفال ٤٨ — ٢) سيرة بن هشام حـ ٢ صـ ٣ ٤١

٣) منتخب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال — تحقيق محى الدين عبد الحميد

أما عملية النابالم والقنابل الذرية فأمور يأباها الاسلام .

(١١) لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حمزة قد شق بطنه واصطلم أنفه وجد عنت أذناه فقال لاقتلن مكانه سبعين رجلا منهم (١) فنزل قوله تعالى " وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين " (٢)

(١٢) قال تعالى " ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست موءمنا تبغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة " (٣) أى لا تمنع الامان اذا طلب الاعداء ذلك طمعا فى أموالهم أو رغبة فى سفك دمائهم ينبغى اعطاؤهم الامان حفظا لدمائهم وأملا فى اسلامهم .

(١٣) قال تعالى " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا " (٤) لقد مدح القرآن الكريم أولئك الذين يحسنون لأسيرهم .

(١٤) فى عهد الخليفة المأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣) ياتى الى بغداد زعيم المانوية من مجوس فارس يزدانبخت فيناظره المتكلمون المسلمون ويفحمونه ويتوق الخليفة الى أن يسلم يزدانبخت ويفاتحه فى فى ذلك فيرفض الرجل فى أدب قائلا للخليفة نصيحتك ياأمير الموءمنين مسموعة وقولك مقبول ولكنك ممن لايجبر الانسان على ترك مذهبه فيتركه الخليفة وشانه بل ويطلب حمايته من العامة حتى يبلغ مأمنه بين اتباعه وأنصار مذهبه . (٥)

---

١) ذكر الواحدى ذلك فى سبب النزول . ٢) النحل ١٢٦ ٣) النساء ٩٤
٤) الانسان ٨ ـ ١٠
٥) ارنولد (سيرتوماس) الدعوة الى الاسلام ص ١٠٣ ـ ١٠٥ ترجمة د . حسن ابراهيم حسن ، د عبد المجيد عابدين ، اسماعيل النحراوى ط القاهرة سنة ١٩٧٠ م

(١٥) سيدنا خبيب يقدمونه للقتل فيقول له ابو سفيان أنشدك الله يازيد أتحب أن محمدا عندنا الآن نضرب عنقه وأنت فى أهلك ؟ قال سيدنا خبيب والله ماأحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذية وانى جالس فى أهلى • فقال ابو سفيان مارأيت من الناس احدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا • (١)

(١٦) قال تعالى " فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما " (٢) وجدنا " فى سبيل الله " قد قدم على الفاعل للاهتمام ببيان الغرض الذى شرع من أجله القتال وأن الفاعل هو قوله " الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة " جاء اسم موصول لتكشف عن طبيعة هؤلاء المجاهدين وأنهم يرجون اليوم الآخر •

ثم تأتى قضية الشر والجزاء بينة " ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما " لم تقل الاية " ومن يقاتل فسوف نؤتيه أجرا عظيما لانه ليس كل قتال يترتب عليه الاجر وانما قالت الآية ومن يقاتل فى سبيل الله ولو لم تذكر الغاية هنا لفهمت من المقام اذ أن سبيل الله قد ذكر من قبل فى الآية نفسها " فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة "

ولكن لايكتفى بمجرد الفهم هنا بل لابد من ذكرها فبدا فى جملة الشرط ليترتب الجزاء انه قتال لاعلاء كلمة الله وفى اعلاء كلمة الله تحقيق للسلام فى أبر صوره وأكرمها ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب لم يقل فيقتل أو يقتل لأن المجاهد حريص على اعلاء كلمة الله وكلمة الحق بتضحيته • واعلاء كلمة الله لاتستلزم قتل من يقاتله فى جميع الاحوال " بل

---

(١) محمد الراوى/ الحرب والسلام فى الاسلام /محاضرات الجامعة /١٤٠٠/ الرياض/كلية الشريعة

(٢) النساء ٧٤

قد يتم بالاستجابة للحق أو اظهار الخضوع له ولذا قال أو يغلب بعد قوله فيقتل فالمجاهد في سبيل الله ظافر " باحدى الحسنيين شهادة أو نصر . ولذا نرى الآية تقول فيقتل أو يغلب ولم نقل فيغلب أو يغلب لأن المجاهد لايغلب وهو في سبيل الله " فالمجاهد في سبيل الله رابح في جميع الاحوال منتصر لايعرف الهزيمة الا في جولة عابرة منبهة ولكن العاقبة له دائما . المجاهد لايغلب وهو في سبيل الله وهل يغلب الا حريص على دنيا الناس مستمسك بها . ان الناس لايهزمون الا من شهواتهم ولايذلون الا من حرصهم وكم أذل الحرص أعناق الرجال " (١)

(١٨) قال تعالى" ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها " (٢)

" في هذه الاية دعوة الى أن يقاتل المسلمون لاستنقاذ الضعاف من اخوانهم المسلمين الذين لايستطيعون الهجرة من دار الحرب وضمهم الى الجماعة المسلمة في دار الاسلام كي لايفتنوا عن دينهم .

والاصل وجوب هجرة المسلمين من دار الحرب وهي كل دار لاتقوم فيها شريعة الاسلام ولاتدين للقيادة المسلمة ليلحقوا بالجماعة المسلمة التي قامت في الارض وأصبح لها قيادة وسلطان "(٣)

(١٩) في سنة ٦٢٩ م في جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة دعا النبي الى غزوة موءتة فتقدم ثلاثة آلاف مقاتل واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة عليهم وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس وان اصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس .

---

١) محاضرات الجامعة /كلية الشريعة /جامعة الرياض/ ١٤٠٠هـ
٢) النساء ٧٥ (٣) سيد قطب /في ظلال القرآن الكريم /ج٤/ص ٥٦٣/ط٤/١٩٧٧/ دار الشروق

وعلم الروم بأنباء هذه المسيرة وبدأت المعركة بين مائة ألف من جيوش هرقل وثلاثة آلاف من المسلمين واستشهد زيد بن حارثة فتناول الراية من يده جعفر بن إبى طالب واستشهد وأخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه وجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد قائلا •

أقسمت بانفسى لتنزلنه • • • لتنزلن أو لتكرهنه

أن أجلب الناس وشدوا الرنة •• مالى أراك تكرهين الجنة

ثم أخذ سيفه وقاتل حتى قتل •

ولما علم النبى بخبرهم قال لقد رفعوا فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازدرارا عن سرير صاحبية فسأل لم هذا ؟ فقيل مضينا وتردد عبد الله بن رواحة فالمؤمن لايجوز له أن يتردد أو يخاف الموت فى سبيل الله • (١)

(٢٠) ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين "

المؤمن موصول القلب بالله والاسباب بيد الله والنتائج بيد الله والتجرد لله والاخلاص لدينه يحولان دون الاعجاب بالكثرة والاعتقاد انها ستعطى النصر وهذا لايمنع أن ينظر الجيش الى كثرته فيحمد الله فهذا لايعتبر اعجابا بالكثرة بل حمدا لله على هذه الكثرة • وارتباط القلوب المؤمنة بالله مع الاستعداد هو الذى يجلب النصر ويثبت القلوب •

" حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها جاءهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس "

---

١) د• محمد حسين هيكل/حياة محمد/ص ٣٠٧/طبعة ١٢/١٩٦٨/مكتبة النهضة

هذا الظن انفصالات القلب من دائرة الاخلاص لله والقرب من الشرك .
لأنه مامن أمر أو فعل يحدث فى هذا الكون الا كان أمر الله وفعل الله فبمجرد أن يهم الانسان بفعل شيء يطلق الله الطاقة البشرية فى الانسان لتحقق ماهمت به شرا ذلك أو خيرا تلك المسئولية التى أعطاها الله للانسان وتتبع هذه المسئولية الحساب يوم القيامة .

(٢١) الاسلام يوجب أن يتقدم الانذار على بدء الحرب باثنين وسبعين ساعة وهى فترة كافية ليكون العدو لنفسه رأيا غير معجل وترك الانذار بالحرب يعاقب عليه فى الاسلام اذ يكون على من يفعل ذلك ضمان جميع مايتلفون من الانفس والمال . (١)

---

١) الماوردى فى الاحكام السلطانية ص ٣٨ /الطبعة الثالثة / ١٩٧٣/مكتبة البابى الحلبى/م

تابع أمثلة للثبات الخلقي في العلاقات الدولية الاسلامية
عهد الحديبية

" في السنة السادسة للهجرة خرج الرسول للعمرة وهي زيارة البيت الحرام في غير موسم الحج في ألف واربعمائه من المسلمين فوقف القرشيون في طريقه على مقربه من مكة يمنعونه من دخولها فأرسلت قريش سهيل بن عمرو للتفاوض مع الرسول وأرسل الرسول قبل ذلك عثمان بن عفان للتفاوض مع قريش وتم الاتفاق بين الرسول وسهيل على :

(١) ان تضع الحرب أوزارها بين الفريقين عشر سنين

(٢) أن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلما

(٣) ألا تلزم قريش برد من يأتي اليها من عند محمد صلى الله عليه وسلم " (١)

وما كاد هذا العهد يوقع حتى أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو على المسلمين يريد أن ينضم اليهم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم " يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا ، انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم " (٢)

(٢) وفد أبو بصير من مكة الى المدينة وينطبق عليه العهد برده الى قريش لانه خرج بغير رأي مولاه فكتب أزهر بن عوف والاخنس بن شريعة الى النبي كي يرده وبعثا بكتابهما مع رجل من بني عامر ومعه مولى لهم . قال النبي " يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولايصح في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال أبو بصير يارسول الله أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني فكرر عليه النبي قوله فانطلق مع الرجلين حتى اذا كان " بذي

---

(١) تاريخ الاسلام ج١ الدكتور حسن ابراهيم حسن ص ١٢٨/ط٩/١٩٧٥/مكتبة النهضة /مصر

(٢) د٠ محمد حسين هيكل — حياة محمد ص ٣٧٥ /طبعة ١٣/١٩٦٨/مكتبة النهضة /مصر

الحليفة (سأل أخالبنى عامر أن يريه سيفه وما أن استوتقبضته فى يده حتى علابه العامرى فقتله

فخرج المولى يعدو ناحية المدينة حتى أتى النبى فلما رآه قال ان هذا الرجل قد رأى فزعا ثم قال للرجل " ويحك مالك ؟ " قال قتل صاحبك صاحبى ثم مابرح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف موجها الحديث الى محمد عليه الصلاة والسلام . يارسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى ثم غادر أبو بصير حتى نزل العيص على ساحل البحر فى طريق قريش الى الشام . "(١)

(٣) قال تعالى " وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون "(٢)

نجد فى هذه الآية قمة من قمم الثبات الخلقى فى الاسلام المشركون الذين يضمرون الحقد للمسلمين والذين شهروا السيوف لحربهم والذين بيتوا أمرهم لقتل النبى والذين أخرجوه من مكة والذين لم يرقبوا فى مؤمن الا ولا ذمة على النبى أن يجيرهم وأن يبلغهم مأمنهم ولعل المشرك فى هذه الاثناء يسمع كلام الله فتنجاب عن فطرته ركام الفساد وتتيقظ فيه عوامل الخير ... ليس الهدف فناء المشركين وانما الهدف الهداية .

أما ما قدموه من اساءة فانها تحتسب عند الله . قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود "(٣) قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون "(٤) قال تعالى " وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا "(٥) قال تعالى " والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون "(٦) قال تعالى " وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله

---

١) د. محمد حسين هيكل/حياة محمد/ص ٣٧٧/طبعة ١٣/١٩٦٨/مكتبة النهضة المصرية (٢) التوبة ٦

[illegible]

يعلم ماتفعلون. ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون"(١)

" أربى من أمة أى أزيد عددا "

" كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا حلفا أكثر عددا نقضوا الحلف الاقل عددا وحالفوا الاكثر عددا "

" من بعد قوة : من بعد احكام وبرم "

" انكاثا : اى حلا للاحكام "

" كالتى نقضت غزلها : امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه "(٢)

وقال تعالى " ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بماصددتم عن سبيل الله "(٣)

دخلا بينكم : خيانة.

(٤) اضطر الخليفة معاوية بن أبى سفيان ان يطلب من البيزنطيين عقد معاهدة صلح معهم وأخذ منهم رهائن ضمانا لعدم غدرهم ولكنهم غدروا به فرد عليهم الرهائن قائلا: " إن مقابلة الغدر بالوفاء خير من مقابلة الغدر بالغدر "(٤)

(٥) كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص فى حرب القادسية يقول بلغنى أن أحدكم يعطى الأمان لمن يطالبه من الفرس حتى اذا سلخ نفسه قتله فوالذى نفس بيده لأقطعن عنق من يأتى هذا الفعل "(٥)

(٦) المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وعلى ذلك يمكن لاى مسلم أيا كان

(١) النحل ٩١/٩٢ (٢) تفسير الجلالين ص ٢٦٤ (٣) النحل ٩٤ (٤) د.عبد الخالق النواوى العلاقات الدولية /ص ٨١/ط ١/دار الكتاب العربى ببيروت (٥) نفس المصدر ص ٩١

وضعه الاجتماعى أن يمنح الآحاد أو الجماعات من الأعداء حق الأمان وعند ذلك يكون على سائر الجماعة احترام هذا الحق وعلى الامام أن يقر ذلك الا اذا رأى أن فى ذلك ضررا أو خديعة فعند ذلك له أن ينقض هذا الحق.(١)

نقض المعاهدات فى الاسلام

قال تعالى " براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين"(٢)

إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين"(٣)

فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم"(٤)

فى هذه الايات أمر بانهاء العهود التى كانت قائمة بين المسلمين والمشركين فمن كانت عهودهم مطلقة تنهى عهودهم بعد أربعة أشهر ومن كانت عهودهم مقيدة ولم ينقصوا المسلمين شيئا ولم يظهروا عليهم أحدا فعهودهم تظل إلى مدتها. وأما الذين كانت لهم مع المسلمين عهود ونكثوها فيمهلون أربعة أشهر. فاذا انتهت المهلة بنوعيها أمر الله المسلمين أن يقتلوا كل مشرك أنى وجدوه ولا يدعونه يفلت أبدا.

ويرى الاستاذ سيد قطب فى الظلال جزء ١٠ ص١٠٨٦ إنهاء العهود مع المشركين فى الجزيرة العربية وانهاء مبدأ التعاقد أصلا مع المشركين بعد ذلك. ويرى أنه ليس المقصود بذلك ابادة المشركين وافنائهم بل المقصود إنها حملة انذار ودفع إلى الاسلام.

" فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلوا سبيلهم".

أى أنه يريد أن يقول إن الامر هنا معناه دفع للمشركين تحت رهبة السيوف أن يسلموا وانى أرى أن الابادة أصح من هذا الرأى الاخير فما كان الاسلام يكره أحدا على الاسلام.

يجوز أن المشركين يجبرون على الالتفات للاسلام بالدراسة فالاوقات السالفة الامنة كانت تطغى عليهم شهواتهم ومنافعهم فلا يلقون بالا الى دراسة مستأنيه • فاذا أجبرهم هذا الظرف القاهر على التفكير وأسلموا فعلا فاخواننا فى الدين•

ولكن ليس القصد اجبارهم على الاسلام كما يقول الاستاذ سيد قطب• ويتراجع الاستاذ سيد قطب ويبرر حملة الابادة التى استنكرها منذ قليل ويقول :

(١) ان الله سبحانه وتعالى كان يريد أن تخلص الجزيرة للاسلام وأن تصبح كلها قاعدة أمينة له وبخاصة والروم على مشارف الشام يستعدون للقضاء على الاسلام•

(٢) المعسكرات الجاهلية كانت تنقض عهودها بمجرد ان تتاح لها فرصة نقضها فما كانت هذه العهود الا نادرا عن رغبة حقيقية فى مسالمة المسلمين إنما كانت عن اضطرار واقعى إلى حين•

القاعدة الأصيلة التى يقررها القرآن هى " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا "(١)

ثم يجمع الاستاذ سيد قطب المشركين وأهل الكتاب فى خيط واحد ويسوقهم الى الاعدام مستندا الى قول الله " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق "(٢)

" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم "(٣) ويرى أن أهل الكتاب مشركون• فاليهود يقولون " عزيرا بن الله " والنصارى يقولون " المسيح ابن الله " أهل الكتاب يتخذون الأحبار أربابا من دون الله أى ينحون شرع الله ويتخذون شريعتهم مما يقرره

---

(١) البقرة ٢١٧ (٢) البقرة ١٠٩ (٣) البقرة ١٢٠•

هؤلاء الاحبار والرهبان بعيدا عن شرع الله وهذا خروج عن قاعدة التوحيد الى دائرة الشرك فلا فرق بين المشركين وأهل الكتاب. ولا يمكن أن يجتمع منهجان منهج للشرك ومنهج للايمان ولابد من تصفية أهل الشرك وأهل الكتاب. وسار الاستاذ سيد قطب في الشوط الى آخره قائلا ان عملية الابادة ليست خاصة بمواجهة حال واقعة في الجزيرة العربية وانما الامر له بعد تاريخي فيما يستقبل من الزمان بابادة المشركين وأهل الكتاب على مدى الدهور والأيام.

ويقدم أمثلة تاريخية يوضح بها مدى ماتطفح به نفوس القوم مشركين وأهل كتاب من حقد دفين وغل وحشى ضد المسلمين والاسلام.

تغافل الاستاذ سيد قطب عن قول الله تعالى " كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين" وفي هذه الاية مجال للاستقامة والمعايشة مع المشركين المسالمين وبخاصة إذا سمحوا لنا بالدعوة لديننا بينهم.

ولكن الاستاذ سيد قطب يسخر من هذا التفسير ويرى أن واقع المسلمين المر هو الذى يفرض هذا الرأى ويدافع عن رأيه بقوله " المسلمون الان في حالة ضعف والدين الاسلامى دين حركى واقعى يفصّل لكل مرحلة الردود الديناميكية التى تتناسب مع الفعل الواقع والظرف الماثل " فالدين الاسلامى يبدأ بالصبر وبالدفاع فاذا قوى ينطلق الى ابادة أعدائه وافنائهم من المشركين وأهل الكتاب.

إن المشركين وأهل الكتاب عندما يقرأون هذا القول من زعيم اسلامى على رأس حركة اسلامية فلا بد أن يتضافروا ليقتلوا هذه الحركة في مهدها وهذا مافعلوا وما يفعلون. وهذا الرأى للاستاذ سيد قطب ليس الرأى الاخير في هذا الموضوع ولا المتفق عليه بين علماء

قال تعالى " لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون" (١)

الموالاة الممنوعة هى محالفتهم ضد المسلمين أو الرضى بالكفر أما معاشرتهم بالحسنى ومعاملتهم بالمسالمة والتعاون فهذا لا غبار عليه . قال تعالى " فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا " (٢)

وقال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (٣) وقال تعالى " ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا" (٤) وقال تعالى " والله يدعو إلى دار السلام" (٥) وقال تعالى " ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (٦) .

أمرنا الله أن نناقش أهل الكتاب باللين والحسنى ولا نغلظ لهم القول بل نلتزم الادب ماداموا مسالمين لنا . قال تعالى " ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم . وقولوا آمنا بالذى أُنزل إلينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون" (٧)

وقد أحل الله للمسلمين طعامهم والتزوج من نسائهم . قال تعالى " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين" (٨)

أما الظالمون من أهل الكتاب" ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا . . . " (٩) وبخاصة إذا ظلموا المؤمنين . فى هذه الحالة تكون المقاطعة والحرب وعدم الموالاة مهما كانوا ذوى قربى قال تعالى"لايتخذ المؤمنون الكافرين

أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه" (١)

واذا كان المؤمنون ضعافا فيمكن الموالاة مع الاستعداد لرفع الأذى وجلب العزة . ولكن هذه الموالاة لاتصل بالمؤمنين الضعاف الى درجة النفاق وحرق البخور والرقص على دفوفهم . وانما الموقف يتطلب كظم الغيظ وستر الرفض والاستعداد للحرب . أما النفاق فلا . قال تعالى " بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) (٢)

فى حالة الكافرين الذين يبيتون شرا للمسلمين يجب الامتناع عن اتخاذهم أصدقاء . قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون" (٣) أما الذين يبيعون أنفسهم لقاء عرض فان من أعراض الدنيا فقد ارتموا فى خيانة الله والمسلمين . قال تعالى " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا أباءهم أو ابناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه " (٤)

---

(١) آل عمران ٢٨ (٢) النساء ١٣٩/١٤٠ (٣) آل عمران ١١٨
(٤) المجادلة ٢٢

ومجمل القول " أن الاسلام دين عدل فعندما تكون الحرب عدلا وتحقيقا للعدل فهو دين حرب وعندما يكون السلام هو العدل فهو دين سلام فالاسلام لا يجبن عن نصرة الحق ولا يهرب من تبعات السلام والمهم هو سلوك الآخرين ماذا يريدون للاسلام الحرب أم المسالمة" (١)

" لا يسوء الاسلام ولا ينقص من قدره أن يكون دين حرب وقتال اذا جوبه بعداوة حاقدة وهجوم مسلح من أعدائه وأعداء ذويه . لن يدع الاسلام أهله يقفون مكتوفى الايدى وهم يذبحون ولن يأمرهم أن يديروا خدهم الايسر لمن يلطم خدهم الايمن لان هذه مثالية لم ترق اليها بعد طبيعة الانسان بل من قاتلك فقاتله ومن يحاول قتلك فاقتله " ولكم فى القصاص حياة "

وكل من لم يقاتلنا فى ديننا ولم يخرجنا من أرضنا ولم يظاهر غيره على اخراجنا فله مودتنا الخالصة وتعاوننا الوثيقين" (١)

---

(١) خالد محمد خالد ـ الدولة فى الاسلام ص٧٦ ـ ٧٧ ـ ٨٢ م/دار ثابت للنشر و التوز
القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٨١

المبحث الخامس

==============================
======================
=================

(أ) قوانين المال في الاعلام الاسلامي :

(ب) أمثلة اعلامية توضح الثبات الخلقي في مسألة المال عند المسلمين .

" ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض "

(الشورى ٢٧)

(١) قوانين المال فى الاسلام

الاسلام عام للناس جميعا " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "(١)

والاسلام دائم لان النبى صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء •

فالاسلام لا يقدم نظرية للمال وانما يقدم منهجا مرنا لانه للناس جميعا وعلى مدى الاجيال حتى يرث الله الارض ومن عليها • قال تعالى " والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " ومشيئة الله لاتكون مشروطة بنظارية فى المال فما منهج الإسلام فى المال ؟

(١) الملك كله لله والخلق لهم حق الانتفاع• قال تعالى " لله ملك السموات والارض وما بينهما "(٢) الكون كله ماعليه ومن عليه ملك لله والمال هو مايتموله الناس ومايستفيدون منه جزء من الكون فهو ملك له •

قال تعالى " وآتوهم من مال الله الذى أتاكم "(٣)

فالانسان له حق الانتفاع بالشروط التى وضعها المالك الحقيقى " ويخرج الانسان عن قانون فطرته اذا شعر بأنه مالك لا واضع لليد وخروجه هذا يؤدى به الى الكفر " قال تعالى " ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى "(٤)

قال تعالى " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه "(٥)

قال الامام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية (أصل الملك لله سبحانه وتعالى والعبد ليس له الا التصرف الذى يرضى الله وهذا دليل على أن الاموال ليست أموال البشر فى الحقيقة "(٦)

وعند ما قال قارون " انما أوتيته على علم عندى " كانت النتيجة " فخسفنا به وبداره الارض " غير

---

(١) الانبياء (٢) المائدة ١٧ (٣) النور ٣٣ (٤) فصلت ٥٠

(٥) الحديد ٧ (٦) تفسير القرطبى / الطبعة الثالثة / ١٩٦٧ / عن طبعة دار الكت

أنه في كتاب الله آيات تصنيف المال للانسان على وجه الامتلاك له .

قال تعالى " اعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم " (١)

ويجيب عن هذا الاختلاف الظاهري الشهيد عبد القادر عودة في كتابه " المال والحكم في الاسلام " (٢) قائلا لقد أضاف القرآن مال السفهاء الى أوليائهم لا لان هؤلاء الاولياء ملكوا المال ولكن لانهم يملكون حق التصرف فيه .

قال تعالى " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا " (٣)

(٢) حق التصرف في المال مرهون بالرشد :

فاذا تم هذا التصرف بسفه كان من اللازم استرداد هذا الحق ووضعه في يد الجماعة .

(٣) الملكية الاسلامية لابد أن تكون من حلال

" ومن تعاقد صريح صحيح " فمن امتلك أرضا اشتراها بمال مسروق بطلت ملكيته وحيازته .

ومن اشترى عقارا من شخص غير أهل للتصرف بطل التعاقد بينهما واذا وقع اكراه أو تدليس في العقد بطل هذا العقد " (٤)

(٤) تحريم الاكتناز :

قال تعالى " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون " (٥)

---

(١) الانفال ٢٨ (٢) سورة ص ٤٣ (٣) النساء ٥
(٤) محمود ابوالسعود " خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي — ص ٨١ / طبعة ٢/مكتبة المنار الاسلامية / الكويت (٥) التوبة ٣٤

فالاكتنـاز حبس المال عن التداول وحرمان المجتمع من هـذا المال والبطء فى تداول المال يـؤدى بالعالم إلى أزمـات اقتصادية " فالاضطراب فى عمليتى التوزيع والانتـاج يعنى تكدس السلع وبطالة العمال " (١)

ولذا نجـد الآيات تحض على الانفاق وتوضح أن هذا الانفاق يعود علينا وأن حبس المـال يورد نا موارد التهلكـة . قال تعالى " وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" (٢)

ويقول الله تعالى "حاضا على الانفاق" قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقـوا مما رزقناهم سـرا وعلانيـة " (٣)

ويوضح لنا الله سبحانه وتعالى أن الانفاق يعود علينا بالخير . قال تعالى " وماتنفقـوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون" (٤)

والذى يقف عن الانفاق هـو بمرتبة الكافـر " أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يـدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين" (٥)

وقال تعالى " وابتغ فيما أتاك الله الـدار الآخـرة " (٦)

وقال تعالى " وماتنفقوا من خير فلأنفسكم " فالمال يجب أن يظل أبدا فى التداول ولايكـون ذلك إلا بالانفاق " فمداومة الانفاق معناه زيادة الطلب وزيادة الطلب تـؤدى الى زيـادة الانتـاج وزيادة الانتـاج معناه الرفاهيـة " (٧)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن فى المال حقا سـوى الزكـاة " (٨)

وقال تعالى " الشيطان يعدكم الفقر والله يعدكم مغفـرة منه وفضـلا " (٩)

---

(١) محمود ابو السعود/خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى/ص ٣٨/طبعة ٢/مكتبة المنار الاسلامية / الكويت (٢) البقرة ١٩٥ (٣) ابراهيم ٣١ (٤) الانفال ٦٠
(٥) الماعون ١ (٦) القصص ٧٧
(٧) محمود ابو السعود /خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى/ص ٣٢/ط ٢/مكتبة المنار الاسلامية /الكويت (٨) سنن ابى داوود (٩) البقرة ٢٦٨

(٥) المال لا ينحصر فى فئة خاصة

قال تعالى " لكى لايكون دولة بين الاغنياء منكم " (١) فالاسلام يأمر بالانفاق حتى يتداول المال المسلمون جميعا ولا ينحصر فى فئة خاصة وفى الحديث الشريف " اذا جاع المسلمون فلا مال لأحد " ولقد أوقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حد السرقة عندما حلت المجاعة بالمسلمين.

ان زكاة النقد ربع العشر على كل مال تجاوز النصاب وحال عليه الحول ولكن اذا احتاجت الدولة فلها أن تزيد من النسبة ان كانت فى حاجة الى المال .

يقول الامام القرطبى " اتفق المسلمون أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف المال اليها " (٢)

(٦) التوسط

قال تعالى " لاتجعل يدك مغلولة على عنقك ولاتبسطها كل البسط . . . " (٣)

وقال تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " (٤)

وقال تعالى " وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) (٥)

وقال تعالى " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " (٦) والعفو أى الفاضل عن الحاجة الذى لا يوجع عند انفاقه .

(٧) النهى عن الترف:

أترفته النعمة أى أطغته . قال تعالى " كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى " (٧)

فوفرة المال قد تذهب العقل اذا لم يحرس الانسان ايمان شديد . واذا توفر هذا الايمان الشديد فلن يتوفر هذا المال الكثير . قال تعالى " واذا أردنا أن نهلك قرية

---

(١) الحشر ٧ (٢) جامع القرآن ص ٢٢٣ / الطبعة الثالثة / ١٩٦٧ / عن طبع دار الكتب المصرية / دار الكتاب العربى (٣) الاسراء ٢٩ (٤) الفرقان ٦٧ (٥) الاسراء ٢٦

أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا " (١) وقال تعالى " وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم " (٢) وقال تعالى " وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون. قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بماأرسلتم به كافرون " (٣)

(٨) المال والمساواة :

الأرزاق من الله قال تعالى " إن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " (٤)

ولله حكمة فى بسط الرزق لهذا وتقتيره على ذلك الشخص الآخر ولايمكن أن تكون حكمة الله الا خيرا بعض هذه الحكمة تدركها عقولنا وبعضها الاخر تخفى علينا ومن هنا فليس للاسلام نظرية فى المال وانما فيه حكمة نفسهم بعضها ويخفى علينا بعضها الآخر ومشيئة الله فى الارزاق ليست مشروطة كل من يعمل يكافأ ولكن ليس كل من يكافأ يكون من الكادحين الحاسبين.

وتفاوت الارزاق يتمشى مع الآية الكريمة " ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " وهذا هو الجزء الذى تخفى علينا حكمته. أما الجزء الذى ندركه فهو ان تفاوت الارزاق شيء طبيعى لان هذا التفاوت يتبع القدرات المتفاوتة بين الناس والظروف البيئية والاجتماعية والطبيعية التى يتفاعل معها كل انسان لقدراته المختلفة. قال تعالى " أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون " (٥)

---

(١) الاسراء ١٦ (٢) الواقعة ٤١ ـ ٤٦ (٣) الزخرف ٢٣ ـ ٢٤ (٤) الرعد ٢٦
(٥) الزخرف ٣٢.

قد يكون هناك من يملك المال ولكنه لا يستطيع استثماره وقد يكون هناك من لا يملك المال ويستطيع استثماره وهذا معنى " ليتخذ بعضهم بعضا سخريا " أى ليخدم بعضهم بعضا . والاسلام لا يقبل أن يكون تفاوت الرزق سببا فى استعلاء طائفة على أخرى فقيمة الانسان فى الاسلام فى دينه وتقواه لا فى ماله وغناه فالمعيار المادى ليس مقياسا توزن به أقدار الناس فى الاسلام .

قال تعالى " وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون" (١)

(٩) لكل أمرىء ماسعى

لا يقر الاسلام استغلال الغنى للفقير ولا أن يغتنى شخص على حساب آخر ولا أن يأكل شخص من سعى غيره وكل ملكية تؤدى الى بطالة غير جائزة فى الاسلام فالملكية لاتقعد صاحبها عن العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها فان أبى فليمسك أرضه " (٢) ومعنى امساكها عدم اهمالها .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ للأرض أجر أو خط" (٣)

" كراء الارض بجعل ثابت يؤدى إلى تقاعد المالك وتكاسله فهو ضامن لقدر معين من ناتج أرضه يتقاضاه دون أن يتعرض لاية مخاطرة فالارض باقية مستصلحة وفى زرعها نفع لها وينتج عن ذلك أن يتجمع المال بيد الملاك الزراعين فيتحكمون فى أرزاق الفلاحين وتصبح لهم سطوة وقوة وتصبح الارض بمثابة رأس المال الذى يدر ربا على صاحبه" (٤)

مالك الارض اما أن يزرع أرضه بنفسه أو يشارك آخر فى نفقات زرعها فعلى الاخر العمل وعليه السماد والالة مثلا ثم يوزع الناتج بنسبة يتفق عليها سابقا . فاذا أجدبت الارض ولم

---

(١) سبأ ٣٧ (٢) البخارى ص ٢١٧ (٣) صحيح مسلم ج١ ص ٤٥٢

تنتج محصولا خسر كل منها ما أنفق ولا يكون للارض أجر قط .

لابد أن يبذل المالك جهدا ويتحمل خطرا والا أصبحت الارض ربوية ولمالك الارض خيار ثان اذا لم يوافق على هذا الحل فله أن يمنحها لغيره وهذا الغير يزرعها لنفسه ويتحمل الخسارة والربح له .

ولمالك الارض خيار ثالث هو أن يخدم الارض ولا يتركها بورا . فاذا لم يرض وكان للمسلمين حاجة لانتاج الارض فانها تنزع منه .

الاسلام يحرص أن يكون المسلمون عاملين منتجين والملكية التى تقعد بصاحبها عن العمل غير جائزة شرعا .

قال تعالى " ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى " (١)

وقال تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى " (٢) ويناقش الاستاذ محمود أبو السعود رأى بعض الفقهاء الذين أجازوا المزارعة اعتمادا على حادثة رجاء يهود بنى خيبر للنبى أن يبقيهم فى أرضهم على أن يكون لهم شطر من التمر ووافق الرسول الكريم على ذلك .

يرى الاستاذ محمود ابو السعود أن الارض لم تكن ملكا شخصيا للرسول وانما آلت الى المسلمين بحكم الفتح والرسول رئيس الدولة والحكمة التى رآها الرسول فى جواز المزارعة هى تقييد اليهود بمكان محدد معروف يمكن مراقبتهم به .

---

(١) العلق ٦ (٢) النجم ٣٩ .

فالرسول وافق على المزارعة تأمينا لمصالح الدولة العليا وليس نسخا لما قرره النبى صلى الله عليه وسلم من تحريم كراء الارض.

أما كراء الدار فالأمر مختلف فالدار سلعة تستهلك باستعمالها واذا استهلكت الدار فقد استهلك رأس المال بخلاف الارض التى لاتستهلك بالزراعة بل تتحسن.

أما المضاربة وهى أن يعطى مسلم ماله لآخر يتجر فيه والربح بينهما حسب الاتفاق على أن يكون الربح جزءا شائعا كالنصف أو الربع واشتراط الخسارة على المضارب باطل ولا نصيب للمضارب الا من الربح فقط وان خسرت المشاريع فلا أجر له وهو أمين فلا ضمان عليه فى حالة الخسارة الا اذا تعدى.

البنك الاسلامى :

البنك الاسلامى يعتبر بالنسبة للمودعين هو الشريك المضارب وتطبق قوانين المضاربة التى ذكرناها . فالبنك أمين على رأس المال الذى يعتبر وديعة عنده . وهو فى تصرفه وكيل عن رب المال وان ربحت مشروعاته كان شريكا فى الربح واذا خسرت المشاريع فلا أجر له . والبنك الاسلامى له علاقة بين المودع وبين أصحاب المشروعات المقترضين فى حالة الايداع المودعون أرباب المال ويعتبر البنك المضارب الذى يستثمر المال على أن يكون له نسبة معينة من الربح .

والبنك يوظف هذه الاموال فى المشاريع واذا اعتبر البنك بالنسبة للمودعين هو الشريك المضارب فانه بالنسبة لاصحاب المشروعات الذين يقترضون منه هو " صاحب العمل " وأصحاب المشروعات هم الشركاء المضاربون .

ونصيب البنك من أرباح المشروع يحدد بالاتفاق مع اصحاب المشاريع واذا خسر المشروع ينظر فى الامر فان لم يكن فاهمال أو سوء قصد من صاحبه فلا تقع عليه خسارة أما اذا ثبت شىء من ذلك فانه يعتبر متعديا ويكون عليه الضمان .

" والمشروعات التى يساهم فيها البنك منها مايربح ربحا جيدا ومنها مايربح ربحا متواضعا ومنها مايخسر وفى نهاية السنة يقوم البنك بتسوية شاملة بين أرباح وخسائر جميع المشروعات الاستثمارية التى وظف البنك فيها أموال الودائع وبعض أموال المساهمين والصافى بعد هذه التسوية يخصم البنك منه أولا مصاريفه العمومية ثم يوزع الباقى بينه وبين المودعين طبقا للاتفاق بينه وبينهم ".(١)

لماذا يتحتم على مالك الارض فى حالة المزارعة الاسلامية أن يساهم فى نفقات المزارعة مع شريكه العامل؟

لماذا يشترط فى المضاربة أن تكون حصة كل منهما فى الربح جزءا شائعا كالربع أو الثلث مثلا ؟ لماذا لايصح اشتراط الخسارة على المضارب؟ لماذا اذا هلك المال كله أو بعضه فلا غرم على المضارب ر لانه أمين؟

الاجابة على هذه الاسئلة تتلخص فى أن الاسلام لا يبيح لابنائه أن يتكسبوا المال كيفما شاؤا بل هو يضع طريقة لكسب المال تجعل المسلم موصول القلب بالله فهو فى مخاطرة بماله والله وحده هو المغنى .

(١) فعنصر المخاطرة يعكس فى نفس الفرد المسلم الشعور بالافتقار الى الله والى رحمته ويعكس الاحساس العميق بالآية الكريمة " ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد "(١) هذا من جهة .

(٢) ومن جهة اخرى يحارب الاسلام وجود طبقات فارغة تتكدس الثروات فى أيديهم وهم نائمون ان الشر والفساد ينبع من وجود هؤلاء المترفين الذين يكسبون المال والعمل الوحيد الذى يكسبون المال به هو مجرد الانتظار بينما غيرهم يكدح لهم .

(٣) المال الفائض لا بد أن يستثمره صاحبه أو يقرضه لمن يستثمره ولايجب اطلاقا أن يدعه معطلا عنده انه خير ومن الواجب أن ينتفع الناس بهذا الخير .

(١٠) عقوبة الربا أفظع من أن تحدد

الربا معناه فى اللغة الزيادة والنماء يقال ربا الشئ يربو رباوة وربا اذا نما وزاد . ومنه الربوة وهى الصخرة المرتفعة على ماحولها وقال تعالى " فأخذهم أخذه رابية "(٢) أى زائدة .

---

(١) فاطر ١٥ (٢) الحاقة ١٠ .

والاصل فى الربا هــو / دين يــؤدى عنــه مال زيادة على أصل الدين فى مقابل المدة التى يظل فيها الدين فى ذمــة المدين.

والربا الذى جاء القرآن بتحريم هو ربا النسيئة والذى يقع بين الدائن والمدين بغــرض زيادة على أصل الدين فى مقابل تأجيل دفع الدين مدة معينة .

روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال " انما الربا فى النسيئة " (١)

وجاءت السنة المطهرة فحرمت الامور المفضية الى الربا ومن قبيل هذا " ربا الفضــل " وهو بيع المتماثلين من ذهب او فضة او بر أو تمر بزيادة أحد المثلين على الآخــر كمن يبيع درهما من الذهب بدرهم ونصف من الذهب أيضا وكمن يبيع قدحا من التمـر بقدح ونصف منه .

ومن الامور المفضية الى الربا بيع الغرر .

يقال غرر به اذا ساقه الى سوء أو أوقعه فى مكروه عن طريق الحيلة والخديعة والغــش مثل بيع السمك فى الماء أو بيع الحيوان الشارد عن صاحبه .

روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمار حتى تزهر قيل وماتزهر ؟ قال تحمر أو تصفــر قال أرأيت اذا منع الله الثمرة ثم يستحــل أحدكم مال أخيه ؟

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنــين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمــون) (٢)

وفى هذه الاية الكريمــة رد على من يقول أن الربا لايحرم الا اذا كان اضعافــا مضاعفة لان الله لم يبح الا رؤوس الاموال .

---

١) صحيح مسلم جـ ٥ ص ٥٠ ٢) البقرة ٢٧٨ ــ ٢٧٩

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن يارسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " .

والسبب فى تحريم الربا أنه مظهر من قسوة القادر على العاجز ولهذا فهو يسبب العداوة بين الناس ويعود الى خلق طبعه مترف لا تعمل شيئا ويضخم المال فى يدها دون جهد مبذول أما لماذا لم يضع الاسلام عقوبة مادية للربا مثل الجرائم التى فرض الله عليها عقوبة (١) فذلك لان الحدود التى فرضها الاسلام للقتل والسرقة والزنا هى تطهير لمرتكبيها من آثار ماارتكبوا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا أراد الله تعالى بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة " (٢)

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله . . . . " (٣)

فحد الربا " فاذنوا بحرب من الله ورسولة . . . "

(١) عبد الكريم الخطيب/السياسة المالية فى الاسلام / ص١٤٦/دار المعرفة للطباعة والنشر/بيروت .

(٢) الترمذى (٣) البقرة ٢٧٨ـ ٢٧٩ .

ان الحضارة الغربية تقصر همها على الحياة الدنيا لأن أهلها لا يؤمنون باليوم الآخر ،فكل ما يؤثر فى المصالح الدنيوية تهتم به كالصدق فى التعامل والدقة فى المواعيد والأمانة فى المعاملة والوفاء بالوعد . أما القيم المعنوية التى لاتتعلق بها مصلحة مادة (١) فهى لاتلقى اليها بالا مثل العفة ، الحياء الشرف ، الاحسان ، العطف ، الاخلاص ، مراعاة حقوق الآخرين . فهل من المعقول أن نأخذ من هؤلاء تشريعا ؟ أى تشريع ؟

هل نأخذ من الانسان تشريعا اقتصاديا والانسان يقول الله فيه :

(ان الانسان خلق هلوعا) (٢)

(وخلق الانسان ضعيفا) (٣)

(وكان الانسان عجولا) (٤)

(اذا مسه الشر جزوعا) (٥)

(اذا مسه الخير منوعا) (٦)

(وكان الانسان أكثر شىء جدلا) (٧)

(وتحبون المال حبا جما) (٨)

هل يمكن أن نهتدى بتشريع هذا الانسان ؟

(ان الغرب يعطى السلطة العليا للعوام) (١) فمن الذى يختار للمجالس النيابية ؟ اليس هم العوام .

فالاقتصاد فى الغرب رأسمالى يسمح للفرد بالاحتكار والتسلط ،والاقتصاد فى روسيا مادى ، الكل بيد الدولة . وتطغى فيه مصلحة الجماعة على الفرد وخطأ هذه المذاهب أنها تصورت الانسان مادة فحسب .

أما الاقتصاد الاسلامى فهو نظام الهى لايتبدل ولايتغير لأنه من عند الله فلا مكان لمقارنته بالأنظمة الوضعية التى يعتريها النقص ويطرأ عليها التغيير الاقتصاد الاسلامى يوجهه ويحكم مساره الايمان بالله الواحد الأحد .

يقول الرسول عليه السلام : (ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان

---

(١) محمد تقى الدين الأمينى /الاسلام تشكيل جديد للحياة /ترجمة د.مقتدى حسين/ ص ١٩٨٢/١٥٣ دار العلوم/الرياض

(٢) المعارج الآية ١٩ (٣) النساء الآية ٢٨ (٤) الأسراء ١١ (٥) ، (٦) المعارج ٢١

(٧) الكهف ٥٤ (٨) الفجر ٢٠

خالصا وابتغى به وجهه) (١)

والمرء يتجه بنشاطه الى الله خشية وتقوى . يقول الله سبحانه وتعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (٢)

والاسلام يعتبر أن كل نشاط فى اطار الايمان بالله واليوم الآخر عبادة .

رأى بعض الصحابة شابا قويا يسرع فى مشيه الى عمله . فقال بعضهم (لو كان هذا فى سبيل الله) فرد النبى صلى الله عليه وسلم (لا تقولوا هذا فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله . وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وان كان خرج رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) (٣)

والاقتصاد الاسلامى يحفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وصور الرسول الكريم التوفيق بين مصلحة الفرد والجماعة بقوله (ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقالوا له ماذا تصنع ؟ قال هذا مكانى أصنع فيه ما أشاء فان أخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا) (٤)

والاقتصاد الاسلامى نظام فريد قائم بذاته لاينتمى لأى مذهب من المذاهب الوضعية لأنه من الله العليم الحكيم الذى يشرع لخلقه ما يتناسب مع فطرتهم ويقوم هذا التشريع على أسس انسانية خلقية . أى أن الاقتصاد الاسلامى (ليس نظاما شيوعيا لأنه يقر الملكية الفردية ويحميها وليس نظاما رأسماليا لأنه لايطلق العنان لرأس المال بل يحرص على تجريده من وسائل السيطرة والنفوذ وليس من النظم الاشتراكية المتطرفة الى اليسار لأنه لا يمعن فى اضعاف رأس المال الفردى بل يفسح له المجال للقيام بوظيفته فى حدود المصلحة العامة بوصفه عاملا مهما من عوامل الأنتاج وليس من النظم الاشتراكية المتطرفة الى اليمين لأنه لا يجنح مثلها الى تخفيف رقابته على الملكية الفردية ورأس المال الفردى) (٥)

ومجمل القول أن النظام الاقتصادى الاسلامى يعتبر هذا الكون ملكا لله وينظم الله الموارد والثروة والملكية بالأسلوب الذى يقرره وملكيتنا نوع من الانتفاع وليس للمالك الحق فى التصرف فيما يملكه فى حياته الا طبقا لما حدد المالك الحقيقى وليس حرا فيما يملكه بعد موته .

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائى
(٢) سورة الحشر الآية ١٩
(٣) البخارى ومسلم
(٤) البخارى والترمذى
(٥) عبد الواحد وافى ـ المساواة فى الاسلام ص ٦٥ / الطبعة الثالثة /١٩٦٥/ سلسلة

فالأسلام وضع للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا يقلل الفروق بين الطبقات ويحقق التوازن الاقتصادى . أما الوصية فلا تجوز لوارث لقوله صلى الله عليه وسلم (لا وصية لوارث)(١)

أما الوصية لغير الوارث فجائزة باجماع الفقهاء تيسيرا لأعمال البر ولكن تكون فى حدود الثلث من التركة .

---

(١) رواه أصحاب السنن

أمثلة إعلامية توضح الثبات الخلقى
عند المسلمين فى أمور المال

١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طائر أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة " (١)

فالمسلم حين ينتج يضع بين عينيه النفع والانتفاع وخدمة الحياة ويجاهد حبا فى طاعة الله ملتزما بالحديث السابق وبالاية الكريمة " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم .. "

أما من ينتج لمجرد الانتفاع الشخصى حتى لو أضر غيره فقد بعد عن الثبات الخلقى لأن الايمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل " فمن أمن قلبه " بوحدانية الله ثم أشرك فى عمله المال فقد كذب عمله ايمانه " وروى عن سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه أنه قال " من اصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء)

وألزم الله قلبه أربع خصال

همّا لاينقطع عنه أبدا .

وشغلا لايفرغ منه أبدا .

وفقرا لايبلغ غناه أبدا .

وأملا لايبلغ منتهاه أبدا .

٢) كانت هناك أزمة قوت فى المدينة وجاءت لسيدنا عثمان قافلة حاملة برا وسعرت لسيدنا عثمان بأعلى الاسعار فرفض كل ثمن ووزعها على أهل المدينة بلاثمن .

٣) ضيق يهودى على أهل المدينة فكان يبيعهم الماء بثمن غال لأنه يملك بئرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة ويكون دلوه فيها كدلاء المسلمين

---

١) البخارى جـ ٣ ص ٢٠٨

يكون له مثلها فى الجنة فتقدم عثمان لشرائها فتغالى اليهودى فى ثمنها فعرض سيدنا عثمان أن يشترى النصف على أن يكون لعثمان يوم ولليهودى يوم ينتفع بثمن الماء فيه فوافق اليهودى فكان سيدنا عثمان يبيع الماء بغير أجر فى يومه فيقبل عليه الناس ويأخذون مايكفيهم ليومين فاذا جاء يوم اليهودى لايشترى أحد فاضطر اليهودى لأن يبيع النصف الآخر بأبخس الاثمان .

وهكذا يرى المسلم العبادة فى كل عمل يقوم به .

٤) أرسل أبو حنيفة وكيله لبيع جملة من الاثواب ونبه أبو حنيفة وكيله أن فى الاثواب معيبا وعلى الوكيل أن ينبه الشارى الى ذلك الثوب المعيب فلما باع الوكيل الاثواب كلها سأله الامام أبو حنيفة عما اذا كان قد نبه الى المعيب فقال الوكيل أنه نسى فما كان من الامام الا أن تصدق بثمن الصفقة كلها لأنه قد دخل فى الصفقة من المال كسب خبيث لايدريه .

٥) روى عن ابن عباس قال " دعانى عمر فاذا حصير بين يديه عليه الذهب منثورا نثر الحثا (التبن ـ الدقيق) قال هلم فاقسم بين قومك فالله أعلم حيث حبس هذا أى أخر مجىء هذا المال الكثير ـ عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وأعطانيه الخير أراد بذلك أم لشر ؟ قال أى ابن عباس فأكببت اقسم فسمعت البكاء فاذا عمر يبكى ويقول فى بكائه كلا والذى بعثه بالحق ماحبس هذا عن نبيه وعن ابى بكر ارادة الشر بهما وأعطاه عمر ارادة الخير به " (١)

٦) زينب بنت جحش زوج رسول الله وربيبة بيت النبوة يعرض لها عمر بن الخطاب اثنى عشر

---

١) كتاب الاموال لأبى عبيد. ٢٥٠ /تحقيق محمد خليل هراس/ ١٩٧٥/مكتبة الكليات الأزهرية/مصر/دار الفكر بيروت

ألفا مما أفاء الله على المسلمين من مال فلما وضع المال بين يديها قالت غفر الله لأمير المؤمنين كان في صويحباتي من هي أقوى على هذا المال مني فقيل لها ان هذا كله لك فأمرت به فصب وغطته بثوب ثم قالت لبعض من عندها ادخلي يدك لآل فلان وآل فلان فلم تزل تعطي لآل فلان وآل فلان حتى قالت لها التي تدخل يدها لأراك تذكرينني ولي عليك حق فقالت لها لك ماتحت الثوب فكشفت الثوب فاذا ثم خمسة وثمانون درهما ثم رفعت يدها وقالت اللهم لايدركني عطاء عمر بن الخطاب بعد عامي هذا أبدا فكانت رضي الله عنها أول أزواج النبي لحوقابه " (١)

٧) أرسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه ٤٠٠ درهم فقال عبد الرحمن اتستسلفني وعندك بيت المال ؟ ألا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر أني أتخوف أن يصيبني قدري فتقول انت وأصحابك اتركوا هذا لأمير المؤمنين حتى يؤخذ من خيراتي يوم القيامة • ولكنني اتسلفها منك لما أعلم من شحك فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثي " (٢)

٨) صور القرآن الكريم النفاق في الانفاق والاخلاص في البذل في صورة رائعة •

قال تعالى " ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصيبها وابل فطل والله بما تعملون بصير " (٣)

٩) قال تعالى " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا " (٤) هذا تصوير للثبات الخلقي في البذل •

---

١) الخراج لأبي يوسف ١/٧٤٦/طبعة ٥/نشره قصي محب الدين الخطيب/المكتبة السلفية مصر (٢) الاموال لأبي عبيد/تحقيق محمد خليل هراس/١٩٧٥/مكتبة الكليات الأزهرية /مصر/دار الفكر/بيروت (٣) البقرة ٢٦٤/٢٦٦ (٤) الانسان ٨

١٠) بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له يلبس خاتما ثمنه ألف درهم فكتب اليه : بلغني أنك تلبس خاتما ثمنه الف درهم وأنصحك أن تبيعه وتطعم بثمنه ألف جائع والتمس لنفسك خاتما من حديد واكتب عليه " رحم الله امرءا عرف قدر نفسه " .

١١) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال " يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيطرحها في يده فقيل للرجل بعد ما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفع به . قال لا والله لا آخذه وقد طرحه النبي صلى الله عليه وسلم " (١)

وعن حذيفة قال " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه ")(٢) وقال هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة . " (٣)

الاسلام يحارب الترف لأن الترف ضد الثبات الخلقي فالترف يذهب بريح القوة من الامة ويحيلها الى أفراد متهالكة على الشهوات لا تصبر على شدة ولا تقوى على جهاد .

١٢) اشتكت فاطمة (٤) بنت رسول الله الى والدها من عناء ماتلقاه من أعباء المنزل مع ضعف صحتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا أعطيك يافاطمة وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع " وأهل الصفة مجموعة من العاملين الفقراء وتمضى الايام وتتحسن أحوال أهل الصفة وتتحسن أحوال فاطمة نوعا ما ويذهب الرسول عليه الصلاة لزيارة فاطمة فرأى على الباب سترا موشيا فرفض أن يدخل وقاطع رسول الله ابنته فأرسلت اليه زوجها وعاد زوجها يوضح لزوجته سبب غضب رسول الله والسبب أن جيران فاطمة بنت الرسول لهم حاجة فلترسل فاطمة لهم هذا الستر الموشى ليستفيدوا

---

١) رواه مسلم ٢) رواه البخارى ومسلم

بثمنه ٠

لست فى حاجة لأقول ان العاطفة الابوية لاتزحزح الثبات الخلقى تجاه القيم الاجتماعية التى يجب أن تسود فالرسول المثل الكامل ٠

١٣) قال تعالى " وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خيرلكم ان كنتم تعلمون " (١)

قال القرطبى العسرة هى ضيق الحال من جهة عدم المال والنظرة هى التأخير والميسرة اليسر ٠

هذه الاية الكريمة فى معاملة المدين المعسر ٠

وروى ابن كثير فى تفسيره كان لأبى اليسر ـ (صاحب رسول الله) دين على آخر فذهب اليه يقتضيه دينه فلما أتى أهل الرجل سلم عليهم وسأل عنه فقالوا خرج فخرج ابن الرجل فقال سمع أبى صوتك فتوارى فنادى أبو اليسر اخرج الى يافلان فخرج الرجل فقال له أبو اليسر ماحملك على ماصنعت فقال الرجل العسر فأخرج أبو اليسر صحيفة الدين فمحاها بنفسه ٠

---

١) البقرة ٠ ٢٨٠ ـ

(١٤) أمر معاوية عامله فى مصر ان يزيد على كل امرئ من القبط قيراطا ولكنه رفض قائلا (كيف ازيد عليهم وفى عهدهم ألا يزاد عليهم)[١]

(١٥) كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض الحرب (أى بلاد الكفار الذين ليس بينهم وبين المسلمين عهد) فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر : خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين. أما اذا جهل المقدار الذى يأخذونه منا فخذوا منهم العشر الا أنهم لو أخذوا جميع اموال من يمر بهم من المسلمين فلا نأخذ نحن جميع اموال المارين منهم بل ندع لهم ما يوصلهم الى مأمنهم ابقاء للأمان[٢].

(١٦) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاحسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها[٣] هذا الحديث دعم للثبات الخلقى .

(١٧) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى)[٤] هذا الحديث يوضح كيفية تثبيت الاخلاق .

(١٨) الاقتصاد الاسلامى تحكمه الضوابط الاخلاقية لأن المسلم ينظر الى رقابة الله عليه فى تعامله مع الناس . قال عليه الصلاة والسلام : (لايبع حاضر لباد ،دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض)[٥].

الحاضر ساكن المدينة ـ البادى ساكن البادية . ومعنى هذا الحديث ان يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة اليه لبيعه بسعر يومه فيأتيه ابن المدينة فيقول له : خل متاعك عندى حتى ابيعه لك على المهلة بثمن غال. ولو باع ابن البادية لأرخص ونفع وانتفع[٦] وهذا معناه ان التدخل فى حرية السوق ممنوع الا اذا اقتضت الحاجة عند ذلك يلزم التسعير الاجبارى .

(١٩) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان اطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يطروا وان كان عليهم لم يمطلوا واذا كان عليهم لم يعسروا) هذا الحديث يوضح للتاجر الاساس الخلقى حتى يتخذ ذلك عادة فتثبت أخلاقه[٧].

(٢٠) قال تعالى : (وانه لحب الخير لشديد)[٨] (وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما)[٩].

التراث : هو مايورث عن الميت من المال واللم : الجمع واللف. والتقدير أكلا اذا لم

---

(١) د. محمد سيد غريب / الاقتصاد الاسلامى/ ص ٥ / دار المعرفة الجامعية / اسكندرية .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠ . (٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى ـ رياض الصالحين ص ٥٢١ .

(٥) [illegible]

وهو أن يأخذ فى الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لايعطون من الميراث انثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال (١)

نورد هذه الآيات لأزاحة المفاهيم الخاطئة عند الناس حول الرزق :

قال تعالى (فأما الأنسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن • وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن • كلا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحضون على طعام المسكين) (٢)

فأما الأنسان اذا ما ابتلاه ربه : الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه • والأنسان هنا اسم جنس • وذكر الله فى هذه الآية ابتلاءه للأنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر وأنكر عليه قوله حين الخير ربى أكرمن ، وقوله حين الشر ربى أهانن •

لم أنكر الله على الأنسان قوله ربى أكرمن وربى أهانن ؟

الجواب على وجهين أحدهما أن الأنسان يقول ربى أكرمنى على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر • ويقول ربى أهاننى على وجه التشكى من الله وقلة الصبر والتسليم بقضاء الله •فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك فان الواجب أن يشكر على الخير ويصبر على الشر •

والوجه الآخر : أن الأنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه اهانة وليس الأمر كذلك فان الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويقبضه على أوليائه • فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الأنكار من هذا الوجه على المؤمن ـ وأما الكافر فانما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هى الغاية فأنكر عليه ما تقتضيه كلامه من ذلك •

والسؤال الثانى :

(فأما الأنسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه) أثبت الله اكرامه للأنسان فكيف أنكر عليه قوله ربى أكرمنى ؟

الجواب على ثلاثة أوجه :

الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للأكرام وانما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا فى معنى الأنكار •

الثانى أنه أنكر عليه قوله ربى أكرمنى اذا اعتقد أن اكرام الله له باستحقاقه للأكرام على وجه التفضيل والأنعام كقول قارون (انما أوتيته على علم عندى)

الثالث أن الأنكار انما هو لقوله ربى أهاننى لا لقوله ربى أكرمنى فان قوله (ربى

من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الأضراب بل كأنه أنكر على الانسان ما تقدم .
ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم ١٠ ١)

(٢١) الامام بن حزم قال (اذا مات رجل جوعا فى بلد أعتبر أهله قتلة وأخذت منهم دية القتيل) (١)

(٢٢) عندماتولى سيدنا عثمان اختص أقاربه من بنى أمية بالكثير من الثروة . ترك لمروان بن الحكم خمس خراج افريقيا ولمعاوية ابن أبى سفيان خراج الشام وأعطى الحارث بن أبى العاص ثلاثمائة ألف درهم ولما اعترض على ذلك خازن بيت المال قال له الخليفة عثمان (انك خازن) فرد عليه قائلا (انى خازن بيت المال لا خازنك الخاص) (٢)

(٢٣) أسر الهرمزان (٦٤٠ م) القائد الفارسى الشهير الذى حارب المسلمين فى أوائل فتح العراق وأرسل الى المدينة وقرر الخليفة عمر اعدامه منبها اياه بعاقبة من يحارب المسلمين فأجابه الهرمزان (وكان المغيرة بن شعبة يتولى مهمة الترجمة بينه وبين الخليفة) (يا عمر أنا واياكم فى الجاهلية لأن الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا) فقال عمر (وانما غلبتمونا بالجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ثم قال عمر ما عذرك فى انتفاضك مرة بعد مرة ؟) (فأجابه الهرمزان (أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك . فقال عمر (لاتخف ذلك) واستسقى الهرمزان ماء فأتى به فقال انى أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماءفقال عمر (لا بأس عليك حتى تشربه)
وظن الهرمزان أنه قد ظفر بما أراد فسكب الماء على الأرض فأمر له الخليفة بكأس أخرى ولما أحضرت له قال الهرمزان (لاحاجة لى بالماء وانما أردت أن أستأمن به)فقال عمر (انى قاتلك) فقال أمنتنى فقال عمر (كذبت) فانبرى المحيطون بالخليفة قائلين ان الأمان قد أعطى للأسير . وحاول عمر أن يجد مخرجا شرعيا ولما أعيته الحيلة أذعن للأمر وقال (لقد خدعتنى هذا ومع ذلك لايسعنى أن أبقى على حياة من ذبح العديد من المؤمنين بغدره المتكرر ووالله لن تنجو بالخداع بل باعتناقك الاسلام (وفى الحال أعلن الهرمزان اسلامه وأذن له من ذلك الحين بالاقامة فى المدينة ومنح معاشا تقاعديا من بيت المال (٣))

---

(١) محمد بن جزى الكلبى/كتاب التسهيل لعلوم التنزيل/ط ١٩٧٣/١/دار الكتاب العربى/لبنان
(٢) د.محمد شوقى الفنجرى/ الاسلام والمشكلة الاقتصادية /ص ٧٧/مكتبة الأنجلو/مصر
(٣) [illegible] العالمة فى الاسلام د. ابراهيم فؤاد على (١٥) تاريخ الطبرى

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :((اشتريت ابلا وسقتها الى الحمى فلما سمنت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال لمن هذه ؟ فقيل لعبد الله بن عمر فجعل عمر يقول يا عبد الله بخ بخ ابن أمير المؤمنين فجئته أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال ما هذه الابل ؟ فقلت ابل انضاء هزيلة اشتريتها وبعثت بها الى الحمى ابتغى ما يبتغى المسلمون . فقال عمر: ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين اسقوا ابل أمير المؤمنين ...... يا عبد الله هذا رأس مالك واجعل الربح فى بيت مال المسلمين)) (١)

وهذا مثال لمحاربة استغلال النفوذ .

---

(١) اسماعيل كيلانى/فصل الدين عن الدولة/ص ٨٣ / طبعة ١/ ١٩٨٠/ المكتب الاسلامى بيروت .

المبحث السادس

المرأة والمجتمع

(أ) في الاعلام الاسلامي.

(ب) أمثلة اعلامية توضح الثبات الخلقي عند المرأة المسلمة

وضع الاسلام للمرأة مكانا عليا فى المجتمع الاسلامى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من ابتلى من البنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار " (١) لفظ " ابتلى " هنا جاء لأن العرب كانوا قريبى العهد بالجاهلية ومافيها من عادات مرذولة تجاه الاناث وكانوا يجدون العزة فى الذكور

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة قيل يارسول الله فان كانتا اثنتين ؟ قال وان كانتا اثنتين ".(٢)

وقدمت البنات على الذكور فى قوله تعالى " لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير " (٣)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذوات قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكفيهما كانتا سترا من النار (٤)

وأوصى الله سبحانه وتعالى بالوالدين . قال تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلاتقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا " (٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من ؟ قال " أمك " قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من قال " ابوك " (٦)

---

١) رواه مسلم والامام احمد فى مسنده ٢) رواه احمد والبزاز والطبرانى ٣) سورة الشورى ٤٩ــ ٥٠
٤) رواه احمد والطبرانى ٥) الاسراء ٢٣ ــ ٢٥ ٦) رواه مسلم والبخارى

والله سبحانه وتعالى اصطفى بعض النساء كما اصطفى بعض الرجال تماما ٠

قال تعالى " يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " (١)

قالت ام هانئ " لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرّ الىّ رجلان من احمائى من بنى مخزوم فدخل علىّ علىّ بن أبى طالب أخى فقال : والله لأقتلهما فأغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا وأهلا ياأم هانئ ماجاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علىّ فقال قد أجرنا من أجرت ياأم هانئ وأمنا من أمنت فلايقتلهما " (٢)

أهلية المرأة للتكاليف الشرعية :

قال تعالى " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا " (٣) وقال تعالى " فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض " (٤)

وبعضكم من بعض هنا معناها أن (الذكور والاناث سواء فى المجازاه) (٥)

وقال تعالى " ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب " (٦)

فالمرأة والرجل متساويان فى الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " انما النساء شقائق الرجال " (٧) فلا فرق بين المرأة والرجل فى الاسلام من الناحية الانسانية حتى طلب العلم متساويان فيه ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " (٨)

---

١) آل عمران ٤٢ ٢) سيرة بن هشام حـ ٢ ص ٨٢٠ ٣) النساء ١٢٤
٤) آل عمران ١٩٥ ٥) تفسير الجلالين ص ١٠٠ ٦) غافر ٤٠

الا أن هناك بعض الاستثناءات لاتشكل عنصرا من التفرقة أو عدم المساواه وهى :

١) الميراث .

قال الله تعالى " يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين " (١)

والنصف فى الميراث للمرأة بالنسبة للرجل ليس تقديرا أعلى للرجل انسانيا فالرجل والمرأة فى الانسانية سواء ولكن المرأة ليست مسئولة عن نفقتها فقبل الزواج يلتزم أبوها بالانفاق عليها وبعد الزواج يلتزم زوجها باعطائها صداقها والانفاق عليها نفقة كاملة فى مقابل وجودها فى المنزل زوجة له حتى الخدمة فى المنزل ليست ملزمة بشىء منها الا تطوعا واذا لم يكن زوج أوأب فبيت مال المسلمين ملزم بالنفقة عليها .

٢) الدية :

دية المرأة المقتولة خطأ اى التى لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص نصف دية الرجل المقتول خطأ والحكمة فى ذلك بعيدة عن دائرة الافضلية بين الذكر والانثى وانما ينظر الشرع فى موقف الاولاد عند قتل أبيهم فخسارة الاولاد أكثر فجيعة فى قتل أبيهم منها فى حالة قتل أمهم فالاب مكلف بالانفاق عليهم ولكن الام ليست مكلفة بالانفاق على أولادها بل ولاحتى على نفسها .

أما قتل المرأة عمدا ففيه القصاص سواء كان القاتل رجلا أو امرأة . " (٢)

قال تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) (٣)

التوامة (٣)

قال تعالى " الرجال قوامون على النساء . . . .(٤)

وقال تعالى " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " (١)

تلك درجة الرعاية والمسئولية • لابد للاسرة من رئيس فاختار الله رجلا رئيسا للاسرة

وقوامة الرجل على المرأة لاتعنى السيطرة والاستبداد والتعسف ولكنها تعنى رئاسة

المسئولية عن الاسرة •

٤) الحجاب :

قرر الاسلام ان فى المرأة فتنة •

قال تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب

والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (٢)

هذه الفتنة كيف يتقيها الرجال ؟

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء " (٣)

وهل الرجل لاتوجد عنده فتنة للنساء ؟ اتقاء الفتنة بحجاب المرأة •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر اذا عركت (حاضت) وبلغت سن التكليف أن تظهر الا وجهها ويديها الى هنا وقبض على نصف الذراع" (٤)

وروى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها " ياأسماء ان المرأة اذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفيه " •

وقال الله سبحانه وتعالى " واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب (٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم " (٦)

---

(١) البقرة ٢٢٨ (٢) آل عمران ١٤ (٣) رواه البخارى ومسلم (٤) تفسير القرطبى ص ٢٢٨ ج ١٢ (٥) الاحزاب ٥٣ (٦) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس •

وقال تعالى " ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما " (١)

قال تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الاما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الالبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" (٢) ويرى سعيد بن المسيب علامة التابعين فى " أو ما ملكت أيمانهن " انما عنى بها الاماء ولم يعن بها العبيد الذكور" (٣)

يوصى الله النساء بستر الرؤوس والأعناق والصدور " ولا يبدين زينتهن الخفية ماعدا الوجه والكفين الا للزوج أو أبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن ولا يجوز الكشف للنساء الكافرات أى لا يجوز للمسلمات الكشف لهن.

ويمكن ابداء الزينة للاماء أو الرجال الذين ليست لديهم حاجة للنساء وللاطفال فيجوز أن يبين لهم ماعدا مابين السرة والركبة " (٤)

ان الحجاب ليس طعنا فى حق المرأة ولكن الحكمة منه قطع حبال النفوس المريضة فى الرجال. فالمرأة مركز جذب مستقر للرجل. والرجل عنده النزوع اليها فحجاب المرأة للحفاظ عليها والبعد بها عن دائرة الخدش وضباب السمعة ولوثه المستريب والابقاء عليها مطهرة بعيدة عن الرجس فالحجاب شرع للمحافظة على عفة المرأة وطهارة المجتمع.

---

(١) الاحزاب ٥٩ (٢) النور ٣١ (٣) الاسرة تحت رعاية الاسلام عطيه صقر ص٥٩ ج

أما فتنة الرجال أنفسهم للنساء فقائمة قال تعالى " فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش الله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم " (١)

ولقد نفى عمر بن الخطاب رجلا سمع أنه فتنة للنساء ففتنة الرجال للنساء قائمة وفتنة النساء للرجال قائمة ولكن المرأة مركز جذب مستقر والرجل مركز جذب متحرك . فحجاب المرأة يضمن به ابعاد النزوع من الرجل وتحفظ المرأة فليس لديها نزوع الرجل .

(٥) العمل والمرأة

الاسلام لم يحل بين المرأة والحياة . فالمرأة المسلمة كانت تحضر الصلاة في المسجد وتصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تغشى مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام لتعرف أمور دينها ودنياها وكانت تشهد القتال وتمشى فى الاسواق للبيع والشراء وتدعى الى مجالس القضاء فى حالة النزاع أو لتؤدى شهادة " فهذه كعيبة بنت سعد الاسلمية كانت تقام لها خيمة فى المسجد تداوى فيها المرضى وتأسوا لجرحى ولم يكن عملها قاصرا على أيام الحرب بل كانت تداوى من ألم به المرض فى كل آن وقد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر سهم الرجل المجاهد جزاء ماقدمت من عمل فى سبيل الله والانسانية (٢) وتحكى أسماء بنت أبى بكر عن نفسها فتقول " كنت أنقل النوى على رأسى من ارض الزبير ــ تعنى زوجها ــ وهى من المدينة على ثلث فرسخ " (٣) وتخرج أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو فى خلافة أبى بكر فى حروب الردة فتباشر القتال بنفسها حتى تقتل مسيلمة الكذاب وتعود بها عشر جراحات بين طعنة وضربة . (٤)

---

(١) يوسف ٣١ (٢) د . محمد البهى (الاسلام فى حياة المسلم) ص ٣١٠/ الطبعة الخامسة / ١٩٧٧/ مكتبة وهبة / مصر (٣) نفس المصدر ص ٣١٠ (٤) نفس المصدر ص ٣١٢

للمرأة أن تباشر التجارة والعمل فى المصانع والمزارع والتدريس والتمريض والطب بشرط ألا يبعدها العمل عن أنوثتها أو يؤدى بها الى الاذلال ولا بد أن تكون مضطرة لهذا العمل أو ذاك أو يكون المجتمع الاسلامى مضطر لعملها ٠

فالقاعدة أن تستقر المرأة فى البيت والاستثناء جائز فى الاسلام مادام هناك اضطرار ولاتخرج المرأة من بيتها الا اذا أمن عليها من الفساد والفتنة وأن تكون ساترة وغير متعطرة وأن يأذن لها زوجها أو ولى أمرها ٠

الاسلام يرى أن الاصل للرجل هو الكفاح والأصل للمرأة هو الاستقرار والاستثناء جائز مادام هناك اضطرار ٠

ان اشتغال المرأة بلا حاجة اقتصادية أو ضرورة ماسة تحطيم للاسرة ومسخ للمرأة وللرجل معا ٠ قال تعالى " وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا " (١)

الــــزواج

قال تعالى " ولقد كرمنا بنى آدم ٠٠٠ "

فكل نظام يصنعه الله للانسان فيه تكريم له والزواج كمارسمه الله فيه اكرام للذكر والانثى ٠ قال تعالى " ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم وبينهم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٢)

" لتسكنوا اليها " اى يجد الرجل الاستقرار والانس والاطمئنان والمرأة تجد نفس المشاعر

---

(١) الاحزاب ٣٦ (٢) الروم ٢١ ٠

ونلاحظ أن وصف الحياة بين الزوج والزوجة خلا من هذا اللهيب العاطفى الذى يصفه الشعراء — ولم يذكر القرآن الكريم تصوير العاطفة المشبوبة الا حينما صور عاطفة زليخا نحو يوسف الصديق " قد شغفها حبا " .

فالحب بين الزوج وزوجته حب هادئ عميق يطير بهما فى سماء الحياة بجناحى المودة والرحمة . والمرأة بكرا أو ثيبا لا بد أن تستأذن ويؤخذ رأيها حينما تدعى للزواج فرأيها له قيمته ولا يعقد الزواج بدون سماع رأيها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتنكح الأيم — (الثيب) حتى تستأمر ولاتنكح البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال أن تسكت" (١)

" ولقد أبطل النبى صلى الله عليه وسلم نكاح فتاة أجبرها أبوها على الزواج من رجل لا يعجبها ففى البخارى أن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهى كارهة فرد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك النكاح " (٢)

---

(١) رواه مسلم عن ابى هريرة جـ ٩ ص ٢٠٢ . (٢) ارشاد السارى للقسطلانى جـ ١٠ ص ٦١ .)

جاءت زوجة ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له أن ثابت بن قيس زوجى لا أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الاسلام (ثابت بن قيس كان مسلما صالحا ولكنه كان دميم الوجه فلم تطق زوجته الحياه معه وحتى أكره الكفر فى الاسلام أنها على وشك أن تعصاه) .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتردين عليه حد يقته " وكانت مهرها فقالت نعم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت وقال له (طلقها طلقة) فطلقها (١) .

وفرض الاسلام للمرأة صداقا خالصا لها يبذل عن طيب خاطر قال تعالى " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٢)

والاسلام ينص على أنه لا يجوز أخذ شىء من مال المرأة الا عن رضى نفس منها ومن يحاول أخذ شىء من مال المرأة بدون رضاها فانه يرتكب اثما مبينا .

قال تعالى " وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا " (٣)

وحرم الاسلام الاتجار بالمرأة من قبل ولى أمرها أو أبيها ولذلك يمنع الاسلام "الشغار" وهو أن يقول الرجل للرجل زوجنى أختك وأزوجك أختى . وفى هذه الحال لا يكون

---

١) رواه البخارى

٢) النساء ٤

٣) النساء ٢٠

هناك صداق . ذلك الامر محرم فى الاسلام فالمهر حق خالص للزوجة لا لأبيهـــا ولا لولـــى أمرها . ثم يوضح الرسول الكريم صورة الزوجة المثلى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير نسائكم الولود الودود المواسية المؤاتية اذا اتقين الله وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنـــة منهن الا مثل الغراب الاعصم " (١)

ووعد رسول الله الزوجة المسلمة بالجنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا صلت المرأة خمسا وصامت شهرها وحفظـت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أى الابواب " (٢)

والزواج فيه عصمة للرجل والمرأة ويحفظ على المجتمع نقاءه وطهره ولذلك قال رســول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ان لا تفعلوا تكـــن فتنة فى الارض وفساد عريض " (٣) وأوصى الرسول الكريم الشباب بالزواج بمجـــرد الشعور بالقدرة على تحمل المسئولية " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتـــزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج من لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (٤)

وبين الرسول الكريم أى الزوجات يختار المسلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم " تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " (٥)

وشرح الرسول الكريم هذا الحديث بحديث توضيحى فقال عليه الصلاة والسلام " مـــــن

---

١) رواه البيهقى فى السنة
٢) حديث صحيح رواه أحمد
٣) حديث صحيح رواه الترمذى والنسائى
٤) رواه البخارى ومسلم

تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقـــرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه "(١)

وحذر الله من كراهة الزوجة فلعل هذه الكراهة تكون عارضة ونتيجة غفلة عن فضـــل الزوجة أو سوء تقدير لها . قال تعالى " وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهـــن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا "(٢)

وأوصى الرسول بالنساء قائلا " اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بأمانـــة الله واستحللتهم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحد تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح " (٣)

أى لا يدخلن منازلكم من تكرهون من الاقارب والنساء وليس المراد بذلك الزنـــا فذلك محرم ويقتضى اجراء الحد ويبين الله التدرج فى معاملة الزوجة التى يفهم منهـــا أنها أوشكت أن تخرج عن دائرة الاتزان .

قال الله تعالى " واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهـــن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا " (٤)

أى اللاتى تخافون عصيانهن لكم بأن ظهرت أمارته فخوفوهن الله واعتزلوا الى فـــراش

---

١) رواه الطبرانى فى الاوسط ٢) النساء ١٩ ٣) البخارى كتاب النكاح
٤) النساء ٣٤

آخر ان أظهرن النشوز واضربوهن ضربا غير مبرح ان لم يرجعن بالهجران "(١)

وتأديب المرأة لاصلاحها ورأب الصدع لاللانتقام . القصد هو العلاج لا الاذلال

والضرب يصلح لصنف خاص من النساء يسترحن اذا قهرن بقوة الرجل وليس الامر

عاما وعلى المسلم أن يكون حصيفا .

قال صلى الله عليه وسلم لايضرب أحدكم امرأته كالعير يجلدها أول النهار ثم

يضاجعها آخره "(٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر . . . لاتضرب الوجه ولاتقبح

ولاتهجر الا فى البيت " (٣) وقد حدث ابن سعد فى طبقاته قال ان رسول

الله نهى عن ضرب النساء فقيل يارسول الله انهن قد فسدن فقال " اضربوهن

ولا يضرب الا شراركم " (٣)

تعدد الزوجات

لما نزلت الآية " فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . . . " (

أمر النبى صلى الله عليه وسلم كل من تزوج بأكثر من أربعة أن يسرح الزائدات ولم يشترط

النبى عليه السلام العدل فى بقاء الاربع فالعدل المطلق فوق المستطاع وأقل ما

يمكن من درجات العدل هو ألا تصبح المرأة متزوجة وليست متزوجة أى متزوجة فقط

بشهادة قسيمة الزواج . فالزوج لايغشى منزلها ولا ينفق عليها وفى هذه الحالة تكون الزوجة

( ) تفسير الجلالين (١) تفسير سيد قطب الظلال ص ٦٥٥ /ط٤/١٩٧٧/دار الشروق

معلقة . قال تعالى " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما " .

إن التشريع الاسلامى جامع مانع لكل زمان ومكان . الاسلام دين عام للناس جميعا ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء فاذا وجد فى التشريع رخصه لظرف عام غير محدد فعلى المؤمنين أن يتحروا الدقة لتطبيق هذا التشريع ولا يهتبلوا رخصة الاضطرار ويعمموها فى كل الظروف، والاعمال بالنيات والله يعلم السر وأخفى .

تعدد الزوجات واجب فى بعض الظروف فبعد الحروب الطاحنة التى يفنى فيها معظم الشبان والرجال وتبقى الشابات والنساء يحدث شىء من اثنين اما الفساد والفتنة واما تعدد الزوجات فى النور والطهر .

" بعد الحرب العالمية الثانية قامت مظاهرة نسائية فى ألمانيا طالبت النسوة فى هذه المظاهرة أن يوضع فى الدستور نص يبيح تعدد الزوجات" (١)

تعدد الزوجات ضرورة فى بعض الظروف ومن غير شك تشعر الزوجة بالغيظ والألم إذا تزوج زوجها زوجة أخرى . والنبى صلى الله عليه وسلم ساءه أن يتزوج على بن أبى طالب على فاطمة رضى الله عنها وقال " ان فاطمة بضعة منه مايسوؤها يؤلمه ومايسرها يسره . عن المسور بن محزمة قال " سمعت رسول الله وهو اعلى المنبر ان بنى هشام بن المغيرة استأذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب فلا أذن ثم لا أذن الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ماأذاها " (٢)

---

(١) رؤوف شلبى ــ استوصوا بالنساء خيرا ص ٨١/طبعة ١/عيسى البابى الحلبى/مصر

(٢) البخارى كتاب النكاح باب ١٠٩ .

ويفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم أن الزواج بأخرى يؤذى الأولى وفى رأى أن الزوجة اذا تألمت لأن زوجها يتزوج بأخرى ففى أغلب الاحيان يكون الزوج وضع رخصة التعدد فى غير موضعها • الزوجة العاقر يجب ألا تغتاظ اذا تزوج زوجها غيرها • والزوجة المريضة الميئوس من شفائها يكون غضبها ظاهرة عاطفية وليست موضوعية اذا تزوج زوجها زوجة أخرى • فغيظ المرأة فى كل الحالات قائم ولكن هناك فرق بين ألم موضوعى يقدره الاسلام وألم عاطفى شخصى لا يأبه به الاسلام اذا كانت هناك مصلحة عامة للزوج وللمجتمع معا وحسبك أن الله هو الذى رسم هذا النظام •

قال تعالى " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " (١)

الله سبحانه وتعالى يحيط الاسرة الاسلامية بالود والرحمة والتعاطف والستر والطهر ويتوعد من يخدش ستر المرأة وطهرها بأقصى العقوبات • فالله سبحانه وتعالى أمرنا أن نصون النساء ونكرم سيرتهن ووسم سبحانه وتعالى من يقذف النساء فى أعراضهن باللعنة والعذاب الأليم • قال تعالى " إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم • يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين " (٢) وجعل الله سبحانه للقاذف عقوبة ثمانين جلده واتهم فى ذمته فلا تقبل له شهادة أبدا ووسمه بالفسوق وهذا إكرام بالمرأة ورعاية لها نسوقه للذين يحاولون النيل من الاسلام بشعار مساواة المرأة وسنتكلم عن ذلك فى باب الاعلام المعاصر •

---

(١) النور ٦٣ (٢) النور ٢٣ ـ ٢٥ •

قال تعالى(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون" (١)

الطلاق:

الطلاق ضرورة من ضرورات الحياة الزوجية فاذا أصبحت العشرة مستحيلة سواء كان سببها الزوج أو الزوجة فلا بد من الطلاق . فأصل الزواج الود والرحمة فاذا غشيت الزوجين النفرة وقطع مابينهما سوء العشرة كان لابد من الانفصال ويوضح الله سبحانه وتعالى للمسلمين طريقة الانفصال حتى تلتئم الجراح على نظافة وطهر ورحمة ولا تترك جراثيم الحقد والانتقام يعيث فسادا فى جسد المجتمع الاسلامى .

قال تعالى " يأأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا " (٢)

هذه الايات تدل على خطورة شأن الاسرة فى الإسلام لأنها اللبنه الاساسية فى بناء المجتمع الإسلامى . والله سبحانه وتعالى يحيط الأسرة الإسلامية بظلال وارفة من الود والرحمة والتعاطف فى حالتى الزواج والطلاق فللطلاق وقت يقع فيه وهو أن تكون الزوجة فى حالة طهر من حيض ولم يحدث فى هذا الطهر جماع أو أن تكون الزوجة

---

(١) النور ٤ (٢) الطلاق ١ ــ ٣ .

حاملا وحملها ظاهر . والطلاق يقع فى أى وقت الا أنه يكون مكروها فيما سوى هاتين الحالتين وتحسب العدة بدقة للتأكد من براءة الرحم ولعدم اطالة الزمن اغاظة للمرأة التى تريد من جانبها انهاء العلاقة والبحث عن علاقة جديدة . والعدة للمرأة التى تحيض ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار وللمرأة التى لم تحض أو التى انقطع حيضها ثلاثة أشهر وللحامل حتى تضع حملها .

والزوجة تعتد فى بيت زوجها إلا إذا كانت زانية أو موذية لأهل الزوج أو ناشزة على زوجها والحكمة من ابقاء الزوجة فى بيت زوجها احتمال المراجعة ومعاودة الحياة الزوجية فأبغض الحلال إلى الله الطلاق .

وفى أثناء العدة يمكن للزوج أن يراجع زوجته فتعود الى عصمته أما بعد العدة فلا يراجعها الا بعقد جديد . والمطلقة التى تضع تبين من مطلقها بمجرد الوضع . قال تعالى " فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم " ففى حالة الفراق أو المراجعة لابد من شهادة اثنين من العدول . وتبقى الزوجة فى منزل الزوجية طول فترة العدة ونفقتها على الزوج وبعد العدة تصبح نفقتها على أهلها لا ريب أن الطلاق القائم على أسباب طلاق مشروع واجب ويعتبر صمام أمن وأمان ولكن الطلاق القائم على النزوات العابرة وردة التخلف الانسانى من غباوة وجهل فيما يدعونه من ملالة وضجر هذا الطلاق يقوم على تبلد الاذهان والجبن فى مواجهة الحياة الشريفة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أبغض الحلال إلى الله الطلاق " (١) . وقال الله سبحانه وتعالى " الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان " (٢)

---

١) أخرجه ابو داوود عن كتاب العلامة ابراهيم بن ضويان/منار السبيل ج٢/ص ٢٣١/المكتب الاسلامى

٢) البقرة ٢٢٩

واذا طلق الرجل زوجته مرة ثالثة فلاتحل له حتى تتزوج غيره ثم تطلق من هذا الغير وذلك حتى يتحرى الرجل نفسه ويزن الامور ولايجعل الطلاق لعبة يلهو بها • والطلاق قد يكون من حق المرأة اذا اشترطته فى عقد الزواج •

وحتى لاينحرف المجتمع الاسلامى ويستشرى فيه الفساد حرم الإسلام الزنا وحرم دواعيه • قال تعالى " ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا " (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا تطيبت المرأة لغير زوجها فانما هو نار وشنار " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التى فى الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود فى النار "

وقال عليه الصلاة والسلام " ماتزال أمتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب "

وقال تعالى " الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " (٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام أما المحصن الذى تزوج فعقوبته إذا زنا الرجم بالحجارة "

" وقد تبدو العقوبة قاسية ولكنها الدواء • والله رأف بعباده وقد اختار لهم " " ان الاسلام لايحارب دوافع الفطرة إنما ينظمها ويطهرها ومن هنا شدد الاسلام فى عقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية " (٣)

---

(١) الاسراء ٣٢

أورد الدكتور عبد الوهاب عبد العزيز الشيشانى فى كتابه حقوق الأنسان وحرياته الأساسية موضوعا عن : المرأة والولاية العامة

اتفق الفقهاء على عدم جواز تقلد المرأة منصب الخلافة • وسند النهى عن امامة المرأة قول الرسول الكريم : (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة)(١)

ولايصح أن تتسلم المرأة كذلك الامارة على الأقاليم والأمارة على الجند وولاية المظالم وولاية القضاء وولاية الحسبة •

سند حجية المنع قول الله تعالى ((ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن))(٢) وهى تدل على التفضيل فى استعدادات الخلقة •

وقول الله تعالى ((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)) (٣)

ويقول المورودى (ان قوامة الرجال على النساء لاتقتصر على البيوت بدليل أنه لم يذكر ابيوت فى الآية فهى اذن قوامة عامة على سائر البيوت كذلك ثم اذا جعل الله قوامة على المرأة المفردة فى بيتها فهل يظن باله أن يجعل للمرأة قوامة على ملايين فى حين أنه لم يجعلها لها على بيت هو بيتها)) (٤)

واستدلوا كذلك بآية الحجاب (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب)(٥)

ومن السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة)(١)

وقد استدلوا على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم (اذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها)(٦)

(اقتضت حكمة الخالق العظيم سبحانه وتعالى أن جعل أمر الانفاق على المرأة وحمايتها من مسئوليات الرجال على الأب فى بيت أبيها وعلى الزوج فى عصمة زوجها وعلى أولادها القادرين اذا كبرت وعجز الزوج عن الانفاق عليها أو اذا توفى وعلى الأقرباء بعد هؤلاء ثم على الدولة وولى الأمر)(٧)

رأى القائلين بجواز تقلد المرأة للوظائف السياسية

قول الله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) (٨)

---

(١) صحيح البخارى ج ٦ ص ١٠ (٢) سورة النساء ٣٢ (٣) سورة النساء ٣٤

(٤) المورودى تدوين الدستور الاسلامى ص٨٧-٨٨ (٥) الأحزاب ٥٣

(٦) رواه الترمذى (٧) الشيخ محمد أبو زهرة فى المجتمع الاسلامى ص٧٧

(٨) البقرة ٢٢٨

عن كتاب الانسان وحرياته الاساسية /د•عبد الوهاب الشيشانى/ص ١٩٢/مطابع الجمعية الملكية

وهى مساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات .
وقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (١)
(٩) ان الآية قد نصت على اشتراك الجنسين فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك يشمل مفهوم الاشتراك فى السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية لأنها ليست فى حقيقتها الا أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر .

ومن السنة : ان الصحابية أم هانئ قد قبلت اجارة كافرين يوم الفتح .. فتح مكة وأعطتهم الأمان وقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم أمانها . قالت أم هانئ (اننى أجرت رجلين من لحمائى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) (متفق عليه) وقالوا ان اقرار الرسول أمان المرأة دليل على اعتراف الاسلام بحقوق المرأة السياسية وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل بمشورة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها يوم الحديبية فسميت بذلك مستشارة الرسول (٣)

وأن عمر رضى الله عنه قد ولى الشفاء بنت عبد الله ولاية الحسبة فى السوق وهى من الوظائف العامة (٣)

وان عائشة قد خرجت مقاتلة على رأس جيش يوم الجمل (٤)

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله (ما اكثاركم فى صداق النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمهور فيما بينهم قليلة فاعترضت امرأة من قريش فقالت يا أمير المؤمنين نهيت عن الزيادة فى مهور النساء فقال : نعم ، فقالت أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن الكريم حيث أعطانا بالقنطار فى قوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) (٥) فقال عمر اللهم غفرانك أكل الناس أفقه من عمر ؟ ثم رجع فركب المنبر وقال كنت نهيتكم أن لاتزيدوا فى المهور على أربعمائة درهم فمن شاء فليفعل فسكت الناس ولم ينكر عليه أحد فى ذلك) (٦) فكان ذلك مشاركة من المرأة فى الحياة السياسية العامة .

يستدلون بقوله تعالى (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن ان الله غفور رحيم) (٧) فيقولون أن الله قد أمر نبيه فى هذه الآية بقبول بيعة النساء أسوة بالرجال وهى بيعة متعلقة بالتشريع

---

(١) التوبة ٧١ (٢) البهى الخولى - مجلة الوعى الأسلامى الكويت ١٣٨٧ - ص ١٤
(٣) المحلى ج ١٠ - ص ٦٣١ (٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣ - ص ١٢٣ -
(٥) النساء ٢٠ (٦) الشيخ محمد رشيد رضا نداء الجنس اللطيف ص ٨
(٧) الممتحنة ١٢

يناقش الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد العزيز الشيشانى الآية (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) يرى المفسرون أنها انما نزلت فى صدد بيان الحقوق الزوجية .

أما استدلالهم بقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) لايصلح سندا لتقرير الحقوق السياسية لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لايكون الافى الحدود المقررة لكل من الرجل والمرأة . يقول الأمام القرطبى ((ان الأمربالمعروف والنهى عن المنكر رأسها الدعاء الى الأسلام والقتال عليه ثم ان الأمر بالمعروف لايليق بكل أحد وانما يقوم به السلطان اذا كانت اقامة الحدود اليه والتعزيز برأيه والحبس والأطلاق له والنفى والتعذيب فينصب فى كل بلدة رجلا صالحا قويا عالما أمينا ويأمر بذلك ويمضى الحدود على وجهها من غير زيادة) (١) .

ويقول الشيخ أبوزهرة (اتيان الدليل فى تولية المرأة الولايات العامة ومنها القضاء هو من باب ادخال الخلاف فى الدليل وهو نوع من المصادرة على الاستدلال)(٢)

أما استدلالهم بحادثة أمان أم هانئ يوم فتح مكة فلا يدل على ما ذهبوا اليه من المساواة التامة بين الرجل والمرأة فى الشئون السياسية اذ ليست الاجارة (اعطاء الأمان) من الحقوق السياسية .

أما موضوع اشتراك السيدة عائشة رضى الله عنها فى المطالبة بدم عثمان فقد كان اجتهادا منها رضى الله عنها ولم يوافقها جميع الصحابة على ذلك وقد اعترفت رضى الله عنها بخطئها وندمت عليه .

أما حادثة اعتراض المرأة القرشية على تحديد المهور فتلك ممارسة منها لحقها فى حرية الرأى العام ثم هى مسألة متعلقة بالمهور ولم تقل أحد بأن تلك القرشية كانت على رأس ولاية عامة أو وظيفة سياسية وما سكوت الصحابة على ذلك الا اقرارا منهم بحقها فى الادلاء برأيها .

---

(١) القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن

(٢) محاضر مناقشة اللجنة التحضيرية للدستور المصرى ص ٤

(ب) أمثلـــــة اعلامية اسلاميــة توضــــــح :

<u>الـثبات الخلقى فى موضوع المرأة المسلمـــــــة</u>

(ب) أمثلة توضح الثبات الخلقى فى موضـــوع المرأة المسلمة

قال الامام الغزالى " عن عبد الله بن أبى وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب

فتفقدنى أياما فلما أتيته قال أين كنت ؟

قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها •

قال هلا أخبرتنا فشهدناها

قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة ؟ فقلت يرحمك الله تعالى • ومن يزوجنى

وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة •

فقلت أنا فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم •

فحمد الله تعالـــى وصـــلى على النبى صلى الله عليه وسلم وزوجنى على درهمين

أو قال ثلاثة •

قال فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستديـــن

فصليت المغرب وانصرفت الى منزلى فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائى لأفطـــر وكان خـــبزا

وزيتا واذا بابى يقرع فقلت من هذا ؟ قال سعيد •

قال ففكرت فى كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم ير أربعين عامـــا

الا بين داره والمسجد فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له أن يرجع

عن رأيه فقلت يا أبا محمد لو أرسلت الى لأتيتك فقال أنت أحق أن تؤتى • قلت فما تأمر ؟

قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هى قائمـــة

خلفه فى طوله فدفعها فى الباب ورده •

قال " ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه " (١)

الثبات الخلقي لشيخ التابعين سعيد بن المسيب واضح .

نزل قول الله (٢) "الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين " (٣)

عندما تكون المرأة جنسا فقط وخادمة لحاجات بيولوجية ليس الا تكون عندئذ امتدادا ماديا يمكن تبديله كالبيت وقطعة الاثاث .

في الحضارة الفرعونية الاولى نجد للمرأة شأنا عظيما فقد كانت ترث كالرجل ولها حق التصرف بأملاكها مما جعل لها شخصية اجتماعية متميزة فسعى الرجال لاسترضائها واحترام وجودها وبدأت تظهر في أغلب الآثار الفنية المنحوتة . وعندما انطلق الفتح المصري إلى البلاد المجاورة ودخلت السبايا من الاسيويين إلى المجتمع وتحولت المرأة الى متاع ولذة بدأت تغرب الحضارة الفرعونية وكذلك انتهت الحضارة الاسلامية عندما انحطت قيمة المرأة في المجتمع بعد انتشار النخاسة ومزاحمة الجواري للمرأة العربية .

إن علو شأن المرأة في مجتمع من المجتمعات يعني علو التطلع الانساني في ذلك المجتمع ولعل فقدان قيمتها المعنوية هو الذي جعل ابن الفارض وابن عربي والحلاج والسهروردي يتجهون بأشواقهم إلى الله عندما أنفت أحاسيسهم الطبيعية

---

١) احياء علوم الدين ص ٤٠ ١ ح ٣ طبعة البخارية (٢) د.مصطفى عبد الواحد الاسلام والمشكلة الجنسية /دار احياء الكتب العربية /عيسى البابي الحلبي

(٣) النور ٣.

أن ترتبط بكائن منحط هو المرأة أليف السرير " ان ابداعات الفن والاعمال العظيمة في حركة المجتمع كانت تتم لارضاء الاشواق العليا للمرأة العظيمة .

عند ما تمتلك المرأة المناعة الاجتماعية في حرية اختيارها وسلطة التقبل والرفض انما تمتلك في الآخرين حب التضحية والرغبة بالسمو لمواءمة اختيارها وتقبلها وبذلك تكون صانعة للمثل " (١)

والاسلام أعطى للمرأة الحق في الرفض أو القبول بحيث لايعقد العقد إلا اذا وافقت على عقده .

(٣) روى البيهقي أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني كان يمر في طرقات المدينة ليلا فسمع زوجة غاب زوجها عنها في حرب الفتح تتغنى بشعر يفهم منه شوقها إلى زوجها واحساسها بضغط الغريزة عليها وتذكر أنه لولا إيمانها بالله وخشيتها غضبه وثقتها بالجزاء وثباتها على الحق لاتجهت الى طريق لايرضى عنه الله .

كانت تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه — وأرقني أن لاخليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه — لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يصدني — وأخشى لزوجي أن تنال ركائبه

وسمع عمر هذا الكلام فأزعجه ورجع إلى ابنته يسألها كم تصبر المرأة على زوجها ؟

فأجابته تصبر شهرين وفي الثالث يقل صبرها وفي آخر الرابع تفقد صبرها .

فأرسل الخليفة إلى قواده في جبهات القتال يأمرهم أن لايحبسوا رجلا عن امرأته أكثر من أربعة شهور " (٢)

---

١) مصطفى عبد الواحد/الاسلام والمشكلة الجنسية ص ٦٩/دار احياء الكتب العربية /

ثبات خلقي من المرأة وثبات خلقي من أمير المؤمنين للحفاظ على عفاف المسلمات .

قال تعالى " وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله " (١)

العفاف اعلاء للغريزة ـ انه دعوة للثبات الخلقي " ومن يرجع الى سير كبار الشعراء والفنانين والزعماء والمصلحين يجد أن خير ماانتجوه في ميادين الشعر والادب والفلسفة والفن إنما كان نتيجة لعواطفهم المشبوبة ومقاومتهم لنداء الغريزة الصارخ فأصبح الشعر والفلسفة والفن لهم متنفسا لهذه العواطف واعلاء لتلك الغرائز ولو أنهم استجابوا لغرائزهم لمات في نفوسهم كل حافز لانتاج هذه الأعمال الخالدة " (٢)

٥) روى الميداني أن عمر بن الخطاب مر بسوق الليل وهي من أسواق المدينة فرأى أمرأة معها لبن تبيعه ومعها بنت لها شابة وقد همت العجوز أن تمذق لبنها بخلطه بالماء ـ فجعلت الشابة تقول : ياأمة لاتمذقيه ولاتغشيه فوقف عليها عمر فقال من هذه منك ؟ قالت ابنتي فأشار عمر بن الخطاب لابنه عاصم أن يتزوج هذه الشابة ولو شاء عمر بن الخطاب أن يزف الى ابنه عاصم أكرم وأعز امرأة في العالم لاستطاع ولكنه اثر الخلق العظيم على البيت الكريم والمجد القديم وذلك من ثبات خلقه رضى الله عنه " اظفر بذات الدين " .

وقد انجبت هذه الشابة التي اختارها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابنه فيمن أنجبت أروع الملوك وأعلمهم وأجلهم عمر عبد العزيز فهي جدته لامه رضى الله عنهم أجمعين" (٣)

٦) ابناء الخنساء خرجوا الى القادسية وكانوا أربعة فكان مما أوصتهم به قولها : يابني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لااله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما إنكم

---

١) النور ٣٣ ٢) د . السيد محمد بدوي المجتمع والمشكلات الاجتماعية ص ١٨١

٣) الميداني ج ٢ ص ١٠٢ من كتاب المرأة العربية في ظلال الاسلام عبد الله عفيفي . /دار

بنو امرأة واحدة ماهجنت حسبكم وماغيرت نسبكم واعلموا أن الدار الآخرة خير من الــــدار الفانية اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا رأيتم الحرب قد شمــــرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها فيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها (١) تظفـــــروا بالغنم والكرامــة فى دار الخلد والمقامــة .

فلما كشرت الحرب عن نابها تدافعوا اليها وتواقعوا عليها وكانــوا عند حسن ظـــن أمهم بهم حتى قتلوا واحــدا فى أثر واحد ولما وافتها النعاة بخبرهم " لم تزد علـــى أن قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجــو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقـــر الرحمــة " (٢) هذا مثال رائع من الثبات الخلقى اذا ماقارناه بعهدالخنساء فى الجاهلية حيث كادت تقدم على الانتحار عندما مات أخوها صخر حيث قالت ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهن لقتلت نفسى .

(٧) " عبد الله بن الزبير دانت له العراق والحجاز واليمن ولبث على امرة المؤمنين ثمانى سنين ثم أخــذ عبد الملك بن مروان يقارعــه فانتقص منه العراق ورمــاه بعد ذلك بالحجاج بن يوسف فأخــذ يطــوى بلاده عنه حتى انتهى الى مكــة فطوقها ونصب المجانيق على الكعبة وأهــوى بالحجــارة عليها وفى الكعبة يومئذ اسماء بنت أبى بكر وكان عبد الله يقاتل ضــــد الحجاج مسندا ظهره الى الكعبة فيعيث فيهم ويروع أبطالهم وليس حوله الا القوم الأقلـــون عــددا والحجاج بين ذلك كله يرسل اليه يمنيه بالخير ويعده بالامارة فى ظل بنى أمية لـــو أغمد سيفه وسط للبيعة يده .

---

(١) الرسيس الاصــل (٢) الاصابة جـ٨ ص٦٦ ــ ٦٧ من كتاب المرأة العربية فى ظــلال الاسلام / عبد الله عفيفى ، دار الكاتب العربى/لبنان

دخل عبد الله على اثر ذلك على أمه أسماء بنت أبى بكر فقال يا أمة خذلنى الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى الا اليسير ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

فقالت الله الله يا بنى ان كنت تعلم أنك على حق تدعو اليه فامض عليه ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية فيلعبوا بك وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت. أهلكت نفسك ومن معك وان قلت انى كنت على حق فما وهن اصحابى ضعفت نيتى فليس هذا فعل الاحرار ولا من فيه خير كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقع بك يابن الزبير والله لضربه بالسيف فى عز أحب الى من ضربة السوط فى ذل .

فقال يا أماه أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى قالت يا بنى ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح فامض على بصيرتك واستعن بالله .

فتكاثر عليه الأعداء وقتل وصلبه الحجاج فأقام جثمانه على الجذع عاما كاملا حتى اذا امر عبد الملك بانزاله أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه وذهب البلى بأوصاله ثم كفنته وصلت عليه ودفنته .(١)

مثال رائع للثبات الخلقى ــ انها ابنة أبى بكر رضى الله عنهما .

(٨) اشتكى نساء النبى من جفاف الحياة مع النبى صلى الله عليه وسلم وأردن شيئا من متاع الدنيا وزينتها فخير الله زوجات النبى بين زينة الدنيا وما عند الله فاخترن ما عند الله . قال تعالى " يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما "(٢)

---

(١) عبد الله عفيفى/ المرأة العربية فى ظلال الاسلام ص ١٣٣/دار الكاتب العربى/لبنان

(٢) الاحزاب ٢٨ ــ ٢٩ .

وهذا مثال للثبات الخلقي لأمهات المؤمنين ؛

(٩) قال تعالى " ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا "

وقال سبحانه وتعالى " عاشروهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف "

حين النزاع بين الرجل والمرأة يوشك عقال الثبات الخلقي أن ينفلت فالايتان الكريمتان السابقتان دعوة للتماسك والثبات الخلقي •

(١٠) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هانى بنت أبى طالب فقالت يارسول الله لأنت أحب اليّ من سمعى ومن بصرى وانى امرأة مؤتمة وبنى صغار وحق الزوج عظيم فأخشى ان أقبلت على زوجى أن أضيع بعض شأنى وولدى وان اقبلت على ولدى أن أضيع حق زوجى "(١)

تلك امرأة أبدت صفحة العذر عن بلوغ أقدس منزلة تبلغها المرأة المسلمة وهى منزلة أمومة المؤمنين "(٢) والعذر نفسه يكشف عن ثبات خلقى رائع •

---

(١) كتاب الطبقات الكبير جـ٧ ص ٣٢

(٢) عبد اللة عفيفى / المرأة العربية فى ظلال الاسلام / ص ٥٣ / دار الكاتب العربى / لبنان

البـــــاب الثانـــــى

المـبحـــث الأولـــــــ

القيم الخلقية فى الاعلام الغربى

فى ظل الظروف السائدة فى العالم حاليا ومن خلال نظرة واقعية يمكن القول ان الاعلام ينقسم الى:

(١) اعلام اسلامى ممثل فى القرآن الكريم والسنة الشريفة والقيم فى هذا الاعلام مــن عنـد اللـــه.

(٢) اعـلام معاصـر وينقسم هـذا الاعلام المعاصر الـى :

أ ــ اعـلام أوربــى أو أمريكى والقيم فى هذا الاعلام أرضية بشرية تعتبر محصلة لحيـــاة الخلاف البشرى فى أوربا وأمريكا ونتيجة للفلسفة التى يعتنقونها ويجعلونهـــا مـدارا وهدفا للوصول اليها فى رحلة حياتهم والاعلام عندهم سلعة تباع بالقطعـة فالحقيقة لها ثمن والاعلام الذى يهدف الى اخفاء الحقيقة له ثمن والاعـلام الــذى يغسل المخ له ثمن والاعلام الذى يروج سلعة بائرة له ثمـن.

والقائمون بهذا الاعـلام فى أغلب الأحيان ملحـدون أو يؤمنـون بديـن محــرف كالنصرانية أو اليهودية أو وثنيون أو وجوديون أو ....

ب ــ الاعلام فى البلاد الاسلامـية حاليـا : والقيم فى هـذا الاعلام خليط من القــيم الاسلامية وقيم استعيرت من الاعلام الاوربى او الأمريكى.

وينطبق على القائمين به قول الله " خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا "[١] اذ تجد نـدوة حول القرآن الكريم ومنهج الله للبشر ثم برنامجا آخر يتبعه كله أغان غربية ورقصـــات جماعية بنين وبنات على أنغام موسيقى مذ عورة تترك الشاب المشاهد فى حالة مــن الهياج السعور ويزيد من هذا السعار أفلام الفيديو المهربة التى تطلق الرصاص على أخلاق شبابنا وتردبه صريع الخنا والفجـور.

والآن ارصد رسالات رواد الفكر الأوروبي والأمريكي وأصور فلسفاتهم التي اسكرت أوربا وأمريكا وكان من نتيجتها هذا الهذيان الذي يسمونه اعلاما • فاذا كان الاعلام الاسلامي يصدر من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة • فالاعلام الغربي يصدر من خلال فلسفة الفلاسفة والعلماء والمفكرين في العصر الحديث•

تتبعت هؤلاء المفكرين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين فالى الاسس الفلسفي والعلمي والفكري في القرن التاسع عشر والقرن العشرين يرجع هذا الاعلام الغربي والأمريكي الحاليين•

والذي يهمنا في هذا الأسس الفكرى • القيم الخلقية •

الأخلاق والعلوم

في القرن ١٩ طلع دارون (عالم انجليزي ١٨٠٩ ــ ١٨٨٢) بنظرية جديدة تتلخص في أن الحياة بدأت بالخلية الواحدة ثم تطورت الى الأسماك فالزواحف فالطيور فالقردة فالانسان وقال بأن تنازع البقاء هو علة ظهور السلالات والانواع الجديدة •

وسأله الاساقفة في انجلترا (١) ألم تكن هناك قوة هادية مرشدة سددت خطوات هذا التطور وزودت الحيوان بما يلائم المحافظة على حياته وحسن تكيفه في بيئته؟

قال دارون : أبــدا

الأسد يزداد قوة وقدرة على الوثوب والغزال يزداد قوة وقدرة على الجرى ودقة الشم والسمع والذى يضعف منهما يموت جوعا أو يموت مقتولا •

فقال له الاساقفة " اذا كان التطور يتم على أسس ابادة الضعيف لحساب القوى فما رأيك في التعاون والرحمة والتسامح "

المثـــال ·

قال " لقد أنشأنا حرما آمنا للطيور فى انجلترا ومنعنا عنها جوارح الطير كالصقر والنسر فلم تمض مدة حتى فشت الأمراض بين هذه الطيور واجتاحت عددا منها وما ذلك الا لأن هذا الحرم قد حمى ضعاف الطير ومابه استعداد للأمراض من الوقوع فريسة للجوارح فانتشر بين الطيور وتفشت فيها الأمراض. "(١)

والخطير فى نظرية داروين أن التطور يتم على أساس ابادة الضعيف لحساب القوى ومأساة الاستعمار فى القرن التاسع عشر احدى ثمرات هذه النظرية فالأوربى هو الانسان الأقوى فليرم الافريقى والآسيوى فى الصحراوات أو فى الغابات ليحتل الأرض ـ وينهب الخيرات وبذلك يخلص البشرية من العناصر الضعيفة ولا يبقى فى البشرية الا عناصرها القوية ·

النظرية تنفى قصة آدم وحواء الوارد ذكرها فى القرآن الكريم · الماركسية اعتمدت على هذه النظرية فى انكار الخالق · كل النحل المنحرفة اتخذت من هذة النظرية أساسا تقوم عليه فهم يقولون اذا كان الانسان أصله حيوان فلم تمسكه بالدين والخلق ·

واذا ارتكب الانسان جريمة فهذا شئ طبيعى انه ارتداد وراثى الى الحيوان الذى كناه ويقفزون من ذلك الى تبرير الجريمة ·

اذا كان الجسم البشرى قد تطور عن الجسم الحيوانى فلماذا لا نجرب على الحيوان أثر العقاقير تمهيدا لعلاج الانسان ولماذا لا نتخذ من الحيوان وسيلة لمعرفة خطوات التعلم ونقارن ذلك بالانسان ·

أحدثت هذه النظرية انطباعا يؤكد أن طبيعة الانسان متطورة متغيرة فلا قيم

داروين وأحد المدافعين بحماس عن نظرية التطور سئل لماذا يعيش الانسان؟ فقال " يعيش ليموت " .

ليس هناك مكان للرد على نظرية التطور في هذه الرسالة ولكن يكفي أن يقال ان نظرية التطور مجرد نظرية ولم ترق لمرتبة اليقين العلمي بعد . فهي مجرد فروض تحقق بعض هذه الفروض ولم يتحقق الآخر . أي أنها لم تصل الى القانون العلمي .

الأخلاق والبيولوجيا

قام بيولوجي هو الدكتور ايلي متشينكوف " Elie Metchinkoff " باصدار كتاب بعنوان " دراسة في الطبيعة الانسانية سنة ١٩٠٣ في باريس يبين فيه أن الانسان يعاني من التفكير في المرض والشيخوخة والموت . ويستعرض الحلول ويرفضها " .

" الحل الديني لمشكلة المصير – الخلود والحساب ويرفض هذا الحل "

" الحل الفلسفي بالاستسلام – ويرفض هذا الحل "

" الحل المتشائم المفضي الى الزهد – ويرفض هذا الحل "

" والحل الذي يقدم هو الاعتماد على العلم لا طالة الحياة وعلى الناس أن يجتمعوا حول العلم باعتباره المثل الأعلى كما تجمعوا قديما حول الدين باعتباره المثل الأعلى موقتا لغريزة الموت حتى يستطيع العلم أن يبعد عنهم شبح الموت "(١)

قال تعالى " قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل "(٢)

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي/ الأخلاق النظرية، /ص ٣٣/ الطبعة الثانية/ ١٩٧٦/ وكالة المطبوعات الكويت (٢) الأحزاب ١٦

هذا عالم بيولوجى يستبعد الدين باعتباره مثلا أعلى ومعنى استبعاد الدين استبعاد ثبات القيم • فالقيم ديناميكية تقابل الفصل الواقعى فلا ثبات خلقى ولبس لدينا رد على هذا العالم الا أن نقول له عندما ينجح العلم فى استئصال غريزة الموت كما يقول يمكن أن نفكر فى الالتفاف حول العلم وحده كمثل أعلى •

قال تعالى " قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم "(١)

وقال تعالى " أينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم فى بروج مشيدة "(٢)

الأخلاق والطب

" يرى علماء الطب أن فى المخ الأمامى مراكز للسمع والنطق والذوق والشم والبصر واللمس والحركات الارادية فاذا أصيب الرأس فقد تسبب الاصابة تعطيل مركز معين مثل اصابة مركز النطق شللا • "

" ولقد أطلق علماء الطب على الطرف الامامى من المخ المنطقة الصامتة ووجد أنه اذا حلت بهذه المنطقة صدمة أو اصابة فقد تحول شخصية صاحبها من النقيض الى النقيض• ويقولون انهم يستطيعون أن يغيروا شخصية الفرد بعمليات جراحية يقومون بها على المخ الأمامى وأحيانا يكتفون بارسال موجات كهربائية قصيرة على المخ فيتحول الشخص من مكتئب متشائم الى مبتهج مستبشر "(٣)

ويرى هؤلاء العلماء ان ثبات الأخلاق خرافة فان ضربة على المخ الأمامى تحيل الفرد من أخلاقى الى سىء الخلق وهو لا يدرى فكيف يحاسب •

ولبس لدينا رد على هذا القول الا أن نقرر اذا تغير الشخص من انسان متزن الى انسان متهور نتيجة لصدمة أو لموجات كهربية فانه يعتبر مريضا ولبس على المريض حرج

ومحاسبته على اللـه والله أعـلم بالسرائر ويعـذ ب من يشـاء ويغفـر لمن يشــــاء •

الأخـــلاق وعلمـاء الغـــــــد د

(١)

" أجمع علماء الغدد على وجــود صلة بين طبع الانسان ومزاجــه وبين ازدياد ونقــص افــراز الغـــدة النخاميــة فالجبان الخانع اذا عــولج بخلاصــة الغدة النخاميــــــة يتحــول الى شجــاع شــرس " (١) •

(٢)

" ويذكرون أن جرعـة صغيرة من مسحوق الغـــدة الدرقية المجففة والمأخـوذة من جسم ثـور عنـد ما تعطى عن طريق الفم لشخص ماتبدل حالته وطباعه الى شخص هــــادئ وديـع رضى الخلق " (١) •

(٣)

" ويذكرون أن اضطراب الغــدة النخامية يصيب الفرد بعلل سلوكيـة معينـة كحــــــدة الطبع والغضب والصخب والعصيان والكـذب والسرقة والتشرد ويـرون أن التغير الذى طرأ على شخصيــة نابليــون أثنــاء حملته على روسيا وبعدها يرجــع الى قصــور غدته النخامية " (١) •

(٤)

ويذكرون أن استئصال الجـزء النخاعى من الغـــدة الدرقيــة يستأصل عاطفــة الأمـــومة من القطط وتصبح أنانيـــة " (١) ونظرا لايمانهم بنظرية التطور فانهم يرون لو أن هـــــذه العملية أجـريت لانســان فانها تعطـى نفس النتــائج •

---

(١) • عبد الحافظ حلمى ـ مراجعة د • محمد رشاد الطوبى / الأساس الجسمانى للشخصية ص٢٠ / الطبعة الأولى / ٢٠٠

(٥)

" ويرى علماء الغدد أن الهرمون فى الذكر .. به هرمون انثوى وهرمون ذكرى وكذلك فى المرأة فاذا كثر عند المرأة نصيبها من الهرمونات الذكرية ظهرت عليها أعراض الذكورة وزاد نصيبها من الاقدام والجرأة وكثيرا ماتعالج المرأة الضعيفة بحقنها بهرمونات ذكرية وقل العكس اذا زاد نصيب الرجل من الهرمونات الأنثوية" (١)

" وينتهى هؤلاء العلماء الى القول بأن شخصياتنا تعتمد على تكوين أجسامنا وان كل خاصية لهذه الأجسام تعتمد على الجينات التى نرثها عن أسلافنا • ان الوراثة تحدد كل الصفات التى يتسم بها الشخص خلقيا • وعجلة التاريخ تدور حول محورها تعيد على الدوام أخطاء السابقين • "

من الجائز أن جينات الوراثة هى التى تحدد حجم الغدد وقدراتها الوظيفية والشخصية تتوقف الى حد كبير على نسبة ضئيلة من افرازات الغدد • اذن تحديد الشخصية أساسه الجينات • ان هذا التحديد حتمية مادية ولا يمكن نقضه" (٢)

ويشيرون بذلك الى أن الانسان يولد والاستعدادات الخلقية ركبت فيه بحيث لاسبيل الى تغييرها ولا جديد تحت الشمس والانسان هو الانسان يكرر خلقه ولاسبيل الى تغييره الا اذا كان فى وراثته شئ يتفق مع الصفوة الممتازة القوية التى تتسلط على المجتمع وحتى أصحاب الجينات التى تؤهل للخلق القويم والشخصية الطيبة يمكن أن تتغير شخصياتهم الطيبة بضربة غير ملموسة على المخ الأمامى أو بالتعرض لموجات كهربية غير منظورة أو بجفاف الغدد أو باستئصال بعضها نتيجة لأورام أو لضربة طائشة من مبضع جراح •

---

(١) د• محمد النويهى/ثقافة الناقد الأدبى/ص ١١٥/الطبعة ٢/١٩٦٩/مكتبة الخانجى

ويرون أن بعض الناس عندهم نقص فى القدرة على ضبط انفعالاتهم فعندما يتعرض هؤلاء الى عوامل مثيرة ينطلقون كالقذيفة ويسخر هؤلاء القوم من القول بأن نفوسنا فطرت على الخير كما فطرت عقولنا على قوانينها الفكرية المنظمة ويقررون ان متغيرات الافراز الهرمونى يتبعه متغيرات فى السلوك الأخلاقى وينتهون الى أن اضطراب الغدد وما يصحبه من تغير يصيب الثبات الخلقى فى الصميم ويستدلون بما قرره العالم الامريكى برمان Berman من تصنيفه للشخصيات الى طرز حسب النشاط الهرمونى السائد للغدد الصم (١)

فالطرز الأدرينالى	صاحبه قوى ثابر نشط
الطرز النخامى	صاحبه يتميز بضبط النفس والسيطرة عليها
الطرز الدرقى	صاحبه متهور سريع التهيج قلق فظ
الطرز الجنسى	صاحبه خجول يسهل استثارته للضحك والبكاء
الطرز التيموسى	صاحبه ذو نزعة لواطية ويتميز بانعدام المسئولية الخلقية ٠

لقد أطلق على الغدد الصم اسم غدد الشخصية وغدد المصير ٠ ويشير بذلك الى أننا نرث جهازا غديا يطبع شخصياتنا ويوجهها الى الخير أو الشر (١)

لم يقل أحد ان نفوس البشر فطرت على الخير أو فطرت على الشر ولكنها تملك امكانيات للخير وامكانيات للشر بحسب التربية التى تتلقاها والدين الذى تؤمن به أو القيم التى يعتنقها ولذا كان الانسان مسؤولا ٠

---

(١) د٠ أحمد عزت راجح / أصول علم النفس / ص ٧٨٣ / الطبعة الثالثة / ١٩٥٧ / مطبعة جامعة الاسكندرية

قال تعالى " ونفس وما سواهـا فألهما فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهـا وقـد خاب من دسـاها "(١)

أما اضطراب الغـدد فهـو مرض والذى خلق الداء خلق الدواء. والذى انحرف رغمـا عنه ولم يقصر فى علاج غدده فأمره الى اللـه " واذا مرضت فهو يشفين "(٢) " والـذى أطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الديـن "(٣)

قال تعالى " والذين جاهـدوا فينـا لنهدينهم سبلنـا "(٤)

فاذا ضاق فرد بالحـاح هرمـون غدته النهموسية كما يقول برمان Berman وحـاول علاج نفسه وتشبث بالقيم الاسلاميـة فان اللـه يهـديه سـواء السبيـل ويكون لمثـل هـذا الشخص فضـل المجاهـدة والمثابـرة والاحسـان واللـه لا يضيـع أجـر المحسنـين.

ويقال هـذا القول لعلمـاء الكيمياء الذين يقولون ان ابخـرة الرصاص تسبب خـللا عقليـا . وتحـمل الشبان على ارتكاب أعمـال العنـف.

فالدهان ــ والأوانـى الخزفيـة الملونـة ودخان السيارات ومـاء الشـرب الجـارى فى الأنابيب الرصاصيـة تسبب تسممـا فى الدمـاغ وتغيرا فـى الخلق والجميـع معرض لـذلك.

الأخـــلاق وعلماء الاجتمـــاع

يدور الفكر الفلسفى حول كيف نشاهد الكون الذى نعيش فيه ومن الذى أنشأه وما القيم الأخلاقية المطلقة التى يجب على الانسان فى كل زمان ومكان أن يلتزم بها . أما علماء الاجتماع فقد اعترضوا على فكرة الأخلاق المطلقة وأخذوا بفكرة الأخلاق النسبية التى يضعها كل مجتمع لنفسه ويرون أن ماهو أخلاقى عند قوم لايعد كذلك عند قوم آخرين وماهو جميل فى زمن يصبح غير جميل فى زمن آخر فلا وجود للجمال المطلق .

والقيم الأخلاقية تتغير بتغير الظروف الاقتصادية والتاريخية والأحوال الاجتماعية والثقافية فالأخلاق لا تقبل أى تعميم لأنها فى حالة صيرورة وتغير ولكن من الذى يضع القيم الأخلاقية .

عند علماء الاجتماع مثل — اوجست كونت / دوركايم ليفى بريل المجتمع هو المشرع للقيم وهو الذى يضع مبادئه بنفسه . والأخلاق ليست نمطية وليست دائمة وليست عامة . والدين نفسه ظاهرة اجتماعية ولذلك دعا أوجست كونت الى " ديانة انسانية وضعية ونصب نفسه كاهنها الأكبر ووضع لها شعارا يستند الى المحبة كمبدأ والنظام كقاعدة والتقدم كغاية "(١)

ودعا " ليفى بريل (١٨٥٧م - ١٩٣٩م) " الى " نبذ كل أخلاق نظرية أو كل فلسفة خلقية ليستبدل بها علم الأعراف والعادات والتقاليد عند مختلف الشعوب فى مختلف العصور ثم اكتشاف قانون تطورها ليصبح علم الأخلاق علما موضوعيا "(١)

" وليس لعالم الأخلاق أن يصنع الأخلاق كما يصنعها الفلاسفة وانما له أن يدرسها ويصنفها ويستنبط قوانينها "(١) .

والذى سار فى هذا العلم شوطا بعيد هو دركايم (١٨٥٨م - ١٩١٧م) " ولد فى ايبنال مدينة شرقى فرنسا من عائلة حاخاميين يهود " (١)

ذهب دوركايم الى أن الالزام الخلقى لا يصدر الا عن المجتمع ويشبه ضغط المجتمع بالضغط الجوى لا يشعر به أحد ولكنه يضغط بثقل ١٤٫٧ رطل على البوصة المربعة على اجسامنا والمجتمع عنده " هو المشرع الوحيد للقيم لأنه خالقها وحافظها " (١) عن طريق حاكم أمرناه يفرض سلطانه على الأفراد سماه العقل الجمعى ٠

فما العقل الجمعى ؟

لقد استعان دوركايم بفكرة فلسفية ألبه بها المجتمع وسماها العقل الجمعى ورأى أنها تنشأ من عقول الأفراد ومشاعرهم فى أثناء اجتماعهم مع بعضهم البعض حيث " ينشأ عقل جمعى " أو ضمير ذو طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة كل من الشعور الفردى على حدة ويضرب مثلا تفسيرا لذلك بالماء الذى يتكون من جزأين من الايدروجين باضافة جزء من الاكسجين تحت ظروف خاصة وبما أن المركب الكيميائى " الماء " يختلف فى طبيعته عن عنصرية فكذلك المركب العقلى أو العقل الجمعى يختلف تمام الاختلاف عن عناصره وهم الأفراد الذين تتكون منهم الجماعة " (٢)

هذا العقل الجمعى الذى ينشأ عن اجتماع الأفراد يفرض سلطانه على الأفراد وعن طريق هذا العقل الجمعى يقدس المجتمع ذاته ويعبد نفسه وتصبح ذات المجتمع هى ذات الله فالله والمجتمع ليسا الا شيئا واحدا ٠ وذهب دوركايم الى أن فكرة الألوهية ليست عنصرا للحياة الدينية حيث أن هناك ديانات بلا آلهة كالبوذيه والجانية

---

(١) د٠ قبارى محمد اسماعيل ص ١٩٧/طبعة ١٩٧٨/٢/ الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) د٠ زكى اسماعيل/هل الدين ظاهرة اجتماعية /محاضرات فى المعهد العالى للدعوة الاسلامية / الرياض/للسنة الثالثة عام ١٩٨١م محاضرات علم النفس الاجتماعى

يذهب الى أن الدين رابطة اجتماعية والى أن التوتمية هى الصورة الأولية للحياة الدينية " والتوتم قد يكون نوعا من الحيوان أو النبات تعتقد العشيرة أن لها به أوثق الصلات (١) فالمرأة البدائية قد يتحرك الجنين فى بطنها لأول مرة وفى نفس الوقت يسنح لها ثعلب فتظن أن هذا الثعلب له صلة بالجنين ومن ثم بالعشيرة كلها ويصبح هذا الثعلب توتما للعشيرة وشعارا للجماعة وعلما لها ورمزا للاله • ويصل الى أن الله والمجتمع ليسا الا شيئا واحدا " فاله العشيرة أو الاله التوتمى أو هذا العلم الذى يعبر عن شخصية العشيرة ويميزها عن غيرها لايمكن أن يكون سوى العشيرة نفسها فالجماعة أو العشيرة لم تعبد الها خارجا عنها وانما عبدت نفسها "(١)

" فاذا كان أفلاطون يعتقد فى اله هو مثال الخير • وأرسطوا يعتقد فى اله هو العلة الأولى والموجود بالضرورة ويعتقد ابن سينا فى الوجود الالهى على أنه واجب الوجود فان التصور الدوركايمى لطبيعة الألوهية هو تصور الاله التوتم أى أن المجتمع عبد نفسه وذات المجتمع هى ذات الله موضع قداسه وعبادة • "(١)

" ويرى دوركايم أننا اذا ما أردنا أن نجد لأول مرة الها مكونا كله من عناصر انسانية فانما نجده فى المسيحية ففى المسيحية الله انسان لا بشكله المادى الذى تجسم فيه ولكن بالأفكار والعواطف التى عبر عنها فالمسيحية هى أول دين صور الله على أنه انسان يلتقى فيه الجانبان اللاهوتى والناسوتى وهذا تبرير دوركايمى يبرر به تشخيص الله فى صورة انسان فى العقيدة الطوطمية ويحاول " دوركايم " ان يوضح فكرته فى أن المجتمع يعبد نفسه وأن ذات المجتمع هى ذات الله بأن بعض الأقوام يعبدون أسلافهم • ويصور الاستاذ احمد حسين (٢) هذه العبادة عند معتنقيها كمايلى " الاب هو المتسبب فى الحياة

---

(١) د• قبارى اسماعيل/قضايا علم الأخلاق ص ١٠٥/طبعة ٢/١٩٧٨/ النهضة المصرية

للابن وهذا الأب كان ابنا لأب سابق وهكذا فلا بد أن يكون الجد الأول هو أصل الحياة وهو الذى يرعى الأحياء فى عالم الأشباح ولا بد أن تقدم القرابين لاسترضائه ولا يزال الدين الرسمى لشعب ضخم كاليابان فى الوقت الحاضر هو الشنتو حتى ان اليابانيين على الرغم من تقدمهم العلمى لايزالون يؤمنون بأن الميكاد و سليل الأب الأول الذى انحدر من الشمس ليحكم الأرض ولا يزالون يقدسونه . والاحتفاظ بجسد لينين محنطا وزيارة الألوف من المواطنين الروسيين له يوميا ليس الا بقايا من عبادة الآباء" (١)

المجتمع فى رأى دوركايم وليس العقل هو السلطة الأخلاقية العظمى . والمجتمع هو المشرع الوحيد للقيم والدين ظاهرة اجتماعية وهذا رأى خطير لأنه يهدم الديانات السماوية من أساسها منكرا الوحى مصدر هذه الرسالات هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يرى أن العالم متغير لاثبات فيه وأن الأسس التى يقوم عليها علم الأخلاق تتهاوى .

والخطورة فى هذا المذهب أن له دويا كدوى النحل فى أوربا الغربية ويعتنقه الكثير من المفكرين ويدرس فى جامعاتنا ويفتتن به كثير من مثقفينا . وبالرغم من أن رسالتى تتوقف على الثبات الخلقى فى هذا المذهب أو ذاك وليست رسالتى تحملنى على ملاحقة أصحاب المذاهب الفلسفية أو الاجتماعية وانما هى عورات فكرية استرها ولو بورقة توت حتى لا يفتتن قارئ رسالتى بهذا السراب الفكرى الأوربى وأعرض الآن رأى المفكرين الذين لا يسيرون مع علماء الاجتماع.

(١) هاجم " هنرى برجسون " الأخلاق الاجتماعية " واعتبر المجتمع الأخلاقى الدوركايمى هو مجتمع آلى جامد شبيه بمجتمعات النحل . ذهب برجسون الى أن الأخلاق الاجتماعية ليست سوى نسق من العادات الخلقية تنحصر وظيفتها فى المحافظة على كيان المجتمع.

(١) أحمد حسين — أصل الايمان والاعتقاد/ص ٢٥/طبعة ١/مكتبة وهبة

واذا أخذنا بوجهه النظر الاجتماعية فى الأخلاق فكيف تفسر ظهور النبى والقديس والبطل وعلى أى أساس يصدر الحكيم والزعيم والفيلسوف والثائر؟ ان جبرية دوركايم الأخلاقية تشبه الالزام الغريزى الاجتماعى الذى يفرض على النحلة حين تقوم بالعمل من أجل الخلية . فالقسر الاجتماعى اكراه تعسفى والقاعدة التى يفرضها المجتمع قد تكون سخيفة ومن ثم لا يصبح الانسان ملزما بها "(١)

(٢) ويقول الدكتور أحمد عزت راجح " من الخطأ أن نسير مع علماء الاجتماع الذين يرون أن الشخصية مركب اجتماعى صرف لو فعلنا لأنكرنا مابين الناس من فوارق فردية وراثية فى الذكاء والقدرة على التعلم والقدرة على التفاعل الاجتماعى وبين فوارق فى المزاج وقوة الدافع ومستوى الطاقة والحيوية ودرجة الحساسية والقدرة على احتمال الحرمان "(٢)

(٣) ويقول الدكتور زكى محمد اسماعيل " اذا ادعى دوركايم أن كل ماهو دينى اجتماعى كان الرد السليم هو أن كل ماهو دينى فطرى وكل ما هو فطرى فردى أى ينشأ مع الفرد ويعم لدى النوع ولنا يمكن القول بأن الدين ظاهرة فردية وليس ظاهرة اجتماعية .

ان الدين لا يمكن أن يستخلص من دراسة مجموعة الطقوس والشعائر الدينية كما تستخلص أسس الظواهر الاجتماعية الأخرى من مجموعة الأنماط والسمات الثقافية التى تتضمنها هذه الظواهر حين تدرس بمنهج الملاحظة الاجتماعية أو الاسلوب الاحصائى أو دراسة الحالة وذلك لأن الدين يتصل بمنابعه فى القلب والضمير عن طريق اخلاص النية

---

(١) د. قبارى اسماعيل/قضايا علم الأخلاق/ ص ٢٦٧/١٩٧٨/ الهيئة المصرية للكتاب الاسكندرية . (٢) د. أحمد عزت راجح/أصول علم النفس / ص ٣٨٤/طبعة ٣/ ١٩٥٧/مطبعة جامعة الاسكندرية

وسلامة القصد وصفاء الاتجاه بعيدا عن شعائر أو طقوس . ان الدين أساسه الوجود والضمير المرتبط بالفطرة حيث يلتقى فى اطاره العقل بالنقل .

والدين الاسلامى يجعل للنيه القلبية الاعتبار الأول فى تقويم الفعل الخارجى[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى "[2]

" ان الدين عاطفة فطرية لدى كل انسان وقد تفقد هذه العاطفة صفاءها بسبب مايلحق بها من تشويه اجتماعى "[1]

ويقول الاستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه فى مادة دين " فطرة التدين ستلاحق الانسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه "

ويقول الدكتور زكى محمد اسماعيل[1] " الدين السماوى ظاهرة الهية قدسية أبعد ماتكون عن صنع الانسان واذا كان الدين السماوى من شأنه أن ينظم للانسان العلاقة بين الحياة والآخرة فليس معنى ذلك أنه وليد المجتمع وانما معناه أنه هداية للمجتمع والدين لا يخضع لهذا العقل الجمعى الذى توهمه دوركايم وتخيله حاكما أمرا ناهيا يفرض سلطانه على الأفراد . والصحيح أن مايمكن تسميته بالعقل الجمعى أو الشعور الجماعى ينشأ عن العقيدة الدينية وليس العكس كما يرى دوركايم "[1]

الدين لا يخضع لهذا العقل الجمعى بدليل أننا نجد فى المجتمع الواحد أديانا عديدة فالهند تتعدد فيه الأديان السماوية وغير السماوية وفى أمريكا نجد المعابد والكنائس والمساجد ويوجد من الأفراد من يغير دينه الموروث الى دين آخر يقتنع بصحته كما نجد العديد من أفراد ينتسبون لمجتمعات مختلفة يعتنقون الدين

(١) د.زكى محمد اسماعيل/هل الدين ظاهرة اجتماعية (٩) البخارى ـ أول حديث. مذكرات المعهد العالى/١٤٠١/السنة الثالثة

الاسلامى بعيدا عن سلطة العقل الجمعى ٠

(٤) أما الديانة التوتمية (فقد تعرض دوركايم لانتقادات لاحصر لها من علماء الاجتماع أنفسهم فجيمس فريزر ينتهى برأى هو أن التوتمية ظاهرة ذات أصول سحرية لا دينية وليست التوتمية من الدين فى شئ ويرى باستيد أن التوتم ليس الاموضعا للاحترام العائلى كما يحترم الابن أباه الأمر الذى يهدم الأصل الدينى فى التوتمية الدوركايمية ٠ والنظم التى اتصلت بها التموتمية نظم اجتماعية خالصة لا علاقة لها بالدين" (١)

(٥) أما قول دوركايم بأن هناك ديانات قد استقامت بلا ألهة كالبوذية والجانية فالحقيقة هى كما يأتى : البوذية التى انشأها بوذا سنة ٥٦٣ ق ٠ م " ولم يكن بوذا نبيا ولا صاحب دين ولم يتلق وحيا وانما هو باحث مفكر عاش على الأرض لم يتعرض فى مباحثه لوجود الله ٠ ولكن بعد وفاته اتخذ اتباعه من بوذا الها ٠

والجينية أسسها مهاويرا (٥٩٩ق٠ م ٠ ٥٢٧ق٠م) ولم يعترف بالاله ولكن اتباعه اعتبروه الها " (٢) فالبشر عندهم جوع للايمان باله مثل جوعهم للطعام كما يقول الاستاذ عباس محمود العقاد ٠

المهم عندى الآن أنه فى ظل المذهب الذى فتن البشر فى أوربا وغيرها لا نجد ثباتا خلقيا ٠ فالأخلاق متحولة والقيم غير ثابتة وهى

البرجماتـزم والثبات الخلقــــى

ننتقل الآن الى الولايات المتحدة الأمريكيــة " براجماتزم كلمة مشتقــة من كلمــة براجما وهى تعنى فى اللغة الاغريقية العمل فالبراجماتزم اذن هى المذهب العملـــى وأول من استخدم هذه الكلمة هو الفيلسوف الأمريكى تشارلس بيرس صديق وليم جيمـس (١) منشئ هـذا المذهب وليم جيمس (١٨٤٢م ــ ١٩١٠م) والبراجماتزم والشيوعية همـا القطبان اللذان يجذبان البشر فى أمريكا وأوربا .

مـاذا يقـول هـذا المذهـب؟

(١) المعرفة : المفيد هو الصحيح حتى ولو لم يقم دليل على صحته ألا ننتفع نحن بالطاقــة والكهربا والجاذبية بدون أن نعرف ماهية هذه الظواهر الكونيـة . كذلك ترى البرجماسية أنــه لا يهمها مسائل الألوهيــة ــ الخير ــ الشرالوحدانية الا اذا كانت هذه المسائــل تجلب نفعا لنا . فالصحة والصواب لاتهمان وانما النفع هو الذى يهم . النفع لأكبر عـدد من الناس ولأطـول مـدة ممكنــة . المعتقدات الصحيحة هى وحدها التى تحقق أغراضها العملية .

" قال وليم جيمس لكى نجد معنى للفكرة ينبغى أن نفحص النتائج العملية الناجمة عن هذه الفكـرة وطبق قـوله هذا على فكرة وجـود الله قال" وصفت الفلسفة المدرسية الله بالكمال مامعنى هـذا ؟ وماهى النتائج بالنسبــة للناس؟ فاذا كان الله محيطابكل شئ وقـادرا على كل شئ فان هـذا يعنى أننا لا نملك من أمـرنا شيئا ولا نستطيع أن نغير مـــن مجـرى القضاء والمصير الذى فرضته ارادة الله وحددته وخططته منذ البداية .فاذا كنـا نعتقد بذلك فاننا سنتحول الى التصوف الهندوسى ونتخلى عن أنفسنا فورا ونستســلم

فالمعرفة أداة للسلوك العملى والفكرة التى لاتهدى الى عمل لا قيمة لها اذ أن مهمة الفكر أن يكون أداة للتغير الاجتماعى . نحن نفكر لنعيش ولا ينفصل الفكر عن الواقع والمعرفة العقلية اجراءات سلوكية لحفظ الحياة والحقيقة تكمن فى القدرة على حل مشكلات التكيف ولا مجال للتفكير العقلى المجرد بل لا بد من توظيف التفكير فى تشكيل الحياة حتى تصبح أكثر ملاءمة لبلوغ الغايات التى يستهدفها الانسان . ويرى هذا المذهب أن مهمة الفلسفة التقليدية فى البحث عن الحقيقة المطلقة اضاعة للوقت ولا طائل وراءها .

وللفلسفة أن تتنازل من طيات أبراجها وترتبط بالحقائق الواقعية لا المطلقة المثالية

(٢) الحرية : الحرية فى رأى هذا المذهب السعى للقوة ولا وجود للحرية المطلقة فاذا وجدت حرية هنا وجد قيدا هناك . والعقل الحر هو الذى يصدر عن معرفة مستنيرة بالواقع والحرية بهذا الأمر ليست أمرا فرديا وانما هى مسألة اجتماعية . والحكمة كما يقولون توجب أن توزع مختلف القوى بحيث نحقق الحرية بتكثيف الحرية ويطبق الساسة الأمريكيون هذا المذهب سياسيا بدعوى توزيع القوى ويتضح هذا التوزيع من فكرة تزويد اسرائيل بالعتاد الحربى حتى تتساوى مع العتاد الحربى لدول الشرق الأوسط جميعها .

(٣) الطبيعة الانسانية : الطبيعة الانسانية متغيرة متطورة " لأن أصحاب هذا المذهب يؤمنون بنظرية التطور " والقيم عندهم متغيرة متطورة وهى من انتاج الانسان ليتكيف مع هذا العالم المتغير .

(٤) البراجماتزم والتربية :

طبق فيلسوفهم التربوى " جون ديوى " (١٨٥٩ ــ ١٩٥٢م) مذهب البراجماتزم

فى حقل التربية والتعليم ورأى أن التربية عملية نمو مستمر فالنمو فى نظره هو المقياس الأخلاقى لا الخير المطلق.

ورأى أن اكتساب المعرفة أو المهارات تكون عن طريق النشاط الفردى. وأطلق على اكتساب المعرفة بهذا الطريق خبرة. والخبرة التربوية فى رأيه " أى تفاعل بين الفرد وبيئته ينتج عنه فى المرء تغيرات مستحبة توجهه نحو متابعة النمو والتطور. أما التغيرات المستحبة فتحدد على ضوء حاجات الولد والمقاييس الاجتماعية والتربوية السائدة فى الحضارة التى ينتمى اليها "(١)

ووضع خطوات للتفكير العلمى يلتزمه الفرد للحصول على الخبرة

هذه الخطوات هى :

(١) الاحساس بوجود مشكلة

(٢) تحديد المشكلة

(٣) فرض الفروض

(٤) اختيار صحة الفروض

(٥) القانون العلمى

والمدارس فى رأيه يجب أن تكون مجتمعا حقيقيا يقوم الطلبة فيه بمشروعات عملية يتعلمون عن طريق الخبرة مستعملين خطوات التفكير العلمى وينتهى بأن الخبرة هى أساس المعرفة. ولما كان الدين ليس فى متناول الخبرة فيجب أن يستبعد من الدراسة فى المدارس. ولما كانت طبيعة الانسان متغيرة فعلى الأفراد أن يشكلوا أخلاقهم

(١) د. فريد جبرائيل نجار/قاموس التربية وعلم النفس ص ١٠٨/ الطبعة الأولى/١٩٦٠/ منشورات الجامعة الأمريكية .

بالقدر الذى تسمح لهم هذه الأخلاق بالنمو ومزيد من التكيف ويحدث ذلك أثناء نشاطهم فى اكتساب الخبرة . فالقيم الثابتة لا مجال لها فى حياة الانسان التى لا تتسم بالثبات والعالم الآخر خرافة ولا حاجة لكبت الشهوات اذا أمكن تحقيقها " انتهى اتباع الذهب البرجما تزمى الى أن العقائد الدينية ليست حقائق يقينية بل فروض نافعة أو مذهب وضعى لا صلة له بالقداسة بل لا يوجد شىء مقدس" (١)

تعليق :

فلاسفة هذا الذهب أداروا ظهورهم للفلسفة وحسنا فعلوا ولكنهم قدموا للناس ميزانا يزن الأفكار بحسب نفعها لا بحسب مقدار الحق والصواب والصدق فيها وكأن الناس أطفال صغار .

يقول الدكتور زكريا ابراهيم (فالحق اذا أريد له أن يكون حقا كان من الضرورى أن يكون مستقلا تمام الاستقلال عن قبولنا الخاص ورضائنا الشخصى بل قبول الناس كلهم ورضاء البشر أجمعين" (١)

" ان صرف اهتمام الانسانية عن الحقيقة الى النافع هو نوع من التحليل الخادع" (٢)

ماالحقيقة هذا الذهب نحاها جانبا ووضع مكانها ماالنافع؟

ماالدين ؟ .. ماالآخرة؟ .. ماالأخلاق الثابتة؟ .. هل يصيبنا نفع من الدين؟ هل فكرة الآخرة تعيننا على التكيف مع الحياة . هل الأخلاق الثابتة تصلح لعالمنا المتغير وطبيعتنا المتطورة . الدين صحيح اذا نفعنا واذا لم ينفعنا فليس صحيحا . الآخرة فكرة صحيحة اذ أدت لنا نفعا ودفعتنا على طريق التكيف مع الحياة واذا لم تفعل فليست صحيحة من وجهة نظرنا فى هذه الفترة الأخلاق الثابتة لاتصلح لعالم متغير ولطبيعتنا المتطورة . هذا الذهب لايدعو الى الثبات الخلقى وهذا مانريد أن نصل اليه .

الثبات الخلقى والتحليل النفسى

صاحب هذا المذهب هو الطبيب اليهودى سيجموند فرويد . ماذا يقول فرويد وما صلة مايقوله بالثبات الخلقى ؟

الكائن الحى يحصل على الطاقة من الطعام الذى يأكله والطاقة مثل التيار الكهربائى فى المنزل يستخدم الثلاجة والغسالة والتلفزيون والموقد وكذلك الطاقة الانسانية تصرف فى أغراض شتى مثل الدورة الدموية وادارة الجهاز العصبى وتتحول هذه الطاقة فى الانسان الى طاقة عضلية يلمسها حين نعمل وطاقة ميكانيكية نرصدها حين ننتبه بواسطة التموجات الصوتية وطاقة نفسية تساعدنا فى التفكير والادراك والتذكر .

وشخصية الانسان فى رأى فرويد تتكون من:

(١) الذات الدنيا ـ الهو ـ الهى ـ id وهى تضم الدوافع الجنسية والعدوانية وطبيعة الانسان الحيوانية (فنظرية دارون عندهم قضت على الرأى الذى يقول بانفصال الانسان عن الحيوان) .

الذات ـ الأنا ـ Ego ينفذ أوامر الذات الدنيا بغير صادمة للواقع .

الذات العليا : تتركز فيه القيم والمثل نتيجة للتربية الراشدة ويطلق عليه ـ الأنا الأعلى أو Superego

(٢) وخزان الطاقة النفسية (١) (الطاقة التى تساعدنا على التفكير والادراك والتذكر) فى الذات الدنيا .

" والغريزة موطنها الذات الدنيا

" والغريزة هى التى تفجر الطاقة النفسية "

فالغريزة الجنسية مثلا توجه الطاقة النفسية (الادراك والتذكر والتفكير) نحو الهدف وهو الاشباع الجنسي ٠

(٣) الطاقة في الذات الدنيا :

والذات تتسلم الطاقة من الذات الدنيا ٠ والذات العليا تتسلم الطاقة من الذات الدنيا ٠ فاذا احتفظت الذات الدنيا بالطاقة النفسية فان سلوك الفرد يكون مندفعا شهوانيا ٠ واذا سيطرت الذات على الطاقة فان سلوك الفرد يكون واقعيا ٠ واذا سيطرت الذات العليا على الطاقة فان سلوك الفرد يكون أخلاقيا [١] لأنه توجد كمية محددة من الطاقة ٠ فاستيلاء جانب من جوانب الشخصية على جزء من الطاقة معناه نقد هذا الجزء من الجانبين الآخرين ٠

(٤) الصراع شديد بين هذه الذوات

فالذات الدنيا ضد الذات

والذات العليا ضد الذات

والذات الدنيا والذات ضد الذات العليا

وتوزيع الطاقة هو الذي يكون شخصية الفرد وسلوكه فهل هناك ثبات خلقي في هذا المذهب؟ ان صاحب الخلق يكون واقفا على قمة جبل يهتز فلا يلبث أن يسقط الى السفح ٠ ان عدم القدرة على التكهن بسلوك الفرد في ظل هذا المذهب لا يجعلنا نفترض مجرد الخلق لا الثبات الخلقي ٠

(٥) ان نمو الحضارة يأتي من تحويل الطاقة الجنسية التي لم تشبع الى تحليل ابداعي فقصائد شكسبير وموسيقى تشيكوفسكي مجرد تحويل من الطاقة الجنسية الى الشعر والموسيقى [١]

---

(١) كلفن هول/تعريب بحام الكيال/مبادئ علم النفس/ص ٤٠/ط ١ /دمشق

" وفرويد كان متشائما بالنسبة للانسان ويرى أن هذا الانسان وحش كاسر يحاول المجتمع كبح جماحه وماتهدف اليه الحضارة من قمع رغباته يتعارض مع طبيعته ومن ثم يبقى الانسان فى صراع ولا يعيش فى سعادة أبدا .

" فالانسان يكره أخاه بالفطرة ووراء المحبة الظاهرة بين الناس عداء كامن مستور وليست طيبة الانسان الا وهما وخرافة " .

" والانسان يعتدى لا لمجرد دفع الأذى عن نفسه بل لأن العدوان شهوة تطلب لذاتها وان استعصى تصريف العدوان على العالم الخارجى ارتد العدوان المكظوم أو المكبوت على صاحبه فاذا به يلحق الأذى بنفسه اذ قد يؤدى العدوان المتراكم المحبوس الى حالة من الهبوط الشديد أو الى ارتفاع ضغط الدم وقد يفضى أحيانا الى الانتحار . فكأن القانون الذى يسود دنيا النفس " كل " أو فأنت مأكول " ومن شروط الصحة النفسية الا يكون الانسان طيبا مسرفا فى الطيبة . ان كل حب تفرغه على الغير نغتصبه من حبنا لأنفسنا وننتزعه من ذواتنا على كره منا . فالحب الشعورى يؤدى الى كره لا شعورى فنحن نكره من نحبهم من الناس والأصدقاء "(١)

تعليق :

فرويد يرى أن الدين والتقاليد سخفا يجب أن يزولا . ويبرر الجريمة ويمحو المسئولية الفردية والشرائع السماوية والقوانين الوضعية أما تبريره للجريمة فيقول الدكتور محمد محمد حسين " فرويد يبرر الجريمة حين يصور المجرم مريضا . فليس هناك اذن مايدعو للقصاص بل ليس هناك مايدعو الى أن نخجل مجرم من نفسه ولا أن ينبذه المجتمع مادامت المسألة مرضا " (٢)

---

(١) د. احمد عزت راجح / أصول علم النفس/ص ٩٤/ط ١٩٥٧/٢/مطبعة جامعة الاسكندرية

ويقول الاستاذ أنور الجندى " فرويد يمحو المسئولية الفردية التى هى مناط الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة ومن الواضح أنه يمحو فى الوقت نفسه الشرائع السماوية كلها بل والقوانين الوضعية أيضا "

الثبات الخلقى وفلسفة نيتشه (القوة)

نيتشه (١) (١٨٤٤ ــ ١٩٠٠)

يرى نيتشه أن طابع الحياة هو الاغتصاب والافتراس والقيمة هى القوة والخير هو العنف والشر هو الضعف.

لذا يجب فى رأيه استئصال الديموقراطية وتحطيم المسيحية التى تدعو الى الرحمة والعطف والمساواة ويرى أن الانسان الذى يستحق الحياة هو الانسان الأعلى الذى يجب أن تسعى اليه الأمم والشعوب عن طريق تحسين النسل والتربية وعدم السماح بزواج يقوم على الحب وحده.

" ويرى أن الأنانية متأصلة فى الطبيعة البشرية وأن الانسان يحمل بين جنبيه قلبا أشد صلابة من الحجر وأشد قسوة من قلب أى وحش ويستدل على ذلك بأن الانسان يزور مرضاه استعلاء ويشعر بلذة لاتقاوم أمام الكوارث والمصائب التى تلحق بالغير ــ لقد اخترع الانسان جهنم من فرط حقده على أعدائه ومضطهديه "

يقول فردريك نيتشه " املا حياتك بالخطر ، شيد مدائنك على مقربة من بركان فيزوف، ابعث بسفائنك الى البحار المجهولة ، عش فى حرب دائمة ، تذكر فوق ذلك كله أن تنكسر العقائد جميعا ".(٢)

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى/ الأخلاق النظرية/ص ٢٨٢/ط ١٩٧٦/٢/وكالة المطبوعات/ الكويت

لا تقف كثيرا عند نهتشه فواضح أنه يبنى الأخلاق والدين على نظرية التطور وقد ساهم أيضا فى نسيج الفكر الأوروبى الذى لا يعترف بخلق الصدق والرحمة والعطف وأحل بدلها الافتراس والاغتصاب والعنف .

الثبات الخلقى ومذهب المنفعة

دعا الى هذا المذهب جرمى بنتام (١٧٤٨ ــ ١٨٣٢)(١) وجيمس مل (١٧٧٣ ــ ١٨٣٦)(١) دانيه حون ستيوارت مل (١٨٠٦ ــ ١٨٧٣م)(١) يفضح بنتام النفاق السائد فى الأخلاق التى دعا اليه الأخلاقيون فيقول :

" لاتتصورن أن الناس سيكلفون أنفسهم مشقة تحريك خنصرهم فى سبيل خدمتك ان لم تكن لديهم مصلحة فى ذلك فهذا أمر لم يحدث أبدا ولن يحدث أبدا طالما بقيت الطبيعة الانسانية كما هى لكن الناس سيرغبون فى خدمتك ان وجدوا فى ذلك مصلحة لهم والفرص كثيرة التى فيها ينفعونك وينفعون أنفسهم فى نفس الوقت وفى هذه الخدمات تقوم الفضيلة "(١)

يرى هذا المذهب أن الميل الطبيعى فى الانسان هو إلى اللذة ونستبعد هذا المذهب من المساهمة فى تأصيل الثبات الخلقى . ونسجله ضمن الهواء الفكرى الذى يتنفسه الأوروبيون .

الثبات الخلقى والفلسفة الوجودية

كير كجورد : فيلسوف دنمركى عاش مابين (١٨١٣ ــ ١٨٥٥م) مؤسس الوجودية . وفلسفته تتلخص فى تأكيد فكرة الحرية للفرد . ورفض فكرة الحتمية الاجتماعية ويقول كير جورد

" اختر ذاتك قبل أن يختارها لك الآخرون"

والوجود الحقيقي عند " كير لجورد " الوجود الفردي أما وجود النوع والجماعة فليس له أدنى اعتبار (١) والانسان في رأيه يخلق قيمة كل لحظة وفقا لاختياره الحر

تطرف في الفردية

ومن فلاسفتهم جان بول سارتر: يقرر حرية الانسان في وضع القيم ولكن القيم التي يقرر حرية الانسان المطلقة في وضعها مشكلة لأنه لا يجد أسسا يهتدي بها في وضع هذه القيم أو بمعنى آخر يريد سارتر أن يقول ان القيم ذاتية واعتباطيه • واذا كان الناس يلتمسون أسس القيم في الدين أو المجتمع فان سارتر لا يسايرهم في ذلك فهو يرى أن العلاقات الانسانية صراع أناني خالص حتى الحب الذي يفترض فيه الناس التضحية لا يعدو أن يكون شراكا ينصبه كل فرد للآخر ليظفر به انه أنانية خالصة •

والقيم التي يضعها الانسان لا قيمة لها ومجمل أراء الوجودية من نصوص سارتر:

(١) اللــه افتراض غير نافــع وهــو يكلفنا كثيرا فنحن نلغيــه •

(٢) هــذا العالم وجــد بغير داع ويمضى لغير غــاية •

(٣) الأخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون •

(٤) ان الحياة خواء فارغ فلا يستحق الاهتمام فيه الا الجسد والجنس •

والانسان غير مسئول لا أمام الله ولا أمام الضمير ولا أمام المجتمع" (٢)

وهذا زي آخر من أزياء الفكر الأوروبي لا يستر عورة ولا يستتر خجلا — حرية مطلقة جامحة لا تتقيد بدين أو مجتمع وتمرد على كل شيء وهذا لون من ألوان الفكر الذي تعتنقه أوروبا — " وجودية تؤمن بوجود الفرد لينسى واجبه ولا يذكر غير هواه"

---

(١) أبوبكر ذكرى/تاريخ النظريات الاخلاقية /ص ١٦١/طبعة ٤ /١٩٦٥/دار الفكر العربي

ان الغذاء الفكرى الأوروبى يحصل فى ثناياه التنبؤ بالسلوك الذى يغذيه هذا الفكر. والذى يهمنا أن هذا الفكر الوجودى السارترى بعيد عن الخلق الذى نعنيه وبعيد عن الثبات الخلقى.

الثبات الخلقى والشيوعية

فى القرن التاسع عشر طلع " كارل ماركس" (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) بآرائه التى تعتبر تقريبا حجر الزاوية فى المبادىء الشيوعية الحديثة وقد بسطها فى كتابه " رأس المال " "الذى صدر جزؤه الأول سنة ١٩٦٧م ومن قبل جلاها بالاشتراك مع زميله " انجلز" فى المنشور الشيوعى الصادر سنة ١٨٤٨م وخلف " ماركيس" "لينين" الذى جمع حوله شباب الروس وثاروا سنة ١٩١٧م على الحكم القيصرى واستولى البلاشفة على الحكم بزعامة " لينين" واحلوا النظام الشيوعى فى روسيا ومات لينين وخلفه ستالين وبرزت دكتاتورية العمال رسميا (١) سنة ١٩٣٦م.

المذهب

يقوم المذهب الشيوعى الحديث على التعامل الاقتصادى فالطبقة التى تملك زمام الثروة فيه وتسيطر على وسائل الانتاج تملك الصياغة. صياغة " الأوضاع الأيدولوجية" وتملك السلطة التشريعية والتنفيذية لحراسة هذه " الأوضاع " الدستور الأخلاقى مرتبط بمصلحة هذه الطبقة.

(٢) كل نظام اجتماعى يحمل فى طياته أسباب فنائه اذا وصل النظام الى اقصاه استحال الى وضع آخر كالماء نضعه على النار فعند درجة مائة يستحيل الى بخار

والذى يصل بالنظام الى أقصاه عنف الصراع بين الطبقة المستغِلة والطبقة المستَغَلة فالناس فى فجر التاريخ كانوا مجبرين على العمل معا (١) بصورة مشتركة فالملكية كانت مشتركة ولا توجد ملكية خاصة فلا استغلال ولا طبقات ثم شب الانسان عن الطوق وانتشرت الجماعات فى الأرض وتصادم الانسان مع أخيه الانسان ودقت الحرب طبولها وخرج المنتصر بأكوام من الغنائم وآلاف من الأسرى وأحتار المنتصر ماذا يفعل بهؤلاء الأسرى وانتهى به الأمر الى قتلهم وحدث أن اكتشفت الزراعة فاتخذ المنتصر من الأسرى فى هذه المرة رقيقا يفلحون الأرض بدلا من قتلهم وجاء عصر الرق وظهرت فى المدن اليونانية العبد المسترق وفى الدولة الرومانية أصبح العمل عيبا يترفع عنه الرجل الشريف وقام العمل على كواهل الأرقاء واستغل السادة عمل العبيد .

وبعد سقوط روما سنة ٤٧٦م استقل كل فارس من القواد بقطعة واسعة من الأرض وامتلكها بمن عليها وما عليها وبنى فى جزء منها قلعة وبدأ عهد الاقطاع. واستغل الفرسان عمل الفلاحين والصناع. الى هنا كان فى الأرض طبقتان طبقة من الأشراف والاقطاعيين وطبقة من الأذلاء من العمال والفلاحين . ثم ظهر التقدم العلمى والصناعى والآلى فى عصر النهضة بفضل مخترعى الآله البخارية والقوة الكهربية وبفضل مهندس المراكب البخارية .

وانفتح الباب لفئة ثالثة فى الشعب استخدمت هذا التقدم واستغلته فى التجارة والصناعة وجنت من ورائه الأرباح الطائلة ومالبث الاقطاعيون أن وجدوا أنفسهم فى حاجة الى جماعة التجار الأغنياء لأن هؤلاء التجار الأغنياء سحبوا الفلاحين من تحت

---

(١) تلخيص بتصرف من المنشور الشيوعى .

أقدام الاقطاعيين فأصبحت فروسية هؤلاء وعنجهيتهم لا تفيد ـ فاقترض الاقطاعيون المال من التجار الأغنياء .

هرب الفلاح من الاقطاع وعمل فى المصنع وثار الباقون الذين لم يهربوا وحدثت الثورة الفرنسية ودخل الرأسماليون المجالس النيابية وسنوا الشرائع وحل النفوذ المالى محل النفوذ الاقطاعى ونشأت البورجوازية .

وتنحصر الأموال شيئا فشيئا بين أيدى القلة من الرأسماليين أصحاب المصانع والشركات ويزداد الرأسماليون شراهة ويزداد الأجراء العمال فقرا وتنتشر البطالة ويثور الأجراء العمال على سادتهم أرباب الأموال ويقبضون بدورهم على وسائل الانتاج وتولد الاشتراكية فالاقطاعية خلقت البورجوازية مرغمة عندما وجدت أنها بحاجة الى أموال التجار . والبورجوازية خلقت الاشتراكية مرغمة عندما رأت لا مندوحة لها عن محالفة العمال ليعملوا فى مصانعها وليضخموا أرباحها ويفسر " كارل ماركس" التاريخ تفسيرا ماديا لا دخل فيه للفضائل أو القيم الثابتة . فالطور الاقطاعى ينشىء قيمه الخاصة ومن بينها التدين والمحافظة الشديدة على كيان الأسرة وسيطرة الأب والزوج وتشددهما فى وضع القيود الخلقية على المرأة .(١)

ثم ينتقل المجتمع من الاقطاع الى الرأسمالية فتذوب القيم السابقة وتنشأ قيم جديدة متمشية مع الطور الاقتصادى الجديد يذهب من الناس تدينهم ويذهب عنهم الحفاظ على تقاليد الاسرة ويصبح تفكك الأسرة وانحلال روابطها قيمة جديدة تقدمية (١) وتذهب أخلاق الفروسية ويحل محلها شعور أنانى يبحث عن صالح نفسه فى عزلة عن الآخرين وتتحرر المرأة اقتصاديا وتجد أن العفة الجنسية قيدا سخيفا لا مبرر له وتصبح القيمة الجديدة الخلقية

---

(١) تلخيص بتصرف من المنشور الشيوعى .

المنعكسة عن الوضع الاقتصادى هى الاباحية الجنسية فمادامت المرأة مستقلة عن الرجل لا تعتمد عليه فى الرزق فلماذا تتعفف من أجله ؟ (١)

الدين : " لا محل لوجود خالق فى هذا الزمان الذى ظهرت فيه نظرية التطور (٢) ويرى كارل ماركس أن الاعتماد على قوة غيبية يحد من قدرة الانسان .

الاقتصاد :

(١) الغاء الأفراد فى التملك فلا مالك الا الدولة .

(٢) التجارة الداخلية والخارجية ملك للدولة

(٣) ترفض الشيوعية مبدأ التوريث ونظامه وحجتها أن الميراث ينقل الثروات لمن لم يكد حولها ويتساءلون لم يدخل الحياة ولهذا ان لأحدهما على الآخر امتياز .

(٤) العمل وحده هو كل شىء فى الانتاج والأجر من كل حسب قدرته ولكل حب حاجته ثم غيروا ذلك الى " من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله " (٣)

(٥) من لا يشتغل لا يأكل .

الناحية الاجتماعية :

(١) نادى ماركس بأن المرأة تعمل كالرجل والا ماتت جوعا وابنها يقذف بعيدا عنها فى أحضان المربيات لأن ابنها ليس ملكا لها .

ونادى ماركس بأن نظام الزواج الذى لا يحل فيه للمرأة أن تتصل بغير زوجها هو عمل يقيد الرجل والمرأة معا وعند ماركس الاتصال الجنسى بين الرجل والمرأة يجب تيسيره دائما دون التقيد بأى قيد ويرى أن هذا النظام أحسن من النظام المغلف بالرياء والكذب المعمول به فى كل بلاد لا تدين بالشيوعية (٣)

---

(١) المنشور الشيوعى سنة ١٨٤٨ — الشيوعية فى الميزان من كتاب الشيوعية فى موازين

نظام الحكم

(١) دكتاتورى أساسه القوة والعنف [١]

(٢) كل وسائل الاعلام تمتلكها الدولة [١]

(٣) لاحرية للعامل فى اختيار نوع عمله ومكانه بل الحكومة تملك ارغامه على أى عمل والا حرمته الطعام تنفيذا لمبدأ " من لايعمل لايأكل " • [١]

(٤) حرية التنقل تخضع لقيود شديدة • [١]

(٥) كل القداسات زائفة والولاء المسموح به هو الولاء للدولة وجاء فى البرافدا الصحيفة الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الروسى عدد ٢٦ نيسان سنة ١٩٤٩م — نحن نؤمن بثلاثة أشياء " كارل ماركس " " ولينين " " وستالين " ولا نؤمن بثلاثة أشياء " الله والدين والملكية الخاصة " [١]

نقاش

(١) اذا كان الدافع الاقتصادى هو الذى يفسر كل التغيرات الحيوية فى واقع الناس فأديسون مثلا غير القوى المادية هل هذا التغيير قام على الدافع الاقتصادى أم قام على الدافع الابداعى الذاتى •

(٢) اذا كان الدافع الاقتصادى هو الذى يفسر الدين " فما بال الأديان الثلاثة موجودة حاليا ويجرى على المتدينين نفس الظروف الاقتصادية "

(٣) أى تغير فى وسائل الانتاج قد حدث فى فلسطين وأدى الى ظهور السيد المسيح " الذى قوض الامبراطورية الرومانية " •

(٤) أى تغير فى وسائل الانتاج حدث فى مكة فأدى الى ظهور سيدنا محمد عليه الصلاة

(٥) روسيا لم تكن المهد الطبيعى للشيوعية كما تنبأ كارل ماركس.

(٦) أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية هذه شيوعية وتلك رأسمالية فما الدافع الاقتصادى الذى سبب التغيير وماعلاقة الانتاج فى هذا التغيير.

التغيير جاء ضوة بالتدخل السياسى لروسيا أثناء وبعد الحرب العالمية — الثانية وسيقت الشيوعية تحت بطش السلاح.

(٧) " بسقوط هيبة الأديان يقف الانسان وحيدا بلا سند — بلا ايمان كل مايملكه حياة فانية بعدها التراب ولا شئ فيشعر الفرد باليأس ولا يبقى له الا الظلام الدامس الذى تتلاشى فيه معانى الخير والشر. ويقول عالم الطبيعة جورج ايرل " لوكان يمكن للكون أن يخلق نفسه فان معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق وفى هذه الحالة سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الاله وهكذا ننتهى الى التسليم بوجود الاله ولكن الهنا هذا سوف يكون عجيبا غيبيا وماديا فى آن واحد.

انني أفضل أن أؤمن بذلك الاله الذى خلق العالم المادى وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكم ومديره بدلا من أن تبنى مثل هذه الخزعبلات (١)

لقد سلم دارون بأن لهذا الكون خالقا ولكنه لم يربط بين الخالق والمخلوق ان العقل يستنكر الها لا علاقة له بأمور الكون ولا يعرف مخلوقيه بصفاته ولا بالأسباب التى دفعته الى هذا الخلق" (١)

(٨) اذا كان فى مذهبهم أن كل نظام اجتماعى يحمل أسباب فنائه فهل سيقف مجتمعهم فلا يتغير.

---

(١) وحيد الدين خان /الاسلام يتحدى/ص ٧٨/طبعة ١٩٧٣/٢/دار البحوث العلمية الهند

(٩) الربح الصافى الذى يتبقى لصاحب المصنع أو صاحب المزرعة يجب أن يقسم بين العمال وبين صاحب رأس المال .

ان ماركس بهذا الرأى يذق طبول الحقد بين العمال وأصحاب العمل ليحرض على الثورة .

لولا رأس المال ماكان هناك مصنع ولولا الآلة ماكان هناك عمل وحضارة يمكن أن ترفع من مستوى الاجور وهذا مافعلته الدول الرأسمالية .

وماذا تفعل الحكومات الشيوعية الآن ؟

حلت محل أصحاب الاموال وبقى العامل أجيرا كما كان والحزب الشيوعى يتمتع بأكثر مما كان يتمتع به أعتى القياصرة .

فقانون فائض القيمة تحول من الرأسماليين الى الحزب الشيوعى .

(١٠) كل تنبوءات ماركس لم تصدق .

(١) تنبأ بتمركز روءوس الاموال فى احتكارات هائلة ولكن روءوس الاموال تفتت بالضرائب التصاعدية وبالشركات والمساهمة وبالميراث .

(٢) تنبأ باتساع الخلاف بين البرجوازية والبروليتاريا فى الدول الرأسمالية فلم يحدث بل تحدث تقارب .

تنبأ أن تقوم الشيوعية فى انجلترا كبلد صناعى ولكن انجلترا رفعت مستوى الاجور وقامت الشيوعية فى بلد زراعى فى الصين .

(١١) ترفض الشيوعية مبدأ التوريث ويرد عليها كاتبنا الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه الشيوعية والانسانية قائلا " الأب يورث ابنه الحميد والذميم من أخلاقه يورثه

الجميل والقبيح من ملامحه وقسمات وجهه وليس من حق المجتمع أن يحرم الولد كل ميراثه من مال أبيه اذا كان المجتمع عاجزا عن حماية هذا الولد من وراثة الضعف والقبح وسوء الاستعداد . بل ليس من مصلحة المجتمع أن يسوى بين الرجل الذى يعمل لساعته والرجل الذى يتواكل ويتوانى ولا يعمل لغدة ولا ساعته لأنه قانع بالعيش فى معونة المجتمع وفضل احسانه "

(١٢) ثبت عدم صدق وصحة ماذهب اليه ماركس من ان المجتمع تحول من اقطاعى الى راسمالى تحت ضغط الصراع بين الاجراء والاقطاعيين وانما لان الاقطاعيين رأوا ان الصناعة تدر ربحا أكثر من الزراعة للأرض فباعوها للأجراء وأقاموا المصانع سعيا وراء الربح الأكثر .(١)

(١٣) يقول الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه (الاسرة والمجتمع) " نظام الشيوعية المطلقة لم تعثر عليه فى اى مجتمع من المجتمعات الانسانية "

وخلاصة الرأى فى هذا المذهب ان الاخلاق لاثبات فيها بل لا اخلاق فى الانسان الا من وسائل الانتاج . وأباحو كل ماحرمه الناس .

فالزواج والزنا متساويان .

والدين أفيون الشعوب .

ولا شىء يتمسكون به الا الحقد الآسود الذى يدفعهم لتقويض أى مجتمع حر ليحولوه الى عبيد ترسف فى الأغلال والقيود .

---

(١) الدكتور صابر طعيمة / الاسلام وعالمنا المعاصر/ص ٦٢/طبعة ١٩٨١/١/مكتبة المعارف/الرياض

(١٤)(في اليابان نظام يجعل العامل شريكا فعليا في المصنع بعد تقاعده عن طريق توظيف بعض مدخرات الشركة له في شراء حصة من الأسهم له تدر عليه من الربح مقدار ما كان يتقاضاه وهو في العمل . فالعامل حارس على آلات المصنع أمين على مال الشركة حدب على نشاط الانتاج)

(وفي الاتحاد السوفيتي وقد مضى على الشيوعية خمسون عاما مازال العامل مسخرا مغبونا في أجره وفي توفير الخدمات الاجتماعية له ولابد لزوجته أن تعمل وأن تترك ولدها للدولة)(١)

(١٥) في الاتحاد السوفيتي يرفعون شعار (من كل بالنسبة لقدرته الى كل بالنسبة لحاجته) أى أن كل فرد ينتج حسب طاقته ويستهلك حسب حاجته . ولكن الفرد في الشيوعية لايؤمن الابالمنفعة المادية فلا يمكن أن يبذل كل طاقته في الانتاج ولايحظى الا بما يسد حاجته وتكون النتيجة أن يعمل العامل على قدر ما يأخذ من أجر ولذلك اضطرت روسيا لأنشاء ما أسمته بالحافز الفردى في الانتاج وأصبح شعار الشيوعية السابق من غير مدلول (١)

(١٦) أما المثال الذى يوردونه في أن المرأة تحسن حالها عندما خرج الأنسان من مرحلة الصيد الى مرحلة الزراعة فليست المسألة لما تقدمه المرأة من عون اقتصادى في حالة الزراعة وانما لأن الأنبياء رفعوا من قيمة المرأة وأن لها روح كروح الرجل

أما استهتارها في العهد الرأسمالي فليس ذلك لاستغنائها عن الرجل اقتصاديا ولكن لأن النزعات الفلسفية المنحرفة قد شاعت فأفسدت الرجل والمرأة على السواء .

(١٧) أما قول ماركس بأن كل نظام اجيماعي يحمل في طياته أسباب فنائه فيقول هذا القول على أساس النظرية الجدلية والجدلية بدأت بالمعنى الصحيح بنظرية (هيجل) فهي أول منهج فلسفي لدراسة الظواهر الطبيعية ولقد تسلح كل من كارل ماركس وفردريك انجلز بهذه النظرية ولكنهما أقاماها على أساس مادى .

ولب النظرية الجدلية هو الاعتقاد بأن التناقض هو نسيج الأشياء فكل شئ يحتوى في داخله على جانب ايجابي وجانب سلبي وفي كل شئ جانب ينمو وآخر يموت (٢)

فمجتمع الملكية المطلقة كان معه نقيضه وهذا النقيض مجتمع أوجماعة لاتملك شيئا ويحدث الصراع وتنتهي الملكية المطلقة ويعيش الذين كانوا لايملكون شيئا

---

(١) د. محمد البهي/ تهافت الفكر المادى /ص ٤٨/ الطبعة ١٩٧٥/٣م/مكتبة وهبة / القاهرة .

(٢) موسوعة السياسة ـ د. عبد الوهاب الكيالي ـ حرف ج

ومجتمع الأقطاع كان أى وجد ومعه نقيضه هذا النقيض جماعة المستأجرين الذين يستأجرون ولايملكون فمبدأ النقيض معناه أن كل شئ فى الوجود ينطوى على ذاته ونقيضه معا (٣)

ويحدث الصراع وينتهى الأقطاعيون وينمو الذين كانوا مستأجرين ويتحولون الى رأسماليين (٣)

ومجتمع الرأسمالية يعيش ومعه نقيضه وهو عمال المصانع وينتهى الرأسماليون ويتحول العمال الى مجتمع اشتراكى الثروة فيه جماعية (٣)

والقانون الثانى لهذه النظرية هو مبدأ نفى النفى فهناك الموضوع وهناك نقيضه وهناك نقيض النقيض فالنظام الرأسمالى هو نفى للنظام الأقطاعى والنظام الاشتراكى هو نفى للنظام الرأسمالى أى نفى النفى.

هذه هى الحتمية التاريخية لماركس .

وقد رد على ذلك العالم الفيزيائى (هايزنبرغ)بقوله ((لاتوجد حتمية تاريخية وانما توجد حتمية الاحتمال والنسبية)) . قال (ان الأجزاء المتناهية فى الصغر فى عالم المادة لايمكن التنبؤ بتصرفاتها مقدما ولكنها حين تتصرف حسب القوانين العلمية المعروفة والقوانين الميكانيكية التى نعرفها ليست الا معدلات وسطية لتصرفات تبدو عشوائية وغير مقدرة بالتحديد وهذا يعنى أن كل حتمية حتى فى علم الفيزياء هى مجرد حتمية محتملة واحصائية فكيف اذا طبقت هذه النظرية على ظواهر تاريخية لايمكن قياسها رياضيا)(٣)

وفى علم الأحياء يقول العالم الفرنسى جاك مونو فى كتابه (الصدفة والضرورة) (نحن يمكن أن نعرف القوانين التى تتحكم بحدث حصل ولكن لايمكن أن نعرف أن حدثا محددا سيحصل ـ كل معرفتنا لايمكن أن تتجاوز حدود الاحتمال .

فاذا كان الاحتمال واردا فى عالم الطبيعة فأحرى به أن يكون كذلك فى عالم الأنسان والتاريخ .

ان تلاميذ ماركس الذين اعتبروا التاريخ مجرد تطبيق لنظريته المادية قد وقعوا أسرى فكر أسطورى حتمى)(٣)

(١٨) الأسلام يرى أن ذات الأنسان هى التى تقرر التغيير

(ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فالانسان بفاعليته وعلمه وارادته وعقيدته قادر على ان يغير بعون الله كل شئ حتى الاحوال الاقتصادية نفسها .

---

(١) د. عبد الوهاب الكيالى ـ موسوعة السياسة / حرف د / المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

الرأسماليــة والثبات الخلقــى

ظهر هذا المذهب فى انجلترا ومن أهم القائلين به (آدم سميث) بريطانى (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠م) صاحب كتاب (ثروة الأمم) صدر ١٧٧٦م ومالتوس (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤م) من علماء الاقتصاد الانجليز له كتاب (محاولة النظر فى التناسل) " تكلم فيه عن تكاثر البشر ـ قال بتحديد عدد المواليد لئلا يعجز العالم عن القيام بمعيشتهم "(١)

ويرى أصحاب هذا المذهب عدم تدخل الحكومة فى الحياة الاقتصادية بأن تفرض أى قيود على نشاط الفرد الاقتصادى أو بأن تقوم بعمليات اقتصادية تحد من نشاط الفرد الاقتصادى وتحول بذلك دون نموه فالحكومة فى رأيهم لا تتدخل فى شئون الفرد الاقتصادية حتى ولو كان تدخلها لصالحه ويقصرون مهمتها على حماية الفرد من الغش والعنف. للفرد أن يملك مايستطيع من المواد الخام ووسائل الانتاج . وله أن يشتغل كيفما شاء مادام يهدف الى تحقيق أكبر قدر من الربح . وله أن يستهلك السلعة التى يريدها ويرون أن النشاط الاقتصادى يرتبط بالمغامرة الفردية ويخضعه قانون العرض والطلب وأسعار السوق يتحدد بمعزل عن تدخل الحكومة .

كيف يدافعون عن هذا النظام؟

(١) الفرد عندما يعمل بدون قيود ليحقق مصلحته فان مصلحة المجتمع تتحقق بالتالى

(٢) كل مايمتلكه الفرد من أموال جاء نتيجة كفايته الشخصية وجهده وقدراته الخاصة فليس لأحد أن يشاركه ماله .

(٣) حسب الحكومة أن تحقق المساواة والفرص المتكافئة والحرية السياسية وترفع يدها

(٤) من حق الفرد أن يكون حرا وتحقيقه لحريته تحقيق لانسانيته ٠

(٥) مادامت الموارد الطبيعية تعجز عن تلبية الاشباع لحاجات الأفراد فيكون من الطبيعى أن ينشأ التزاحم على الموارد الاقتصادية وتنشأ المشكلة الاقتصادية وتهيئة الحرية تفجر الطاقات والقدرات ويظفر صاحب المشروع الذى يستخدم العلم فى انتاج أجود سلعة بأرخص سعر فى جو من المنافسة الحرة ٠ وتكون النتيجة ازاحة الضعفاء والجهلة والمهملين من سوق الانتاج واثراء الأبحاث العلمية والتكنولوجية وحل المشكلة الاقتصادية بما يحقق مصلحة المجتمع ٠

(٦) وينتهون بعد هذا الدفاع الى نتيجة يلمحون بها ويؤمنون بها ٠ مادامت الانشطة الاقتصادية تتبع عامل المغامرة ومادام تحديد السعر يخضع لقوانين العرض والطلب ومادامت الحرية الاقتصادية مكفولة والاعتماد على الجهد والكفاية الشخصية هو العامل الوحيد فى المنافسة ٠

فوجود الدين غير وظيفى ولا دخل له فى الاقتصاد ويجب أن يفصل عن واقع الحياة ٠

مناقشة

عجيبة هذه الحرية التى يتمسحون بها ٠ كيف تكون هناك حرية فى الشراء اذا كان الفرد عاطلا لا يملك قوت يومه ٠ أو اذا كانت السلعة مختفية من السوق بفعل الاحتكاريين ٠ ماقيمة الحرية التى تسمح للفرد بالشراء كما يشاء وفى الوقت نفسه لا يجد المال الذى يشترى به " الحرية الشكلية فى الشراء لاتعنى القدرة على الشراء " ٠

تكد للحصول على لقمة العيش والكاد تجدها . كيف يصلون الى أعلى المناصب بل كيف يصل أبناء هؤلاء الى العلم والتدريب الكافى للحصول على أعلى المناصب.

الحرية السياسية التى يزعمونها خدعة زائفة والتمثيل الحر لرأى الأمة دعوى باطلة فالصحافة المأجورة والرشوة الخفية والدعاية الخادعة تزيف هذا الرأى الحر وتطمس تلك الحرية السياسية وتضلل الرأى العام.

تعالوا لنرى تصرف الأحرار الرأسماليين:

(١) ان زعماء فرنسا عندما انهارت تحت أقدام الألمان فى الحرب العالمية الثانية هرعوا لتأييد الدكتاتورية والنازية الألمانية.

(٢) أن أحرار فرنسا خرجوا من الثورة الفرنسية التى تدعو الى الحرية والاخاء والمساواة واستعبدوا الجزائر سنة ١٨٣٠م ـ يقول الشيخ محمد باقر الصدر (١) "ماذا كان تصرف الأحرار فى الدول الرأسمالية؟

(٣) تسابقوا على استعباد البشر الآمنين وتسخيرهم فى خدمة الانتاج الرأسمالى وتاريخ أفريقية وحدها صفحة من صفحات ذلك السباق المحموم تعرضت فيه القارة الافريقية لطوفان من الشقاء اذ قامت دول عديدة كبريطانيا وفرنسا وهولنده وغيرها باستيراد كميات هائلة من سكان افريقية الآمنين وبيعهم فى سوق الرقيق وكان تجار تلك البلاد يحرقون القرى الآمنة الافريقية ليضطر سكانها الى الفرار مذعورين فيقوم التجار بكبسهم وسوقهم الى السفن التجارية التى تنقلهم الى بلاد الأسياد وبقيت تلك الفظائع ترتكب الى القرن التاسع عشر حيث قامت بريطانيا خلاله بحملة واسعة النطاق ضد هذه الفظائع واستطاعت ابرام معاهدات دولية تستنكر الاتجار بالرقيق ولكن هذه

---

(١) محمد باقر الصدر / اقتصادنا / ص٦٠ / ج ١ الطبعة السادسة ١٩٧٤ / دار الفكر بيروت

المحاولة نفسها كانت تحمل الطابع الرأسمالي ولم تصدر عن ايمان روحي بالقيم الخلقية بدليل أن بريطانيا التي أقامت الدنيا في سبيل ضد حد لأعمال القرصنة استبدلتها بأسلوب آخر من الاستعباد المبطن اذ أرسلت أسطولها الضخم الى سواحل افريقية لمراقبة التجارة المحرمة للقضاء عليها ولكنها مهدت بذلك الى احتلال مساحات كبيرة على الشواطيء الغربية وبدأت عملية الاستعباد تجرى في القارة نفسها تحت شعار الاستعمار بدلا عن أسواق أوربا التجارية "(١) وماذا فعلت الحرية التي يدعون أنها تحقق انسانية الانسان؟ .

(٤) جعلت كبار الرأسماليين يقيمون الحكومات ويسقطونها ويدفعون الدول الى الحرب عن طريق اقراض هذه الدول تكاليف هذه الحرب .

ماذا يريدون بذلك؟

يريدون الاستيلاء على الأسواق الخارجية والحصول على المواد الخام بأرخص الأسعار ويستردون ما أقرضوا أضعافا مضاعفة عن طريق تجارة الأسلحة وفوائد القروض .

(٥) حاول الرأسماليون المحافظة على مستوى الأسعار بحرق المحاصيل أو القائها في البحر .

(٦) سعى الرأسماليون للربح ولو عن طريق انتاج المواد المخدرة والخمور وفتح أماكن الفجور وتوزيع الأدب الجنسي الصارخ الفاجر وطبع الصور العارية الداعرة .

" ان مجلس التعليم الصحي الأعلى في بريطانيا دعا الى التحذير بأنه اذا لم تغير بريطانيا من عاداتها الحالية في الاقبال على شرب الخمور بافراط فانها ستصبح بعد خمس سنوات أمة من السكارى "(١)

(١) الاخبار المصرية ٢٧/٢/١٩٧٦ .

(٧) الرأسماليون يضرون بمالية الجمهور عن طريق ترويج أى سلعة بواسطة الدعاية الضخمة التي يخططها دهاقنة علم النفس.

(٨) استغل الرأسماليون الثروة فى الترف والخمور والنساء والقصور الشامخة مادام القانون يحمى الاستهلاك وسيطروا على مجموعات من الناس فى حاجة للقوت فأفسدوهم اذ جعلوهم خدما لهم فى ميدان الملذات والشهوات.

(٩) الرأسماليون يعتبرون العمال سلعة تباع وتشترى فاذا زادوا عن حاجة السوق القوا بهم فى عرض الطريق للجوع والمرض والفساد فيصبون الحقد والمرارة والكراهية فى قلوب العمال ويدفعونهم دفعا الى الجريمة والدليل قائم فى المجتمع الأمريكى الذى تنتشر فيه عصابات اللصوص التى تسطو على المصارف وتدبر الجريمة على أساس من التخطيط المحكم والاستفادة من نتائج العلم والتكنولوجيا.

" أعلن جون ميتشل المدعى العام الأمريكى أن حكومته وضعت خطة لمحاربة الاحتكار الذى يهدد بالسيطرة على الولايات المتحدة بأسرها وهو احتكار الجريمة المنظمة وقال ميتشل الذى كان يتحدث فى اجتماع لنقابة المحامين الأمريكيين ان احتكار الجريمة المنظمة فى أمريكا أصبح يشكل عملا كبيرا من أعمال المال وأنه هو المسئول عن أندية القمار وعمليات التهريب والمخدرات وقروض الربا الفاحش وشبكات الدعارة المنتشرة فى جميع الولايات المتحدة الأمريكية." (١)

(١٠) العامل ليس حرا الا فى الظاهر انه يملك قوة عمله ويعرضها كسلعة والاتفاق الاحتكارى بين الرأسماليين يجعل الحصول على العمل بأجر مناسب غير متوفر.

---

(١) جريدة الجمهورية فى عددها ٢٩ مارس سنة ١٩٦٩م.

ونقابات العمال تتواطأ مع الرأسماليين ٠

(١١) البنوك فى ظل الرأسمالية تصدر قروضا ربوية بأضعاف مالديها فتخلق قوة شرائية وهمية أو نقود مصطنعة فاذا كان عند الفرد عقارا قيمته مائة ألف جنيه ويقدمه رهنا للبنك فان البنك يعطى هذا الراهن اعتمادا بسبعين ألف جنيه مثلا مع ان الشخص لم يودع مالا فكأننا أعطينا البنوك الحق فى اصدار العملة الى جانب الدولة لأن أوراق البنوك المالية تستعمل كما تستعمل النقود تماما ٠ والبسط والكف من البنوك فى هذه الأعمال يؤدى الى حدوث الأزمات الاقتصادية ٠ (١)

(١٢) أما دعوى ازدهار العلم والتكنولوجيا من جراء الحرية فى انتاج السلع الجيدة ذات السعر المنخفض فدعوى باطلة لأن الذى حدث أن المنتجين يتفقون على سعر موحد للسلعة ذات المواصفات المتفق عليها بدون النظر الى العلم والتكنولوجيا اللذان يتنافسون فى استخدامهما ٠

لنهم ينحون العلم جانبا ويتفقون على سعر موحد للسلعة وبذلك يقررون مبدأ الاحتكار ٠ واذا حاول منتج صغير أن ينتج سلعة أحسن وأرخص وقد يستعمل العلم فعلا تكتلوا ضده وخفضوا من أسعارهم تخفيضا يقتل المنتج الصغير المخلص حتى اذا استطاعوا نفيه من السوق رفعوا أسعارهم بما يعوضهم خسارتهم فى الفترة التى كانوا فيها يذبحون المنتج الجديد ٠

(١٣) أما مايدعيه أصحاب هذا المذهب من أن المشكلة الاقتصادية تنشأ من أن الموارد الطبيعية تعجز عن تلبية جميع حاجات البشر فينشأ التزاحم على الموارد الاقتصادية فهذا خطأ ٠ فالموارد الطبيعية موفورة والذى يخلق ندرة بعض المواد هو

عجـز الانسا ن عن التنظيم والافادة فالسمك موفور ولكن الانسا ن بدلا من انتـــاج قـوارب الصيد يتوفـر على انتـاج الغواصات

والأرض غلتها تكفـى البشر ولكن الانسا ن يترك ملايين الافـد نة بـورا كما يحدث فى البلاد العربية فملايين الأفـد نة فى السودا ن والعراق تترك بـــورا .

الانسا ن يتوفـر على انتاج الأسلحة وأدوات الزينـةومشروعات غزو الفضاء ويتلف المحاصيل ليحافظ على مستوى الأسعار وبعد ذ لك يصرخ ويعلن أن هناك مشكلـة اقتصادية تسمى النـدرة . قال الله تعالى " قل ائنكم لتكفرون بالذ ى خلـق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذ لك رب العـــالمين وجعل فيها رواسـ ـــن فوقها وبارك فيها وقـدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين"(١)

وقال سبحانه " وأتاكم من كل مسألتموه وان تعد وانعمة الله لاتحصوها ان الانسا ن لظلوم كفـار"( ) فظلم الانسا ن لنفسه وكفرانه بربه هو الذ ى انشأ المشكلة الاقتصاديـة لقد حاولوا اصلاح الذهب الرأسمالى بالتأمين ضد البطالة والعجز والشيخو خـة والحـوادث ـ وحددوا ساعات العمل ـ ووضعوا سياسة للأجـور وأمموا الســكك الحديدية والخدمات الطبيـة والكهرباء ـ ووضعوا الضرائب التصاعدية على الدخول والتركات ولكن الرأسمالية مذهب أرضى يعتبر الانسا ن كآلـة وتظهر بشكل بشع فـى مجتمع هذا الذهب مخالب الصراع من أجـل البقاء وأنياب الأنانيـة من أجـل الغلبة وخناجر الجشع من أجل الافتراس فالقوانين وحدها لاتحمى الحريات ولا تقيم مجتمعا انسانيا مالم يسند القوانين وازع ديـنى .

---

(١) فصلت ٩ ـ ١٠ ( ) ابراهيم ٣٤ ـ ٣٥ .

الثبات الخلقى فى هذا المذهب غير وارد فبالاضافة الى تنحية الدين عن هذا المذهب

فالانسانية فيه كرة تتقاذفها قوانين العرض والطلب والمجتمع فيه يقوم على انسان متخم يمتص دم أخيه الانسان حاقد يتربص بأخيه فتتولد الجرائم بعضها من بعض . واذا ارتفع علم المافيا فلاخلق ولا ثبات خلقى . دعاوى هذا المذهب باطلة ظاهرها فيها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب .

لقد تكلمنا عن الاعلام الاسلامى من خلال مصادره ـ القرآن الكريم والسنة وما صدر عن المسلمين المتأثرين بالقرآن والسنة ووضحنا الثبات الخلقى فى الأخلاق الفردية .

مسألة المال

العلاقات الدبلوماسية

المرأة

من خلال وسائل الاعلام الاسلامى :

وعندما أراد الباحث تناول موضوع الثبات الخلقى فى الاعلام الغربى بحث عن مصادره فوجد كتابات الفلاسفة والمفكرين الغربيين فى العصر الحديث وعرض وجهة نظر هؤلاء المفكرين فى الخلق والايمان وواضح من المسح الفكرى لهؤلاء الفلاسفة والكتاب أن الانسان المعاصر الأوروبى أو الأمريكى لا يؤمن بخلق ولا يعترف بثبات خلقى وأن وسائل الاعلام لديه مظهر من مظاهر مايعتمل فى نفسه من حياة لاهدف لها الا المتعة والقوة والأنانية والاعلام فى أى أمة تعبير عن قيمها . وحتى أكون منصفا أعرض نفس المسائل التى عرضتها فى الاعلام الاسلامى من وجهة نظر الثبات الخلقى لأرى الاستجابة الغربية أو الأمريكية ولنبدأ بالعنصر الأول .

المبحث الثانى

(١) الثبات الخلقى عند الفرد فى الاعلام الغربى:

فى أمريكا (الولايات المتحدة)

الانسان المعاصر فى الولايات المتحدة انسان ذكى طار فى أجواز الفضاء وغاص فى أعماق المحيطات وفجر الذرة وسار فوق القمر ووهب لنا من الأدوات والآليات مايعتبر سحرا ولكن هذا العقل الجبار انطوى تحت جناح الأثرة والأنانية والأهواء والشهوات لا يحس أمنا ولا يلمس سعادة ولا يرى فى حاضره ولا فى مستقبله سلاما جرفه جنون الربح وشره الاحتكار والعطش لاراقة الدماء.

يقول أحمد بهاء الدين فى مجلة العربى ٢٦١ /أغسطس / ١٩٨٠ " عشت فى بيوت أثرياء أمريكا وكنت أجد أن الابن الصبى اذا طلب شيئا قال له أهله اذن عليك أن تغسل السيارة كل أسبوع ونعطيك كذا دولار. أو عليك أن تذهب الى النادى وتجمع الكرات للاعبين فهو مهما كان حظ أسرته لا بد أن يعرف للقرش قيمه . اذا دفعنا هذا المنطق الى نهايته فانه قد ينقلب الى شىء آخر مضاد وهو أن تصبح القيم مادية تماما . القيمة الوحيدة فيها هى الدولار وهذا بالطبع صحيح حين نلقى نظرة على منطق الحياة فى الولايات المتحدة بصرف النظر عن الأفراد فى حد ذاتهم. الفرد هو البداية والنهاية الغاية هى الدولار والوسيلة هى المسدس.

الجريمة الفردية فى كل مكان ـ أكبر تجارة هى تجارة تحصين البيوت ـ " واذا ـ كانت سيدة فى سيارة ووقفت عند الاشارة فى أكثر الأماكن ازدحاما تغلق الزجاج

والأبـواب فقد يخطف منها شـئ ولا يجـوز لأحـد أن يسير ومعه أكثر من خمسين د ولارا ٠ فاذا كان معك مال كثير جـردوك منـه واذا لم يكن معك مال ضربوك مـن شـدة غيظهم ٠

الفردية المطلقة والعنف وقانون البقاء للأقـوى ولمن يسحب مسدسه أسرع من غـيره" ووسائل الاعـلام تساعد على اشعال هذه القيم لدرجـة أن ضـج كثير من العقـلاء من هـذه الوسائل التى تتملق غرائز القوم وتبحث عـن الربح ٠ ففى أوائل شهر مايـو سـنة ١٩٧٠ وقعت (١) أحداث تصور أزمـة وسائل الاعـلام ٠

فقد نظم مجلس الشئون العالمية فى شمال كلفورنيا مؤتمـر لمدة ثلاثة أيـام موضوعـه " وسائل الاعـلام والرأى العام والسياسة الخارجية وتدفقت خلال المؤتمـر جمـوع المتظاهرين يحملون لافتات كتب عليهـا " وسائل الاعـلام تكذب" وبدأ سيـل من النقـد لوسائل الاعـلام نسجل منـه مايأتى من كتاب " وسائل الاعـلام والمجتمع الحديث" :

(١) وسائل الاعـلام أداة فى يد المشروعات الاقتصادية ٠

(٢) كبـار رجـال الأعمـال يسيطرون على الصحافـة ٠

(٣) وسائل الاعـلام تحـول الأفـراد الى مستهلكين ٠

(٤) تعمل وسائل الاعـلام على استمرار الوضع الراهـن وتقاوم التغير الاجتماعى ٠

(٥) رجال الأعمـال يتحكمون فى الصحافة لدرجـة أن الصحافة حذفت وبـاء الدوسنطاريا الأميبية فى شيكاغو أثناء المعرض الدولى الذى أقيم فى شيكاغو سنة ١٩٣٣ حـذفـوة بقـوة المال من أجـل الترويج لصناعاتهـم ٠

(٦) الصحف تقوم بدور مشبـوه أثناء تغطيتها للحملات الانتخابية الكـبرى ٠

(٧) السينما تصور أفلام الجنس وتعلق لا فتات كتب عليها : الشهوة الفاكهة المحرمة • " وأصبح الكثير من نجوم السينما منغمسين فى الفضائح وتنشر هذه الفضائح على نطاق واسع" •

وأصبحت السينما صناعة تتميز بالحياة المنحلة وقد لخص الدكتور فرد ريك فيرنهام فى نفس الكتاب " وسائل الاعلام والعصر الحديث" وهو طبيب نفسى فى كتاب نشره بعنوان " غواية البرىء " ثمانى مواصفات لادانة كتب الشرائط المتتابعة وهى :

انها تدعو بشكلها الفنى الى الأمية •

أنها تخلق جوا من القسوة والخداع بما تحمله من مواد كثيرة عن الجريمة •

انها تعرض القراء للغواية

انها تشجع الخيال المريض

انها تعرض أفكارا قد تؤدى الى الجريمة أو الانحراف أو الجنس

انها تعطى معلومات تفصيلية عن الأساليب الاجرامية وغيرها من الممارسات غير المرغوب فيهما •

ولنذهب الى الدول الشيوعية

" الثورة الشيوعية تنفى العصبية الدينية وتعلن استبعاد القومية كعامل تفرقة بين الناس • وفتحت الدول الشيوعية الجامعات للطلبة الزنوج فاذا أحب الزنجى الشقراء وأحبته وجدوا جثته على الجليد •

ولما تظاهر الطلبة الافريقيون احتجاجا صاح فيهم الطلبة الشيوعيون عودوا الى الغابة أيها القردة "(١)

المبحث الثالث

الثبات الخلقى وموضوع المرأة فى الاعلام الغربى المعاصر

فى البلاد الغربية تسود فكرة الحرية الذاتية المطلقة للفتاه أو السيدة فى الأمور العاطفية ٠

(١) عندما تبلغ البنت الثامنة عشر من عمرها لايكون الأب مكلفا بالانفاق عليها فتبحث البنت عن عمل لها ٠

(٢) ان المرأة عندهم هى التى تقوم بتقديم المهر لمن يريد الزواج بها ولا يمكن ذلك الا بالعمل والكسب وفى كثير من الحالات يضطرها الحصول على العمل الى الانحراف ٠

(٣) المرأة عندهم لها الحرية أن تذهب حيث تشاء وتصادق من تشاء وتنام مع من تشاء حيث تشاء والنتيجة أن تعيش لترعى طفلها غير الشرعى أو تعقد قرانها وهى حامل أو تدفع أجر عملية الاجهاض ٠ وكثيرا ماتنشر الكنائس هذا الاعلان فى الصحف " قبل أن تجرى عملية الاجهاض اتصلى بنا لدينا حل آخر ـ الانجاب ـ والمساعدة السرية " ٠

(٤) " انتشر الاجهاض للأجنة فى شمال أوربا وفى اليابان لا كوسيلة لتنظيم النسل ولكن كوسيلة لاعطاء فرصة واسعة للتجربة الجنسية "(١)

(٥) " انتشر تعاطى حبوب منع الحمل بين طالبات المدارس الثانوية والجامعات وأصبح يوصى المتخصصون من الأطباء والاجتماعيين باباحة تعاطيها دون التقيد بالعلاقة الزوجية "(٢)

(٦) أصدر مكتب التحقيقات الفدرالى فى أمريكا التقرير الآتى الذى نشرته صحيفة نيويورك تايمز ابريل سنة ١٩٧٥م وترجمته مجلة المجتمع الكويتية الصادرة فى ٢٢ / ٤ / ١٩٧٥

أ ــ ان معدل الجريمة بين السيدات ارتفع ارتفاعا مذهلا مع نمو حركات التحرير النسائية .

ب ــ ان الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٩٥ ٪ منذ عام ٦٩ ١٩م بينما زادت الجرائم الخطيرة بينهن بنسبة ٥٢ ٪ .

جـ ــ ان أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهم من السيدات ومن بينهن شخصيات ثورية اشتركن فى حركة التحرر النسائى وتعلق الصحيفة قائلة " ان منح المرأة حقوقا متساوية مع الرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التى يرتكبها الرجل " .

(٧) المرأة فى أوروبا اتجهت لكسب القوت فاشتغلت سكرتيرة وضيفة فى ملهى أو مرقص وعارضة أزياء وممثلة وراقصة . واستغلت المرأة فى تجارة الجنس المقنع أو السافر من الصور العارية والمناظر الجنسية الفاضحة وعرض مفاتن المرأة فى الدعاية التجارية .

(٨) الزنا مباح ونوادى العراة تملأ المدن والنواصى وهذا العرى يصيب كثيرا من الرجال والنساء بالبرود الجنسى وحتى يداووا أنفسهم من هذا البرود يبتكرون أفانين شتى من السلوك المنحرف

وينتهز التجار هذه الفرصة لينشروا المخدرات والمسكرات

ويتبارى الشعراء والموسيقيون فى تقديم الأغانى العابثة التى تدغدغ الشهوات وتدفع الى المجون والجنون .

(٩) وكثيرا ماترى فى الصحف البريطانية اعلانات من هذا النوع " عارضة أزياء تشعر بالفراغ العاطفى ... اتصل برقم ....

(١٠) نشرت مجلة صباح الخير العدد ١٠٨ ٨/١ يولية تحت عنوان هل يسير العالم الى الدعارة ٠

الهربوأخيرمد ريس يهودى المانى ٣٦ سنة صاحب مجلة " سانكت باولى تسابتونج) فى هامبورج انشأ حزبا سياسيا جديدا اسماه (حزب الجنس) وشعار هذا الحزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع وتدريس العملية الجنسية للأولاد والبنات عليها وعلى الطبيعة من سن التاسعة واباحة الزواج المشاعى وهو أن جماعة من الرجال يتزوجون بجماعة من النساء ويتبادلون الزوجات فيما بينهم واباحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ وزواج المرأة الشاذة بالمرأة الشاذة والنظر الى الخيانة الزوجية على انها الامر العادى والطبيعى والمألوف ودستور الحزب يهدف الى جعل منع حبوب الحمل والاجهاض حقوقا مشروعة توضع فى بطاقة التموين وتوزع مع السكر والشاى وأن تكون

المخدرات المثيرة للذة شأنها شأن الخبز اليومى والحل السياسى لأزمة العالم فى نظر الحزب هو " الحب بدل الحرب " ٠

ومجلة الهر بواخيم دريش تبيع مليون نسخة وهناك ثلاثة آلاف المانى وألمانية كل واحد منهم يدفع عشرة ماركات اشتراكا شهريا رسم ولاء وانضمام لهذا الحزب ٠ وسكرتيرة الهر بواخيم فتاة جميلة تجلس فى المكتب عارية وتستقبل الزوار عارية على الدوام ٠ وحينما أقيمت على المجلة قضية دعارة ذهب الهر بواخيم الى المحكمة محمولا على اكتاف ست فتيات عاريات الصدور ٠

ثم تتساءل مجلة — صباح الخير — الا توجد وسيلة للسلام غير الدعارة ام ان اغراق العالم فى الدعارة والانحلال هو أمر مقصود ٠

السينما والمـــــــرأة

ان وسائل الاعلام الغربى لاترفع الناس عن الوحل الذى يعيشون فيه وانما تزين لهم الارتكاس فى هذا الوحل وتدعوهم الى المزيد من الغوص فيه ٠

لقد سعت الحركة الصهيونية بالتعاون مع الدول الراسمالية الى وضع البرامج الخاصة بالسينما منذ ان تم اختراع الصور المتحركة فى العالم بحيث يمكن ان تستخدم السينما كأداة فاعلة ومؤثرة فى تشويه حركات التحرر فى العالم وتصويرها كأنها ظاهرة من ظواهر القرصنة ليس الا " (١)

والحركة الصهيونية تمكنت من اخضاع اغلب النجوم فى السينما الكبار لمخططاتها العدوانية والذى يهمنا الآن هو السينما والجنس ٠

اول فيلم صورت فيه القبلة هو فيلم (الملكة كرستينا) وهو الفيلم الذى قبل فيه الممثل جـــون

---

(١) زهير الخالدى/خطوات على طريق السينما/ص ١٢/طبعة ١/١٩٧٩/المؤسسة العربية

جلبرت جريتا جاربو فى رقبتها ٠ ثم تلتها قبلات كلارك جيبل لفيفا ن لى فى فيلـــــم (ذ هب مع الريح) عام ١٩٣٩م وبعد ذ لك بدات هوليود تركز على الاثارة فى تعريـــة جسد المراة فاتجهـــت الى المايوه الذ ى بدا بقطعة واحدة ثم تطور الى قطعتـــين حتى وصل الى البيكينى عام ١٩٤٦م ثم انتهى به الامر فى الستينات الى ورقة التوت وتعرية الصدر ٠

ومن الافلام التى شاهد فيها الجمهور الممثلة وقد عرت صد رها فيلم " السمـــاء من فوقنا والطين من تحتنا " عام ١٩٦٢م ثم تلا ذ لك الأفلام التى تصور لنا الرجـــل والمرأة وهما فى سرير واحد وفى اوضاع مثيرة وشاذ ة ٠

ومن اوائل الافلام التى صورت المراة عارية تماما كما خلقها الله فيلم " ثم خلق اللـــه المراة " عام ١٩٥٨م لبريجيت بارد و وفيلم " ربيع امراة " لفيفا ن لى وفيلم الخـــادم لد يرك يوجـــلود وفيلم (انفجار) لمايكل انطونيونى وفيلم (رجل وامراة) لليلوش ٠ ومن الد ول التى اشتهرت بتصوير الواقعية الجنسية فى أفلامها ــ فرنسا وايطاليـــا والد انمارك واليونـــا ن ٠ (١)

هناك عناصر طيبة من المخرجين الذ ين يريد ون أ ن يرفعوا الطين عن وجه أوروبـــا ويصوروا الحياة الانسانية الحقة ولكن التـيارات الخفية التى تريد أ ن يشيع الفجـــور والانحلال فى العالم تتربص بهم فاما ا ن يعود وا الى الخط المنحرف واما ا ن يد مروا ٠

الامراض النفسية والنساء فى اوربا

---

(١) كثيرا مايقول الطفل الغير شرعى لامه أين أبى ياماما ٠ ٠ "

(٢) لقد استيقظت فطرة ممثلة فرنسية فجأة ـ بينما كانت تمثل مشهدا عاريا امام الكاميرات

نحن النساء الا اجسادنا حتى تصبحوا من اصحاب الملايين على حسابنا ثم انفجرت باكيــة . (١)

(٣) المراة العاملة فى روسيا بخاصة تعمل كالرجال فى المزارع والشوارع والبنــاء وكثيرا ماتفاجأ بضمور ثدييها وخشونة صوتها وانتشار الشعر فى وجهها . انهــا تفقد انوثتها وينشطر قلبها حزنا عندما تجد نفسها أنها أصبحت لا رجلا ولا امراة وتغرق فى دوامة الحزن والكآبة وتسقط صريعة للامراض النفسية .

انها المذاهب الارضية التى تفجر الشقاء للانسان . لا خلق ولاثبات على خلــق ووسائل الاعلام تنفخ فى نار الفساد فيزداد اشتعالا وحسب الانسان الاوربى قولــه انه يعبر عن نفسه ويرسم حياته بعقله ولا يفرض عليه راى من خارج نفسه . ومهما لاقــى من الصعاب والمكاره فهو اهون عليه من الاسترشاد بالدين حسب الانسان الاوربــى أن قوله ذلك يعزيه عن افساد فطرته وارتكاسه فى الحيوانية ودوراته فى دوامة الافســاد وهاوية الضلال .

(١) د. محسن عبد الحميد/ المرأة فى ظل الحضارة الغربية /ص ١٠/ طبعة ١/ ١٩٧٧/ مكتبة القدس/ بغداد

المبحث الرابع

الثبات الخلقي والعلاقات الدبلوماسية في الاعلام الغربي المعاصر

تسير أوربا وأمريكا على مخطط ميكيافيللي ـ الفيلسوف والكاتب والمؤرخ الايطالي الذى ولد بمدينة فلورنسا في ١٤٦٠ وتوفى بها عام ١٥٢٧ وكتب كتابه الشهير " الامير " (١)

ونصح في كتابه هذا الساسة بانتهاز الفرص واحتقار المثل والتزام البطش والعنف والقسوة واصطناع الدهاء لتحقيق الغاية .

في اواخر القرن الحادى عشر الميلادى ألقى البابا اربان الثاني خطبة شهيرة حرض فيها ملوك أوربا على قتال المسلمين لأن الحجاج النصارى كما يدعى يلاقون العنت من السلب والنهب عند حجهم الى بيت المقدس . والحقيقة ان تجار ايطاليا كانوا يريدون اسواقا للتجارة والرهبان كانوا يريدون تقويض الاسلام بعد أن هالهم كثرة المسلمين وسهولة اعتناق الديانة الاسلامية والجماهير كانت تريد الفرار من ـ المجاعات والاوبئة والاقطاع .

وتدفقت جيوش الصليبيين وهزموا على يد صلاح الدين في معركة حطين سنة ١١٨٧م وأسر لويس التاسع ملك فرنسا في دار ابن لقمان في المنصورة سنة ١٢٤٨م . الى سنة ١٢٥١م وانتهت الحروب الصليبية . فهل انتهت حقا الحروب الصليبية بعد انتصار المسلمين عليهم ؟

عندما عاد لويس التاسع الى فرنسا بعد تقديم فدية لفك أسره لم ينس الهزيمة

---

(١) تعريب لطفة جمعة ـ دار المعارف ـ مصر

وأخذ يفكر فى العودة وهداه تفكيره الى ان عقيدة الاسلام هى سر تفوق المسلمين يكمن فيها سر القوة وان الملاقاة الجديدة فى ميدان الحرب يجب ان يسبقها زعزعة هذه العقيدة وافسادها وتشويهها وهذا يتطلب فى رايه دراستها فنشأ الاستشراق ٠ ٠٠٠ فالمستشرقون يدرسون تراثنا وعقيدتنا بهدف افسادنا وامتلاكنا وهدم مقومات وجودنا وقطع الجذور الثابتة فى ارض تراثنا ٠

فالاستشراق اداه لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية ٠ ومادام الاستشراق يهدف الى زعزعة عقيدة الاسلام فيمكن ان يملأ الفراغ بالتبشير بالديانة المسيحية وخاصة فى البلاد التى لم يصل اليها الاسلام ٠

ولكى تتم الدراسة الخبيثة الهدف فى صورة علمية ارسلت اوروبا الجواسيس لنهب مخطوطاتنا وذخائرنا الثقافية وكنوزنا العلمية وتوفروا على دراستها وانشئت اقسام فى الجامعات الاوربية مثل كلية العلوم الشرقية فى جامعة اكسفورد ٠

واصبح المستشرقون يتبعون وزارات الخارجية فى اوروبا ومهمتهم تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء فى الشئون الاسلامية والشرقية ٠

وعادت الحروب الصليبية بتخطيط جديد قوامه راهب مبشر ومستشرق ورجل من رجال السياسة وقائد جيش ٠

ثم تحول رجال الكنيسة من رجال دين الى رجال سياسة وهذا هو الدليل ٠

(١) فى ظل الاستعمار الانجليزى نجد (دنلوب) وهو من رجال الكنيسة يصبح مسئولا عن التربية والتعليم فى مصر ليخطط لسياسة تعليمية يهدف من ورائها افساد العقيدة الاسلامية وتشويهها ويصنع فى عقل الجيل الجديد مغامز الشك وسهام التشويش وهدم

المسلمات لعقيدتهم الاسلامية •

(٢) عندما دخل الانجليز أوغندا عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانونا بألا يتولى الحكم الا مسيحى •

(٣) تصر الفاتيكان على ابعاد المسلمين عن القيادة السياسية حتى فى البلاد التى توجد فيها اغلبيات مسلمة وأقليات نصارى مثل سيراليون • ٨٠٪ مسلمون سنغال • ٩٠٪ مسلمون ــ افريقيا الوسطى • ٧٠٪ مسلمون ــ غامبيا • ٩٠٪ مسلمون ــ الحبشة • ٦٠٪ مسلمون • (١)

(٤) عندما دعا الزعيم المسلم أحمد بللو فى نهجيريا الى الاسلام فى الستينات لم يهدأ للكنيسة بال وتدفقت الاسلحة على نهجيريا لقتل المسلمين فى هولندا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا واسرائيل •

لقد تبرعت البرتغال بتسعة ملايين جنيه استرلينى ودفع بنك روتشيلد الصهيونى (لاوجوكو) ٦ ستة ملايين جنيه استرلينى وأقيم فى فرنسا اسبوع لدعم العمل فى نهجيريا واشترك البابا والفاتيكان فى تهريب الاسلحة على بواخر حكومية • (٢)

(٥) عندما يولد للمسلم مولود فى الكنغو يجب أن يعمد فى الكنيسة التى تختار له اسما من عندها واذا لم يعمد فى الكنيسة يصبح ضائع الهوية اذ لاتوجد له شهادة ميلاد فلايستطيع ان يلتحق بالمدارس ليتعلم • (٣)

(٦) الكنيسة الهولندية تنفق ٢ مليون جنيه استرلينى سنويا من اجل التبشير فى جنوب افريقيا •

(٧) وقعت البرتغال مع الفاتيكان سنة ١٩٤٠م اتفاقية بأن تعليم الافارقة الموزمبيقيين (٤)

---

(١) عماد الدين خليل احقاد واطماع التبشير/ص١٤/طبعة ٢/١٩٧٩/المختار

يكون بمعرفة الكنيسة الكاثوليكية وبذلك أصبح من المتعذر على الجماعات الاسلامية فتح المدارس لتعليم أبنائها .

(٨) الصومال ذات أغلبية مطلقة مسلمة فلم تستطع الكنيسة والاستعمار تنفيذ لعبة الأقلية المسيحية فمزقوا الصومال واقتطعوا أراضيه وضموا هذه الأراضى الى الدول المجاورة ذات القيادات المسيحية وبخاصة الحبشة .(١)

(٩) شركة الهند الشرقية التى رسى الانجليز بها الهند فى القرن السابع عشر كانت تضم عددا من المستشرقين الذين كانوا يبصرون سادتهم بمكامن النفسية الشرقية ووسائل التغلب عليها .

(١٠) الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨م ــ ١٨٠١م) كان بها مستشرقون لخداع الشعب المصرى حتى يكون مطية سهلة لنابليون.

(١١) أنتونى ايدن رئيس وزراء انجلترا السابق كان لايتخذ قرارا سياسيا يتصل بالشرق الأوسط الا بعد الرجوع الى المستشرقين من أساتذة جامعة أكسفورد وكلية العلوم الشرقية من أمثال " مرجليوث"

(١٢) بعد احتلال القدس فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦م وقف القائد الانجليزى (اللنبى) على قبر صلاح الدين وقال بزهو ها قد عدنا ياصلاح الدين.

أى حقد هذا ؟ ضد الاسلام والمسلمين وكيف تتحول المسيحية دين المحبة الى مذهبية متعصبة تسير فى ركاب السفاحين أصحاب مبادىء ابادة الجنس والتمييز العنصرى وتجار النهب والاستغلال .

---

(١) د. عماد الدين خليل /أحقاد وأطماع التبشير/ص ٥٣/طبعة ١٩٧٩/٢/ المختار الاسلامى/ القاهرة .

وجاء الاستعمار : كاهن ـ ومبشر ـ وقائد جيش ـ ورجل سياسة ومعهم جيش للدمار والافساد . وحول الاستعمار البلاد المستعمرة الى أسواق يوزع فيها تجارته وينهب منها المواد الخام وينقل ثرواتها الى بلاده ويستغل الأيدى العاملة فيها بأرخص الأجور . ولكى تظل البلاد المغلوبة فى حاجة اليه يحول دون تصنيعها ويبذر الفتنة بين عناصرها .

آنا بين المسلمين والهندوس . وآنا بين المسلمين والأقباط ـ وآنا بين الأبيض والأسود ـ وآنا بين مصر والسودان ـ وآنا بين مصر والبلاد العربية .

فالدول الغربية لم توجد المستعمرات الا لتستغلها أما العلاقات الدبلوماسية التى نحن بصددها فهى صادقة وحقيقة وشريفة ولا يوجد بها غدر ولا خيانة ولا خروج على مبادىء الأخلاق كمعاهدات بدون النظر الى موضوعها .. اذا كانت علاقات دبلوماسية ضد المسلمين فهى معاهدات صادقة وفيها وفاء .

أما العلاقات الدبلوماسية اذا كانت مع المسلمين فنجدها فى الاعلام الغربى خيانة وغدر وكذب والمعاهدات لا تعدو أن تكون قصاصة ورق وتمزق فى أى وقت وتنقض تبعا للمصلحة وسيرا وراء الفائدة وهذه هى الأدلة :

(١) فرضت بريطانيا على الشعب الصينى بقوة السلاح اتفاقية للاتجار بالأفيون

(٢) فى عام ١٨٧٨م وافقت انجلترا على أن تغض النظر عن الأطماع الفرنسية فى تونس نظير سكوت فرنسا على ضم جزيرة قبرص الى انجلترا .

(٣) شجع بسمارك فرنسا على الاستيلاء على تونس ليشغلها عن المطالبة بالالزاس ـ واللورين .

(٤) فى عام ١٩٠٤م عقدت انجلترا وفرنسا معاهدة تنص على ألا تمانع بريطانيا فى

(٥) سنة ١٩١٢م تمت معاهدة بين فرنسا وأسبانيا اعترفت أسبانيا بمركز فرنسا الخاص بالمغرب كما اعترفت فرنسا بمركز أسبانيا فى منطقة الريف الساحلية .(١)

(٦) خافت فرنسا من ألمانيا فاضطرت الى التنازل عن جزء من أراضيها فى الكنغو الفرنسية لألمانيا نظير اعتراف المانيا بالحماية الفرنسية على المغرب . هذه معاهدات لا خلق فيها تقوم على الخوف . وعلام تنص هذه المعاهدات ...(١)؟ على استغلال الانسان وتقسيم الغلاف البشرى ليكون عبيدا للسادة الأوروبيين

فى سنة ١٩١٥م انتهت المراسلات بين الشريف حسين بن على ومكماهون المندوب السامى الانجليزى فى مصر والسودان بتسليم انجلترا باستقلال العرب مقابل قيام العرب بالثورة ضد تركيا . وفى نفس الوقت تعاهدت انجلترا مع العرب على منحهم الحرية والاستقلال وفى نفس الوقت اشتركت مع فرنسا فى اتفاق سايكس بيكو سنة ١٩١٦م فى اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ومنها البلاد العربية وفى نفس الوقت أيضا كما هى سنة أوروبا فى استمراء الخيانة والغدر . التزمت انجلترا مع زعماء اليهود بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين لتستميل العناصر اليهودية الصهيونية فى ألمانيا والنمسا وأمريكا حيث كان لهذه العناصر نفوذ كبير فى الدوائر السياسية والمالية والصحفية وظهر وعد "بلفور" وبلفور هو وزير خارجية انجلترا وأساس وعد بلفور أن حكومة جلالة ملك انجلترا لتنظر بعين الارتياح الى انشاء وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى وستبذل مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ..." وخابت آمال العرب فى بريطانيا .(٢)

معاهدات لا خلق فيها ولا وفاء وكلها غدر وخيانة .

---

(١) احمد موسى البكرى، سعد شهاهين/معالم التاريخ الحديث/ص ١٥٦/طبعة ١٩٧٦/٤

وانتهت الحرب العالمية الأولى وصحا ضمير أوروبا فأنشأوا عصبة الأمم وكان الهدف من انشائها العمل على تسوية المنازعات بين الدول بالطرق السلمية ولكن مالبثت أن وقعت هذه الهيئة الدولية فى أيدى الدول القوية فلعبوا بها وسقطت دول كثيرة كالحبشة والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا — ولم تحرك العصبة ساكنا . " فى سنة ١٩٣٦ غزت ايطاليا الحبشة وضمتها الى أملاكها ولم تعبأ بأية معارضة أو احتجاج سواء من عصبة الأمم التى تنتمى اليها الحبشة أو من انجلترا التى حاولت تنظيم العقوبات الاقتصادية ضدها بواسطة العصبة . وفى الوقت نفسه احتلت ألمانيا " منطقة الرين الحرام" "التى قررتها معاهدة فرساى وأعلنت بطلان جميع النصوص العسكرية التى تضمنتها هذه المعاهدة . ولم تتحرك فرنسا التى ترتبط هذه الخطوة بسلامتها أشد الارتباط لأن انجلترا لم تر يومئذ وجها للاعتراض على استرداد ألمانيا لحريتها فى شئون الدفاع القومى كما خذلت فرنسا انجلترا فى المسألة الحبشية كذلك رأت انجلترا ان ترد بخذلان فرنسا أمام ألمانيا فى المسألة العسكرية" (١) .

ثم بدأت الحرب العالمية الثانية فى اول سبتمبر سنة ١٩٣٩م .

هذه هى العلاقات الدبلوماسية كما نعلمها من الاعلام الغربى . علاقات نمور فى غابة . علاقات تقوم على مكر الثعالب وبطش الأسود .

وماذا ننتظر لانسان وضع قانونه بنفسه ولم يسترشد حتى مجرد استرشاد بقانون الله . ماذا ننتظر لانسان نحى المشيئة الالهية جانبا والتمس لنفسه المتعة والقوة ليستقطر من دن الشهوات والملذات كل الكؤوس حتى آخر قطره قبل أن يموت موتا أبديا لا حياة بعده كما يعتقد .

هـذه الذات الأوروبية تـبرر لهم الانفـلات من أى قيمـة خلقية انسانية حـتى المتدينـين منهم يعتقدون أن المسيح مسح عنهم الخطايا بالفداء فهم مبـرأون أطهار أبرياء حتى ولو قتلوا الناس جميعا • وانتهت الحرب العالمية الثانية وتيقظ الضمير الأوروبى الأمريكى على صـوت انفجـار القنبلة الذرية فى هيروشيمـا وتكونت هيئـة الأمـم المتحـدة فى ٢٦ يونيـه سنة ١٩٤٥ •

وصحيح كان لهيئة الأمم المتحدة دخل فى تصفية الامبراطورية الاستعمارية الانجليزية والفرنسية ولكن بدأ يجـرى على هيئة الأمم ماجـرى على سابقتها عصبة الأمـم • مازالت البرتغال متشبثة باقليم موزمبيق واقليم انجولا وغينيا البرتغالية • والكيـان الصهيونى ادين لانتهاكه حقوق الانسان مـرارا وتكـرارا بلا جـدوى • وقـرارات متوالية متلاحقة اتخذت فى دورة سنة ١٩٧٤ وفى غيرها من الدورات فـى هيئـة الأمـم المتحدة بشأن جنـوب افريقيا وزيمبابوى والمستعمرات البرتغاليـة وفلسطين والقدس • كلها ذهبت أدراج الرياح •

والولايات المتحدة تتقن لعبة الأمـم فمن أسبانيا حتى دول جنـوب شرق آسيـا تدبـر الانقلابات داخـل الدول التى تسعى للتحرر وتتوق أن تخـرج عن الوصاية الأمريكية وبعيدا عن العصا الأمريكية • والمخابرات الأمريكية تصنع الأعاجيب •

المبحث الخامس

الثبات الخلقي والحرب في الاعلام الغربي المعاصر

المعاهدات والعلاقات الديبلوماسية في أوروبا هي معاهدات بين ثعالب ونمور فلا وفاء ولا شرف ولا كرامة ولا عهد ولا ميثاق ولا مجال فيها لغير الغدر والخيانة والخسة ونقض العهود وتمزيق المعاهدات.

أما الحرب فهي وحشية سافرة وقسوة بالغة.

(١) لقد سقط في الحرب العالمية الأولى أكثر من ١٢ مليون قتيل في أربع سنوات خلاف الجرحى.(١)

(٢) وفي الحرب العالمية الثانية قتل مثل هذا العدد.(١)

(٣) بلغ ما حرق أو دمر في روسيا وحدها خلال الحرب العالمية الثانية ١٧١٠ مدينة ومركز ونحو ٧٠٠٠٠ مزرعة وأصبح ٢٥ مليون شخص بلا مأوى ومات عدة ملايين من الشعب وتحملت روسيا خسارة مادية تبلغ ٥٠٠٠٠٠ مليون دولار.(٢)

(٤) وناهز قتلى المانيا ٦ ملايين داخل أوروبا

(٥) قنبلة هيروشيما في الحرب العالمية الثانية قضت في لحظة واحدة على ١٤٥/ ألف نسمة ، ٧٠/ ألف نسمة في نجازاكي.(٢)

(٦) المدن كانت تهاجم في الليلة الواحدة بألف من الطائرات قاذفة القنابل فأصبحت البيوت بما فيها من السكان عجينة من الحطام والدم والشظايا.

(٧) أباح الألمان لأنفسهم أن يفتكوا ببضع ملايين من اليهود عن طريق الأفران(٣)

(١) جريدة الأهرام ١٩٦١/٩/٢١ـ عن الطاقة الانسانية ـ احمد حسين (٢) احمد حسين / الطاقة الانسانية /ط ٢/ص ٤٩/١٩٧٠/منشورات المكتبة المصرية /لبنان

(٣) نفس المصدر ص ٧١

الفازية .

(٨) فى باريس قذف البوليس الباريسى المتمدن بمائة جثة من المتظاهرين الجزائريين فى مياه السين .

(٩) اليهود أنفسهم الذين كانوا محل العدوان أوقعوا الذابح التى يشيب لهولها الولدان فى دير ياسين عقب صدور قرار تقسيم فلسطين.(١)

(١٠) نصف مليون جندى فرنسى مزود بالسلاح فتك بمليون من الجزائريين العزل لا لذنب الا لأنهم يطالبون باستقلال بلادهم.(١)

(١١) " أبناء الثورة الفرنسية التى أعلنت الحرية والاخاء والمساواة قتلوا الأسرى المسلمين فى يافا حلا لمشكلة تغذيتهم. وأعدموا سليمان الحلبى وهو يعتبر متهم سياسى .أعدموه على الخازوق وهو جهاز رهيب ينفذ فى احشاء الضحية بوصة بوصة أبشع طريقة اكتشفها البرابرة أو التتار"(٢)

(١٢) فى سنة ١٩١٧م انتزع لينين السلطة من الحكومة العنصرية واستصدر مجلس مندوبى الشعب منشورا سنة ١٩١٧ أعلن فيه حرية الأديان — ونجحت الثورة البلشفية فى ضم الجمهوريات الا جمهورية شبه جزيرة القرم المسلمة فسير الشيوعيون اليهم جيشا لاخضاعهم قسرا . ولما كانت القوة لا قبل للمسلمين بها لاذ المحاربون المسلمون فوق الجبال ومونهم الشعب بالقوت والسلاح(٣) لجأ الجيش الروسى الى عمل خبيث غير انسانى يتمثل فى التجويع فأدخلوا شبه الجزيرة من مصادر القوت واحتجزوه لأنفسهم فتساقط النساء والأطفال والشيوخ والرجال من الجوع ونشرت جريدة الأزفستيا الرسمية فى عددها الصادر سنة ١٩٢٢م تقريرا للشيوعى "كالوتين" عن أن الموتى بلغ عددهم ١٠٠ ألف فى شهر يناير حتى يونيه — وانهزم المحاربون القرميون المسلمون.

---

(١) احمد حسين/الطاقة الانسانية/ص ٧٣/طبعة ١٩٧٠/٣/المكتبة العصرية/لبنان

(٢) نفس المصدر ص ٧٤ (٣) جلال كشك / الغزو الفكرى/ص ٥٠/طبعة ٦٩/مكتبة الأمل/الكويت

وفى سنة ١٩٤٠ تمكن الجيش النازى من قهر الروس فى بداية الحرب وأثناء زحف الألمان التقى بالفيلق القرمى المسلم وكان تعداده ١٨/ ألف وظن الجيش القرمى أن الألمان خير من الروس فسلم نفسه للألمان انتقاما من الروس وعرف الألمان أن المستسلمين مسلمون فجرد الفيلق القرمى من كل سلاح ثم زجوا بهم فى سجن رهيب وحيل بينهم وبين الطعام فماتوا جوعا ومن لم يمت جوعا أطلقوا عليه الرصاص ولم ينج من هذه الكارثة الأليمة الا ثلاثة (١) أوصلوا الينا النبأ المفجع.

وعندما انتصر الروس أخيرا ـ أعلنوا أن المسلمين القرميين شعب عميل وأجلوا كل مسلم أو مسلمة الى مناطق سيبريا وأسكنوا السلاف الروس مكان القرميين المسلمين على نحو ماتفعل اسرائيل الآن . (١)

(١٣) ينفق العالم على التسلح الآن حوالى ٥٠٠ مليار دولار أى مايعادل مليون دولار فى الدقيقة الواحدة . (٢)

(١٤) فى سنة ١٩٨٠ واثناء انعقاد مؤتمر نزع السلاح فى جينيف كشفت "انكاتورتون" وكيلة وزارة شؤون الدولة فى السويد عن الاحصاءات الفعلية المتعلقة بالتفجيرات النووية التى حدثت خلال السنوات القليلة الماضية . والاحصاءات تقول ان الاتحاد السوفيتى اجرى ١٩١ تفجيرا نوويا . والولايات المتحدة اجرت ١٥٤ تفجيرا نوويا فى السبعينات وفرنسا قامت بـ ٥٥ تفجيرا نوويا والصين قامت بـ ١٥ تفجيرا نوويا " أما بريطانيا فقامت بخمس تفجيرات نووية والهند قامت بتفجير نووى واحد .

مالنتائج التى تترتب على اندلاع حرب نووية ؟

---

١) محمود شاكر ـ المسلمون فى الاتحاد السوفيتى . ص ١٢٩ مؤسسة الرسالة بيروت
٢) مجلة القدس ـ معين احمد محمود ـ سباق التسلح م العدد ١١ /فى ١/١٠/١٩٨٠م

١) تدمير معظم المدن في المنطقة الشمالية من الكرة الارضيـة ٠

٢) مـوت معظم سكان المدن في هذه المنطقة بالهواء الملوث والحريق ومـوت سكان الريف عن طريق الاشعاعات ٠

٣) قتل ملايين البشر في المنطقة الجنوبيـة بسبب تساقط الاشعاع النووي ٠

هذه عن النتائج القريبة الامد أما النتائج البعيدة الامـد فهي الولادات المشوهة ولفترة طويلة بسبب تأثير الاشعاعات النووية ٠

انخفاض فعلي في طبقة الاكسوجين في الهواء وتغيير مناخ العالم ٠ (١)

وهكـذا يحطم الانسان نفسه اذا ابتعـد عن التوجيه الالهي ٠

---

(١) مجلة القدس ـ معين احمد محمود ـ سباق التسلح ـ العدد ١١ في ١/١٠/١٩٨٠م

المبحث السادس

الثبات الخلقي والمال في الاعلام الغربي المعاصر

تطالعنا كتب التاريخ في صفحة القرن التاسع عشر الميلادي بأن الدول الأوروبية نهضت صناعيا وفاضت أسواقها بالانتاج الصناعي وأحست هذه الدول بحاجتها الى الأسواق العالمية لتصريف بضائعها ولجلب المواد الخام وكانت الكنيسة " تزن" على انقاذ البشرية المعذبة خارج أوروبا من الوثنية والجهل والمرض فوجد تالدول الأوروبية شعارا انسانيا كاذبا ترفعه وكانت عند هذه الدول عقيدة في أن عظمتها تتعلق باتساع نفوذها ٠ وبدأت الاستكشافات الجغرافية ٠ وأوروبا كانت متفوقة عسكريا تملك المدفع الرشاش ولم يكن عند الافريقي أو الآسيوي سلاح يرقى الى مستوى هذه الآلة الجهنمية ٠ فأخضعوا الانسان الافريقي والآسيوي كما يخضعون الدجاج والماشية ٠

سطت بريطانيا على الهند سنة ١٨٨٧م واستولت بعدها على بورما والملايو وهونج كونغ وعلى مستعمرة الرأس بافريقيا سنة ١٩١٥ وعلى ناتال سنة ١٨٤٤ والأورانج سنة ١٩٠١ وعلى نيجيرتا سنة ١٨٥١ وزنجبار سنة ١٨٧٠ وقبرص سنة ١٧٧٨ وعدن سنة ١٨٩٩م وفي أواخر القرن التاسع عشر سطت على حضرموت وعمان والبحرين وقطر وعلى مصر سنة ١٨٨٢م والسودان سنة ١٨٩٨م والعراق سنة ١٩١٩ وفلسطين والأردن سنة ١٩٢٠ وعلى جامبيا سنة ١٨٤٣م ونيجيريا سنة ١٨٩٩ ضمن التاج البريطاني ــ نياسالاند (مالاوي) في أواخر القرن التاسع عشر وعلى روديسيا الشمالية (زامبيا) سنة ١٨٨١م وروديسيا الجنوبية (زيمابوي) سنة ١٨٩٠ وبتسوانالاند سنة ١٨٨٥ سوازي لاند (محمية)

سنة ١٩٠٢م وساحل الذهب سنة ١٨٩٦ ماسونولاند فى أواخر القرن التاسع عشر والنرشغال سنة ١٩١٠ (مستعمرة) الاورانج سنة ١٩٠٧ ٠

أما فرنسا فقد سطت على سورية سنة ١٩٢٠ وتونس سنة ١٨٨١ والجزائر سنة ١٨٣٠ والمغرب سنة ١٩١٠ والهند الصينية سنة ١٨٨٥ وموريتانيا سنة ١٩٢٠ وغينيا سنة ١٨٩٥م والجابون سنة ١٨٨٨ (اقيم فرنسى) ـ افريقية الوسطى سنة ١٨٩٤ (اقليم فرنسى) الكميرون سنة ١٨٨٥ المانى ـ ١٩١٩ فرنسى ٠ تشاد (مستعمرة سنة ١٩٢٠م) مالى سنة ١٩٠٤ (جزء من الدولة الفرنسية) فولتا العليا مستعمرة فرنسية سنة ١٩٠٤م والنيجر سنة ١٩٠٤ وساحل العاج مستعمرة سنة ١٨٩٣م وداهو فى اقليم فرنسى سنة ١٩٠٤ أما البرتغال فقد استعمرت أنجولا من القرن السادس عشر الميلادى وبدأت هولندا عملية السطو على أندونيسيا سنة ١٦٠٢م وسطت ايطاليا على الصومال وأريتريا سنة ١٨٨٧م وعلى ليبيا سنة ١٩١٢م ٠

وفى أواخر القرن التاسع سطت بلجيكا على الكونغو (ليوبولد قيل) وماجاءت سنة ١٩٦٠م ـ حتى انتهى الاحتلال والسطو والنهب واستقلت هذه البلاد ماعدا القليل ٠

ماذا حدث فى عصر السطو والنهب والقسوة والجبروت ٠ :

(١) من نيجيريا والكنغو ينهب المطاط ويتجه إلى أوربا للتصنيع ٠

(٢) من مصر والسودان ينهب القطن ويتجه إلى المصانع البريطانية ٠

(٣) من غانا والجابون تنهب الأخشاب ٠

(٤) من نيجيريا وغانا وزائير وسيراليون ينهب زيت النخيل ويتجه إلى أوربا لصناعة الصابون والشموع ومواد التشحيم ويعاد تصديره صنعا ٠

(٥) من نيجيريا والسنغال وغمبيا والسودان ينهب الفول السودانى ويتجه إلى أوربا

(٦) من تونس والمغرب والجزائر ينهب زيت الزيتـــون.

(٧) من غانا ونيجيريا ينهب الكاكـاو.

(٨) من كينيا وأغنـدا وتنزانيـا ينهب الشـاى.

(٩) من جنـوب أفريقيـة ينهـب السكـر.

(١٠) من غانا ينهب المنجنيز.

(١١) من غينيا ينهب بوكسيت الألومنيـــوم.

(١٢) من أوغنـدا وزامبيا وزائير ينهب النحاس.

(١٣) من نيجيريا ينهـب القصدير.

(١٤) من موريتانيا والجزائر تنهب خامات الحديد ومن جنوب أفريقيا تنهب الأحجـار الكريمـة والذهـب.

(١٥) من جنوب أفريقيا ينهب اليورانيوم وقنبلة هيروشيما كانت من يورانيوم الكنغـــو (١) (زائير الآن).

ماذا فعل الأوربيـون للسكان الأصليين أمام كل هـذه الخيرات التى نهبوها فـــى فترة الاحتـــلال. :

(١) فى (ناتال) بجنوب افريقيا امتلك الأوربيون الأراضى الخصبة وتقدر بـ ٨٨٪ من مجموع الأراضـى أما الأراضى الباقية ١٢٪ فهى أراض لاتصلح للزراعـة وقد طردوا اليها الأفريقيين. فيعمل الأفريقى عملا جسمانيا شاقا طول يومه فيعيش بلا علم ولاتقدم وهـم يفرضون عليـه هذا الوضع ليكون حيوانا راقيا يستخدم فى المزارع والمصانـع.

ويخصصون للافريقى وللكلب مصاعد فى العمارات الكبيرة " وهناك لافتات فى كل مكـان مكتوب عليها " للبيض فقط " والتنقل فى المدن لايكون للافريقى بدون تصريح ويقسمـــون

الافريقيين الى طبقة المعزولين الذين لا يبرحون معازلهم وطبقة العمال الزراعيين الذين يعملون فى المزارع الأوروبية نظير أتفه الأجور وطبقة العمال غير الفنيين الذين يعملون فى مناجم المعادن النفيسة والمصانع ويعمل هؤلاء بعقود لا تتجاوز ثلاثة أشهر حتى يمكن طردهم من أعمالهم دون أن يكون لهم أية حقوق" (١) •

(٢) كان لابد لنقل المحصولات الى أوروبا أن تمد الخطوط الحديدية فأقام الأوروبيون على الافريقى والآسيوى نظام السخرة لشق الطرق وأجبروه على زراعة الحاصلات التى تريدها الدولة المستعمرة كالكاو ونخيل الزيت والبن• أما الحاصلات الغذائية التى تعتبر فى المقام الأول لغذاء الانسان فتهمل ولذلك عانى الافريقى من الجوع• (٢)

(٣) اغترفت انجلترا الذهب من جنوب أفريقية وحملته الى بلادها ومن هذا الذهب أقامت المصانع فى بلادها وفى أفريقيا وأصبحت هذه المصانع ملكا لها بالرغم من أنها من ذهب الافريقيين• واذا انبثق زيت من احدى الآبار فهى ملك للمستعمر أو هى محل استغلاله" (٣) •

(٤) عشرة أطفال من مائة يذهبون الى المدارس والباقى يبقى بدون تعليم ليكون خدما للأوروبيين والذى يتعلم فى مدارس الكنيسة •

(٥) الدول الأوروبية لم توجد المستعمرات الا لتستغلها ولكى تصبح مناطق نفوذها ومخازن لا تنضب من المواد الخام لصناعاتها • وتخشى من تيقظ الافريقى أو الآسيوى فتستعد بالسلاح والعتاد الحربى لضربه وتسلط عليه الخمور والدعارة ليصبح مجرد حيوان•

---

(١) د•فليب رفلة / الجغرافيا السياسية لأفريقيا /ص ٦٣٣ /طبعة ١٩٦٦/٢/مكتبة النهضة المصرية (٢) نفس المصدر ص ٦٣٣

(٣) د•عيسى عبده / الربا ودوره فى استغلال الشعوب/ص ٧٢/طبعة ٢/ ١٩٧٧/دار

(٦) عند ما غزا الانجليز استراليا وعند ما غزت ايطاليا ليبيا وعند ما غزت فرنسا المغرب العربى أخذوا الأماكن الخصبة وطردوا السكان الأصليين الى الأماكن البور.

(٧) ينهبون المواد الخام ويصدرونها الى أوروبا حيث تتصنع هناك ثم يعيدون تصديرها الى البلاد المستعمرة بأغلى الأسعار.

(٨) يوجد ٣ مليون أفريقى يشتغلون فى مزارع البيض فى القارة الافريقية ولذا يعيش الافريقى فى حالة كفاف ليس لديه وقت ولا فكر الا فى الكفاح من أجل لقمة العيش فليس لديه وقت فراغ.(١)

(٩) اعترفت مصادر بلجيكية بأن سكان الكونغو كانوا " عشرين مليونا سنة ١٩٠٠م فأصبحوا سنة ١٩٥٦ ١٢ مليونا نتيجة تقطيع أوصال الضحايا اذا رفضوا العمل بالسخرة والوحشية فكانت تقطع اليد أو الأذن اذا فشل الرجل الافريقى فى اخراج قدر معين من الانتاج.(٢)

وحين جاء ملك البلجيك سنة ١٩٦٠ الى الكنغو يوم الاستقلال تكلم عن اصلاحاته فرد عليه " لومومبا "( ) مشيرا بوضوح الى القتل والتعذيب والسخرة والتأخر والظلم.

(١٠) مارست حكومة البرتغال تجارة الرقيق سنة ١٥٨٠م الى سنة ١٨٢٦م ولما تخلت حكومة البرتغال عن تجارة الرقيق مارسها القراصنة البرتغاليون وخرج من أنجولا وحدها ٣ مليون أفريقى من الرقيق.

" وفى أنجولا كان الرقيق هو السلعة الحقيقية "(٣)

---

(١) د. فليب رفلة / الجغرافيا السياسية لأفريقيا / ص ٦٣٣ / طبعة ١٩٦٦/٢/ مكتبة النهضة المصرية (٢) نفس المصدر ص ٥٤٨ (٣) نفس المصدر ص ٥٥٠

(.)

(١١) " قامت ثورة مسلحة فى انجولا سنة ١٩٦٢ فأخمدها البرتغاليون بعنف اذ استعملوا قنابل النابالم والقتل الجماعى وهاجر من انجولا ٣٠٠٠٠٠ انجولى سنة ١٩٦٣ الى الكنغو "(١)

(١٢) عندما دخل نابليون بجنوده مدينة القاهرة قام " الجنود المتدينون بأخس الأعمال ـ لقد وجدوا أمامهم قصور المماليك بعد ماتركها أصحابها وفروا فنهبوها وجردوها من أموالها الطائلة وجواهرها الثمينة وتحفها النادرة "(٢) ٠

(١٣) جندت فرنسا ابناء فولتا العليا ومالى فى القتال فى الجبهة الأوروبية ٠

(١٤) تمكنت عدة شركات اسرائيلية من تأسيس مراكز لها فى أديس أبابا واريتريا ويمتلك بعض الرأسماليين الأثيوبيين أسهما فيها فاضطهدت الشركة الزراعية التى يديرها مسلمون فى ارتريا وانتقلت ملكيتها الى شركة انكودى الاسرائيلية ٠ وفى سنة ١٩٦٦ نزعت حكومة الحبشة خمسين ألف هكتار من الأراضى التى تزرع القطن وأهدتها الى الشركات الاسرائيلية ٠

ولذلك سوف تحاسب اثيوبيا على افقار اريتريا(٣)

(١٥) ومجمل القول فى عمليات النهب : نقيس مقدار النهب الذى حدث من افريقيا فى مدة الاحتلال والسطو باحصائية سنة ١٩٦٢م بالنسبة للانتاج العالمى زيت النخيل ٦٩ ٪ ـ السيسال ٧٥٪ ـ البن ١٥٪ ـ الكوبالت والكولوميت ٩٠٪ الكروم ٣٥٪ ـ الذهب ٦٥ ٪ ـ الماس ٩٨٪ ـ الفوسفات ٣٥٪ ـ اليورانيوم ٦٥ ٪ ـ المنجنيز ٣٥٪ النحاس ٣٠٪ ٠(٤)

---

(١) د٠فليب رفلة / الجغرافيا السياسية لافريقيا/ص ٥٩٥/طبعة ٢/ ١٩٦٦/مكتبة النهضة المصرية (٢) الشيخ محمد الغزالى/الاستعمار أحقاد وأطماع/ص ١٥٢ طبعة ١٩٧٠/٢/جدة (٣) د٠عماد الدين خليل/مأساتنا فى افريقيا/ص ٦٤/

سبع دول استعمرت افريقيا وهى : بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا وألمانيا ٠

ان دول افريقية يوم ينصرها الله سوف تمسك بخناق هذه الدول تسألها عن النهب والسطوة والقسوة والجبروت والاذلال وما ذلك على الله بعزيز ٠

(١٦) المجتمع الأوروبى لم يبق فى نفسه ذرة خير ٠ فاذا كانت هناك مصلحة عامة تستلزم المساهمة الجماعية بالمال فانهم يعتمدون على " اليانصيب " فعمل الخير لا للخير ولكن طمعا فى الربح المادى ٠

(١٧) ماالسر فى هذه القسوة والجبروت ٠ فى سنة ١٤٥٥ كان البابا قد قسم العالم بين دولتى اسبانيا والبرتغال وقرر أن هاتين الدولتين لهما الحق فى استعباد من يرفض المسيحية فاستعبدت دول أوروبا من يقبل المسيحية أو يرفضها من البلاد المستعمرة ٠

ويعتقد المسيحيون أن كل مايجترحونه من السيئات مغفور لهم لأنهم يؤمنون بالمسيح الفادى المخلص الذى يغفر لهم ذنوبهم بمجرد الايمان منهم به ٠

(١٨) حملت الينا وكالات الأنباء أن خمس عدد رجال البوليس فى مدينة دنفر الأمريكية من اللصوص والمجرمين وقد ظل هذا العدد يسرق وهو يرتدى زيه الرسمى طوال الاربع عشر سنة الماضية ٠ (١)

(١٩) البيوت المالية الأمريكية تمارس لعبة خطيرة لاستنزاف أموال الدول المنتجة للبترول وتحقيق المصالح الاقتصادية لأمريكا بتصدير أكبر للسلع الأمريكية تلك اللعبة هى تخفيض سعر الدولار ٠ وفى احصائيات حديثة " خسرت بعض الدول الاسلامية

---

(١) ملحق الأهرام الأدبى ٢٠ / ١ / ١٩٦١ عن الطاقة الانسانية / احمد حسين ٠

بلايين الدولارات نتيجة خفض قيمة الدولار" (١)

(٢٠) ايداع الأرصدة فى البنوك الأجنبية يربط الدول المودعة بعلاقة غير منظورة من التبعية الاقتصادية ويعرض الأرصدة فى البنوك الأجنبية للتجميد كما حدث فى ايران.

المعونات والمساعدات الاقتصادية (١)

قد يقول قائل ان الغرب والولايات المتحدة والسوفيت يساعدون الدول المتخلفة ويقدمون لها معونات خالصة لوجه الله أو بدافع انسانى . والحقيقة أن المعونات التى تقدم للدول المتخلفة ماهى الا استغلال سياسى واستثمار اقتصادى واستنزاف لموارد الدولة التى تأخذ المعونة.

فقد تكون هذه المعونات لكسب الدعم فى الأمم المتحدة مثل مساعدات الصين الوطنية لافريقيا وقد تكون لاخضاع البلاد المعادية مثل الاشتراط الأمريكى على الهند ألا تتعامل مع كوريا الشمالية فى نظير أخذ المعونة الغذائية.

وقد تعطى المعونة لصيانة النفوذ الثقافى مثل مساعدات فرنسا لمستعمراتها القديمة السابقة. وقد تعطى الولايات المتحدة معونة عسكرية لدولة حتى تقاوم الدب الروسى ولا تقع فريسة له مثل المعونات العسكرية لكوريا الجنوبية ولفرموزا ولباكستان.

وقد تكون المساعدات لتثبيت حكومة ضعيفة ولكنها موالية مثل المساعدات التى قدمت لليونان فى أواخر الاربعينات من هذا القرن وقد تكون المساعدة للدولة المتخلفة خوفا من أن تتقدم الدول الشيوعية بمديد المساعدة لها وتؤدى هذه المساعدة الى

---

(١) ساعدنى فى كتابة هذا

وقـوع هـذه الدولة بين مخالب الدب الروسى مثل المساعدات الاقتصادية الـتى قدمتها الولايات المتحدة لجمهورية غينيا سنة ١٩٦٢ .

واذا انتعشت الدولة التى تأخذ المساعدات تلاحقها الدولة المعطية باستثمار رؤوس الأموال فيها وتزيد فى حجم صادراتها وتجنى أرباحا طائلة فالمعونات الاقتصادية الأمريكية حققت نفوذا سياسيا وكافحت الشيوعية وحققت أمن العالم الأوروبى . فالمعونات الاقتصادية لا تقدم خالصة لوجه اللـه أو من أجل الانسانيـة .

ومعونات السوفيت لا تخرج عن هـذا المعنى .

(١) فهى إما تريد أن تعطى صورة عن الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى تقف على قدم المساواة أمام الولايات المتحدة .

(٢) أو تهدف إلى نفوذ سياسى .

(٣) وإذا لم تنقلب الدولة التى تأخذ المعونة شيوعية فعلى الأقل تكون حيادية .

ففى سنة ١٩٥٩ أعلنت اتفاقية بين أفغانستان والسوفيت تعطى بموجبها أفغانستان ما يوازى ١٠٠ مليون دولار أمريكى على سبيل القرض لقاء فرض معاهدة حياد وعدم اعتداء بين الدولتين وشيئا فشيئا تتسلل الشيوعية .

(٤) عندما تتخلى الولايات المتحدة أو الغرب عن مشروع هام تتقدم السوفييت بالقروض والمعونات لاتمام هـذا المشروع مثل مشروع معمل الفولاذ فى لوكارو بالهند ومشروع سد أسوان فى مصر وبرامج كاملة لغينيا

سنة ١٩٥٨ ومن هذا النوع شراء السمك من أيسلندا بعد مقاطعة بريطانيا وشراء السكر من كوبا بعد مقاطعة الولايات المتحدة الأمريكية وشراء الأرز الفائض من سوريا وشراء فائض محصول القطن فى مصر ٠

(٥) وقد يقول قائل أن السوفييت قد موا العون للدول غير الشيوعية والتى تحارب الشيوعية مقدما فقد قدموا المعونات الاقتصادية لعبد الناصر وبن بللا وسيكو توري ونكروما ٠ والحقيقة أن السوفيت يعتبرون الديمو قراطية الثورية كنظام عبد الناصر ذات الحزب الواحد منطقة جذب للاشتراكية لأن هذا النظام الثورى يكون قد قطع نصف الطريق نحو الاشتراكية ٠

فى ١٨ / يونيو / ١٩٨٢ (١)

" اكتشف رجال اسكوتلنديارد جثة معلقة تحت جسر فى لندن وتبين فيما بعد أن صاحبها يدعى روبرتو كالفى رجل المصارف الايطالى الشهير ومدير مصرف (بنكو امبروزيانو) ذى الفروع الدولية والذى مركزه مدينة ميلانو الايطالية . وفى التحقيقات تبين أن الفاتيكان ضالع فى هذه الفضيحة المالية من خلال وزير ماليته المنسنيور مارشينكوس مدير معهد الأعمال الدينية (مصرف الفاتيكان)

وتبين أن علاقة كانت تربط بين كالفى ومارشينكوس استغلها كالفى من أجل تهريب أموال من خلال مصرف الفاتيكان المعفى من الضرائب ورقابة الدولة الايطالية وراح يستعملها من أجل توسيع نشاطات مصرفية دوليا والاتجار بالأسلحة والتعامل مع المافيا ".

" مارشينكوس ليس ذا سمعة طيبة فى أوساط الفاتيكان الداخلية وان كان يتمتع بثقة البابا يوحنا بولس الثانى العمياء ".

" والرجل الذى يتهم اليوم بأنه يتلاعب بأموال الفاتيكان هو الذى عينه البابا فى العام الماضى وزيرا لماليته من أجل أن يضبط حسن ادارة أموال دولته . ولكن الفضيحة الحالية تهدد بنزع الثقة من(مصرف الله) الذى ثبت ضلوعه فى احتيالات كالفى عندما كشف بنك ايطاليا ذلك . وتحولت الفضيحة المالية الى صراع حقيقى بين الفاتيكان والدولة الايطالية التى طلبت من البابا الوفاء بالتعهد وتسديد الديون قبل أن تحصل كارثة مصرفية فى ايطاليا . ان عدم وجود حدود جمركية بين روما وحاضرة الفاتيكان سمح (لمصرف الله) أن يلعب دورا مهما فى تهريب رؤوس الأموال بصورة غير شرعية من ايطاليا وكأن ايطاليا تعوزها الفضائح . "

---

(١) الوطن العربى السنة السادسة العدد ٢٨٧ عام ١٩٨٢ - ١٩ أغسطس

المبحث السابع

الثبات الخلقى ووسائل الاعلام الغربى المعاصر

الاذاعة

أدوات الاتصال كثيرة ماتتدفق فيها من شعب الى آخر الهمز واللمز والغمز مما يرفع درجة الكراهية والشك والريبة والشعور بالعجز والاضطهاد والاذلال ويخل بكرامة الشعوب والحكومات .

أمثلة :

اقليم السار كان خاضعا لعصبة الامم فقد اتفق فى مؤتمر السلام فى باريس سنة ١٩١٩م بعد الحرب العالمية الاولى أن تبقى الأراضى الألمانية غرب الراين منزوعة السلاح بلا جيش الى الابد واتفق على أن تحتل قوة مشتركة من الحلفاء اقليم السار لمدة خمسة عشرة عاما "١" .

وبعدها يجرى استفتاء لمعرفة رغبة الاهالى فى الانضمام الى فرنسا او المانيا ولكن هتلر أطلق محطات الإذاعة الالمانية على منطقة السار .

والمحطات الألمانية الإذاعية كانت تهدد الزعماء المعادين للنازية وتنشر فضائح ووشايات للتشويه . أما المحررون للصحف فكانت الحملات ضدهم أسوا إذا لم يأتوا طوعا أو كرها إلى الخط النازى كانوا عرضة للابتزاز او للرشوة أوللتخويف .

موجة من التسلط والتخويف .

حتى باعة الجرائد المعارضة لم يسلموا من الارهاب . وكانت نتيجة الاستفتاء

---

(١) كارى جرانت/هارولدمترى/أوروبافى القرنين ١٩ و ٢٠/كتاب مدرسى/وزارة التربية والتعليم/مصر

اكثر من ٩٠٪ إلى جانب انضمام السار إلى المانيا • (١)

النمســـــا

قبل ١٢ مارس ١٩٣٨م اطلق هتلر اذاعاته التى كانت تستهدف اذلال النمســـا وتدويخها قبل ابتلاعها كما يفعل القط مع الفار وكما يفعل الصل مع فريسته من تنويمها وشل حركتها قبل افتراسها •

استخدم الالمان الرعب والتخويف حتى تنعدم المعارضـــة •

وقالوا بأن النمسا أصبحت فريسة وضحية للشيوعيين وأنها تنحدر إلى مهـــاوى الفوضى وقالوا بأن التشيك يرسلون أسلحة الدمار للفوضويين الذين يقتلون الألمـــان فى النمسا ويريقون دماء الشعوب ويقتلون حتى نائب المقاطعة وعلى الرغم من أن هذه الحملة كذب فى كذب الا أنها نجحت بفضل تكاتف وسائل الاعـلام واضطر " شوسينـــك " إلى قبول الانذار الالمانى فى وانتال • (٢)

وفى ١٢ مارس ١٩٣٨م أرسل هتلر قواته المسلحة إلى النمسا فاحتلتها وضمتهـــا إلى ألمانيا وكان هذا استخفافا بشأن عصبة الامم وخرقا لمعاهدة فرساى التى تنـــص المادة الثمانون منها على تحريم اتحاد النمسا مع المانيا دون موافقة عصبة الامم مثال (٣)

اسبانيـــا

نشبت الحرب الاهلية الاسبانية فى يوليو ١٩٣٦م بين الحزب القومى بزعامة الجنـــرال فرانكو والجمهوريين الذين يتالفون من الحزب الليبر الى وبعض الكاثوليك والاشتراكيـــين

(١) احمد طاهر/الاذاعة والسياسة الدولية/ص ٢٢/طبعة ١/ ١٩٨٠/الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢) نفس المصدر ص ٢٣

والشيوعيين . وكان الحزب القومى يتلقى معونات من ألمانيا وايطاليا . والحزب الجمهورى يتلقى معونات من روسيا .

والذى يهمنا هو مستوى الخلق فى الاذاعة الالمانية فى ذلك الحين .

كان المذيع الالمانى يلجأ الى الشتم فيقول " ان الحمر حيوانات شرسة لا تتورع عن اتيان الجرائم وانزال الموت ويتهم المليشيا الحمراء بأنها كانت تصرف تصاريح لاغتصاب النساء وان كل تصريح يصلح لاغتصاب امرأة واحدة . وكان يضرب على وتر الرغبات الجنسية (١) وانتصر فرانكو وانتهت الحرب الاهلية الاسبانية باستسلام مدريد فى ٢٠ مارس ١٩٣٩م .

مثال (.)

تمكن موسيلينى من غزو الحبشة فى خريف ١٩٣٥م بالدبابات والطائرات والغازات السامة وتحدى خمسين أمة وقد سلمت عصبة الأمم بأنها انهزمت أمام دولة واحدة وتخلت عن تطبيق العقوبات فى منتصف عام ١٩٣٦ (٢) والذى يهمنا الاذاعة الايطالية ومدى تمسكها بالخلق . كانت الإذاعة تصور موسيلينى أنه حامى الاسلام وتصور بريطانيا بالدولة الاستعمارية المتداعية والاسطول البريطانى بانه قطع اثرية مكانها المتحف وأخذت ايطاليا توزع أجهزة الاستقبال المرصودة على المحطة الايطالية فقط بدون مقابل .

مثال (٥)

أثناء زيارة مدام كاى شيك لأمريكا ١٩٤٣ أذيع من اذاعات سرية معادية لأمريكا

---

(١) / احمد طاهر / الاذاعة والسياسة الدولية /ص ٣٢/طبعة ١/ص ٣٣/١٩٨٠/ الهيئة

والصين أن رجلا دخل محلا لبيع الجواهر فى مدينة (بالتيمور) وطلب شراء ساعة ثمنها ٥٠٠٠ دولار ٠ ولم يكن الجواهرجى يبيع بمثل هذا الثمن المرتفع ولكنه استطاع ان يجمع عددا من الساعات يبلغ ثمنها ٧٠٠٠ دولار وعندما سأله الجواهرجى عن الطريقة التى يسدد بها الثمن قال المشترى بانه سكرتير مدام شان كاى شيك وطلب منه أن يضيف الثمن خصما على معونة . عارة والتاجير ٠

" دعاية كاذبة ضد الصينيين الذين يستبيحون صرف اموال المعونات الامريكية على ملاذ هم وترفهم وكانهم غير محتاجين لهذه المعونة ٠ ودعاية مضادة لنظام المعونات الامريكية " (١) دعاية كاذبة اخرى وهى ان هتلر اشعل نار الاضطهاد العنصرى وحرق اليهود فى أفران الغاز ونفاهم ٠ والواقع انه نفاهم لغرض التجسس على مختلف الحكومات ٠ كان يدرك قدرتهم على هذا العمل لتغلغلهم وتضامنهم ولذلك نفاهم خارج المانيا بطريقة منظمة تضمن إلقاء شبكة جاسوسية على مختلف البلاد التى يريد الفوهرر أن يتجسس عليها ومن هنا نفخ جوبلز وزير الدعاية الألمانية فى تهمة الاضطهاد العنصرى التى وجهها يهود العالم إلى هتلر بدلا من نفيها أو تبريرها حتى يساعد على التستر على جواسيس النازى من اليهود الذين انتشروا فى جميع انحاء العالم ٠ كان يأتى اليهودى منهم الى البلد وعيناه دامعتان من ظلم هتلر وتحوطه البلدة بالرعاية والعطف والحقيقة أنه ذئب فى ثوب حمل جاء ليطعن البلد التى آوته بسلاح التجسس والخيانة ٠

(٢) الصحافة ٠

الصحافة الغربية والثبات الخلقى

مثال (١) فى ابريل سنة ١٩١٧ نشرت جريدة التايمز البريطانية نبا يقول " ان الالمان

---

(١) [illegible]

يستخدمون جثث القتلى من أعدائهم من الجنود والمدنيين لاطعام الحيوانات وليصنعوا منها سمادا للأرض . ولم تعرف الحقيقة لهذا النبأ الا فى ٢٥ / ١٠ / ١٩٢٥م عندما اذيع أصل الخبر وهو أن مراسلا لصحيفة بلجيكا المستقلة وهى جريدة سرية عرف ان الالمان يستغلون جثث الموتى من الحيوانات فى صنع السماد فبدلا من أن ينشر النبأ على حقيقته حرفه ليقول ان الالمان يستغلون جثث الموتى من البشر .[1]

مثال (٢)

الجنرال جاك مينو أعلن اسلامه لياًمن مقاومة المصريين للاحتلال الفرنسى وتزوج من سيدة مطلقة مصرية تدعى زبيدة وبالغ فى خداع المصريين فسمى ابنه الذى ولدته السيدة زبيدة باسم سليمان وكان يصلى التراويح فى رمضان فى المساجد . وعندما خرج الفرنسيون من مصر ترك الجنرال جاك مينو السيدة زبيدة زوجته فى احدى موانى ايطاليا فريسة للفقر والمرض حتى ماتت .[2]

مثال (٣)

فى سنة ١٩٤٢م ألقى الألمان على الجنود الانكليز تصاوير فتيات ونساء عاريات وبالقرب منهن جنود أمريكان يغازلونهن وكتبوا فى أسفل الصورة انظروا كيف يتمتع الأمريكان ويغتصبون بناتكم وزوجاتكم فى انجلترا وانتم تقاتلون وتقتلون فى جبهة القتال الغربية .[3]

مثال (٤)

فى عام ١٩٢٤ كانت الانتخابات محتدمة فى بريطانيا بين الاحزاب الثلاثة المحافظين

---

(١) د. محمد عبد الحميد/حرب بلاقتال/ص ٥٤/طبعة ١٩٧٠/١/الشركة المتحدة للنشر والتوزيع (٣) نفس المصدر ص ٩٥

والعمال والشيوعيين ــ نشرت جريدة " الديلي ميل " صورة فوتوغرافية لرسالة زعمت فيها أُنها مرسلة من (زينوفيف) الزعيم الشيوعي وموجهة الى الحزب الشيوعي البريطاني يحضه فيها على قلب نظام الحكم وكانت نتيجة تلك الوثيقة المزورة تأزم الموقف بالنسبة لحكومة حزب العمال التي كانت قد اعترفت بنظام الحكم السوفيتي قبل مدة قصيرة . وهكذا سقطت حكومة العمال من جراء تغيير اتجاه الناخبين الانكليز لمجرد اشاعة كاذبة مطبوعة في صبيحة ايام الانتخابات . (١)

مثال (٥)

يصرح الساسة الأمريكان كذبا أن أمريكا سوف لاتعتمد على النفط كمصدر للطاقة وأنها بسبيل إيجاد مصدر أهم وأن رفع سعر النفط من قبل منظمة (أوبك) سيضر بالاقتصاد العالمي .

مثال (.)

لاتكاد تخلو صحيفة بريطانية من حوادث عن الفضائح الجنسية وجرائم القتل والفساد والشذوذ الجنسي . والمادة غزيرة في المجتمع الانجليزي الذي يقر الشذوذ ولا يعترف بالمحرمات والأمثلة كثيرة فضيحة وزير الحرب البريطاني " جون بروفيمو " الذي احب المراة اللعوب (كريستين كيلر) وكاد أنه يعرض أمن بلاده للخطر .

(ب) فضيحة اللورد لامبيتون وزير الحرب البريطاني بسبب علاقته باليهودية " تورما ليفي " التي تدير شبكة دعارة بمعرفة زوجها . .

واعترف وزير الحرب بالعلاقة المحرمة مع تورماليفي وقدم استقالته ونشر في جريدة News of the World، " ١٦ فبراير ١٩٧٣م (٢)

---

(١) د. فخري الدباغ / الحرب النفسية /ص ٣٦/طبعة ١/١٩٧٩/ الجمهورية العراقية

اليهود والصحافة :

نظرة واحدة لملوك الصحافة فى العالم الرأسمالى نجدهم من اليهود والويل للصحيفة التى يغضب عليها اليهود . إن فى أيديهم إعلانات الشركات والبيوت المالية والصناعية والصحف لاتعيش بغير إعلانات . ومادامت الشركات الكبرى فى أيدى اليهود والبيوت المالية فى أيديهم فلاشك أن فى استطاعتهم توجيه الصحف أو قتلها . كان اليهود يحاولون فرض سيطرتهم على الصحافة المصرية قبل الثورة عن طريق احتكار توزيع الورق بل لقد تغلغل النفوذ الصهيونى إلى داخل الدور الصحفية ففى دار الهلال كان ديكتاتور الدار هو البيرأنكونا الصهيونى والذى اقنع مدير الدعاية الأمريكية للشرق الاوسط ان يستحضر ماكينات طباعة حديثة على بوارج حربية .

لقد بلغ من تآمر اليهود على أجهزة الفكر المصرى أن انشاوا فى وقت من دار الكاتب المصرى (١)

فى الثلاثينات كان العقاد والمازنى فى أوج مجدهما الادبى ـ وكانا يكتبان فصولا إضافية كلها إعجاب بكاتب يهودى اسمه ماكس نورداد .

" ماكس نورداد هذا كان وكيلا للجمعية الصهيونية العالمية وكان الملعون تيود ورهيرتسل رئيسها ولكننا فى مصر كنا لاندرى شيئا عما يديره الخبيث نورداد وكنا نمتدحه وهو يدبر للغدر بفلسطين " ( )

وسيطرة اليهود على مراكز القوة والمال مكنتهم من السيطرة على وسائل الإعلام .

ا ـ حاولت النيويورك تيمس وهى مؤسسة يهودية أن تخرج عن الخط الصهيونى فحرمت من الاعلانات فهبط توزيعها فعادت للخط .

ب ـ حاول مستر هندرسن المستشار الاول لشئون فلسطين بوزارة الخارجية الامريكية ان يعترض

جـ ـ كتب الفريد ليلينال الأمريكى اليهودى مقالا ضد الصهيونية فتلقى تهديدا بالقتل فى الحال (١) ٠

د ـ القى مستر أرنست بيفن بعض التصريحات ضد الهجرة اليهودية فى مجلس العموم البريطانى فرد عليه زعيم صهيونى بتصريح يقول فيه أن موقف بيفن من اليهود سيكلفه كثيرا ٠ فلا يمضى العام حتى يتوفى بيفن (١) ٠

هـ ـ امتنع جورج مارشال عن الموافقة على مشروع التقسيم فلا تلبث الصحف البريطانية أن تعلق نبأ انتحاره بالقاء نفسه من النافذة (١) ٠

و ـ امتنع ساتون اليهودى المصرى عن التعاون مع الصهيونيين غب معركة فلسطين فاغتاله اليهود فى ايطاليا سنة ١٩٥٠م ٠

ز ـ قام الاستاذ محمد علوبة بنشاط واسع ضد الصهيونية ولايكاد يصدر كتابه سنة ١٩٥٤م ضد الصهيونية حتى تعلن الصحف وفاته ٠

الدعاية اليهودية تخلق الكتاب اليهود العاديين التافهين عمالقة مثلما فعلوا مع أميل لودفيج واستيفان تسفايج (٢) بل لقد ساقوا أعظم فرية فى التاريخ صدقها الناس وهى أن معظم عظماء التاريخ يهود او من اصل يهودي ٠

فمثلا يقولون ويدعون :

ان كريستوف كولمبس	يهودى
بتهوفن	"
ليونارد دافنشى	من اصل يهودى

---

(١) فتحى الرملى/الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار/ص ٨٢/١٩٥٤/دار الشرق

(٢) د. حسين مؤنس/ [illegible]

د واكسما ن مكتشف البنسلين من اصل يهودى

موسا ن القصصى " "

كوخ مكتشف ميكروب السل " "

وفونك مكتشف الفيتامين " "

وسلك مكتشف الميكسروب والمصل والمضاد لشلل الاطفال يهودى .

مالون براند و الممثل يهودى ، (١)

أعظم الرسامين " (١)

بيكاسو من أصل يهودى ، (١)

شاى ليبتون وساعات لب ولونجين ادوية لايردش اصحابها يهود . (١)

ويتساءل الدكتور حسين مؤنس الذى اكتشف هذه الفرية يتساءل مستنكرا . أين نصيب المسيحيين فى بناء الصرح الحضارة الاوروبيــة . ويرى الدكتوور حسين مؤنس أن كبار الذين يذيعون الإلحاد وينشرونه من اليهود وبالرغم من أنهم يتمسكون بدينهــم ويعتبرونه قوام حياتهم ثم يتظاهرون أمام الناس بعدم التمسك بالدين والدليــل على ذلك أن فرويد ذلك اليهودى الذى تشعر وأنت تقرأ له أنه من أُعتى الكافريــن قال وهو على فراش الموت إنه مدين بكل شىء لعقيدته اليهودية " يتظاهرون بالكفر ويتظاهرون بالشيوعية ليزهدوا الناس فى أُديانهم ويوقعوهم فــى الكفر والإلحاد . وثمانون فى المائة من المطبوعات القذرة فى الولايات المتحدة يصدرها اليهود (٢) لأن من أهداف اليهود إشاعة الانحلال فى العالم وهدفهم الاستيــلاء

ـ د . حســين مؤنس ./كيف تفهم اليهود ص٢٩/ط١/١٩٧٨/ دار المعارف/مصر ،

(٢) " " " نفس المصدر السابق ص ١٨

على الأموال والاتجار فى الفضائح الشخصية واصطياد الجواسيس .

فى فرنسا : يدير اليهود أكبر شبكة لبيوت الدعارة وعلب الليل ومواخير الشذوذ الجنسى .

وفى أمريكا : كان اليهود على رأس العصابات التى كانت تهرب الخمور عندما كانت امريكا تحرم هذه الخمور .

وفى المغرب كان اليهود يستخدمون الجلاوى باشا برفانا لإدارة جميع بيوت البغاء .

ويفضح كتاب " لاتنشروه " من منشورات دار لونجمان وتاليف الكاتبين الانكليزيين كريستوفر ماهيور ومايكل ادامز كيف تمكنت الصهيونية من السيطرة على معظم أجهزة الاعلام البريطانية .

" وحاربت وسحقت بعض الكتاب والصحفيين من ذوى الضمائر الحية والراى العادل وحاولت طمس سياستها الاستيطانية وتشريدها لسكان فلسطين العربية " (١)

إن مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) محرمة الآن فى الغرب كله لأن فيها مساسا بالذات اليهودية " (٢)

الناشرون فى الصحف يتعاونون مع الرأسماليين على مقاومة التغيير الاجتماعى لاستمرار الوضع الراهن الذى يجعل الرأسماليين فى القمة .

فى سنة ١٩٣٣ استعمل الرأسماليون نفوذهم وأموالهم فحذفوا من الصحافة أخبار وباء الدوسنطاريا الأميبية فى شيكاغو أثناء المعرض الدولى الذى انعقد فى شيكاغو سنة ١٩٣٣

---

(١) د. فخرى الدباغ / الحرب النفسية ص ٣٣/١٩٧٩/منشورات وزارة الثقافة / الجمهورية العراقية (٢) كيف تفهم اليهود/ص ٢٥/ط١/١٩٧٨/دار المعارف/مصر

فكبار رجال الأعمال يسيطرون على الصحافة وقديكون رجال الصحافة من رجال الأعمال وغش القارىء أساسي في هذه الحالة وبخاصة في الانتخابات .

((لقد استطاعت صحافة اليابان المكبلة بالقيود من قبل السلطة اليابانية أن تخدع أمة بكاملها طيلة سنوات الحرب وحتى ساعة اعلان (الميكادو) هزيمة اليابان فقد كان ٩٩ ٪ من الشعب الياباني يعتقد أن اليابانيين قد كسبت الحرب والسبب أن الحكومة اليابانية كانت تفرض رقابة صارمة على الأخبار الصحيحة وتمد الصحف بدلها بسيل من الأكاذيب والأخبار الملفقة وهذا هو حال صحافة الدول التى تخضع لنظام حكم مطلق))(١)

((عبر أحد المسئولين في صحيفة الديلي اكسبريس بقوله ان ما يهمنا هو نشر الأخبار الشيقة لرجل الشارع حتى ولو لم تكن هامة فاذا رغب رجل الشارع في الحديث عن أزهار النرجس في الحديقة لحدثناه عنها وأعطيناه أخبار أية مجزرة بشرية . وهكذا صور لنا هذا الصحفي المسئول قيم الصحافة الحديثة التى تعتمد على اشباع رغبات القارئ ورفع مستوى التوزيع والجرى وراء الربح المادى وعدم الاحتفال بالمسئولية الاجتماعية والخلقية والسياسية))(٢)

---

(١) د . حسنين عبد القادر ـ الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ـ ١٩٥٧ ـ

(٢) د . ابراهيم امام ـ العلاقات العامة

الاعلانات : :

الإعلانات فى الصحف تقتل ملكة النقد وتخاطب الجهاز العصبى وحده ٠

فالمشروبات تلتصق بها امراة عارية حين الإعلان عنها ٠ والايماءات الجنسية تستغل فى معظم الإعلانات وأحلام اليقظة يلصقوها بإعلاناتـــهم فالسعادة فى استعمال هـــذا الشىء .. والمرض والموت والدمار فى طريق لمن يتأخر عن استعمال ذلك الشىء المعلن عنه ٠

والاعلانات بدورها تدعو الى الإسراف والاستهلاك فالانسان فى نظر رجال الأعمال مجرد مستهلك ومهمتهم إثارة رغبته فى الاستهلاك ولايهمهم صحة هذا الإنســـــان فشركات الحليب المجفف للأطفال تعلم تماما أن لبن الأم هو الأمثل لصحة الطفـــــل الجسمية والنفسية ولكن لايهم والمهم ارتفاع نسبة المبيعات من الحليب المجفف وانتـــاج الرضاعات وتصوير ذلك بصورة كلها سعادة وصحة للطفل وللأم وقس على ذلك الدخـــان والخمور والمخدرات وحبوب الهلوسة ٠

وكالات الانبـــــاء

وكالات الانباء تحاول السيطرة لتشكيل رأى عــام يساير السياسة التى تدفع لهـــا المال ٠ فوكالة رويتـــر البريطانية ووكالة الأنباء الفرنسية تحاولان إيصال وجهة النظـــر الاستعمارية مغلفة لدى المستعمرات ٠ ومراسلوا وكالات الإنباء يغريـــهم المال للعمـــل كجواسيس مزدوجين ٠

وكالات الأنباء تتسم بالانحياز وتسيء الى مصالح العالم الثالث . انها تمارس نوعا من الاستقلال الاخباري وتبرز العالم الثالث في صورة غير منصفة بل مشوهة وتغرقه بالأنباء المغرضة المنحازة المقدمة من زاوية غربية .

أخبار ومعلومات تعمل على تأكيد الاحساس بالدونية والنقص والتشويه والانحياز انه نوع من الاستعمار الاتصالي . هذه الوكالات تفرض مفاهيمها وقيمها على الشعوب النامية . ان المراسل الأجنبي ظاهرة مدمرة . يأتي الى الدولة وفي رأسه صورة يحاول أن يجد ما يبررها لا ما يغيرها . وعنده شغف الى تصوير النكسات والعجز والاضطرابات وانعدام النضج والتوترات والتصدع والتفكك والانقلابات حتى ولو كان أمامه حياة على النقيض مما في ذهنه .

ولكن الدول النامية عرفتهم فقلمت أظفارهم وألزمتهم حدودهم . وقد نجحت مصر فاشدى في توجيه النقد العنيف لهم والتشهير بهم وطرد عدد كبير منهم من الدول النامية عندما انحرفوا عن الأصالة والصدق . ان وكالات الأنباء ومعها بقية وسائل الاعلام تتحالف مع المصالح الصناعية الدولية وتنضم الى ذلك وكالات المخابرات وتبدأ لعبة الأمم . فاذا بانقلاب يحدث في تايلاند أو في أمريكا اللاتينية أو في أفريقيا ان هذه الوكالات وطنية في المقام الأول بالرغم من اطلاق النسب الدولية عليها . انها كأي شركة أوروبية أو أمريكية تعمل في الخارج ولاؤها لانتمائها الوطني . ان وكالة الأنباء الفرنسية تتلقى دعما ماليا من الحكومة الفرنسية .

ان الشخصيات القومية في خطر التزييف في العالم الثالث وتصبح عاجزة عن السيطرة الثقافية في بلادها مأسورة للنماذج الأعلامية الوافدة لاتستطيع أن تملك توجيه الرأي العام عندها . كيف لها أن تمتلك الأقمار الصناعية التي احتكرتها الدول الغنية وبالتالي كيف تصل الى المعلومات ؟؟

في عام ١٨٩٣ كانت وكالة رويتر هي التي تتحكم في الأخبار التي ترد من الولايات المتحدة والقارة الأمريكية . واشتكت الولايات المتحدة من أن الوكالة تنقل للعالم حروب الولايات المتحدة مع الهنود الحمر في الغرب ـ وتنقل جرائم الغوغاء في الجنوب وأحقر الجرائم القاتلة في الشمال (١)

---

(١) تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية ـ ترجمة فائق فهيم ص ١٨ .
الطبعة ١/مكتبة دار العلوم/الرياض

واتهمت الولايات المتحدة وكالتى رويتر وهافاس بأنهما تصوران الولايات المتحدة بلدا غارقا فى الصراعات العنصرية والعواصف والفيضانات والجريمة .

كانت وكالة رويتر فى نهاية الحرب العالمية الأولى أوسع الوكالات انتشارا حتى ان صحيفة تاجيبلات التى كانت تصدر فى برلين علقت فى سبتمبر عام ١٩١٨ على ذلك بقولها (ان وكالة رويتر أعظم وأخطر من أى أسطول أو جيش) (٢)

فى أعقاب اندلاع الحرب العالمية الثانية اختصت هافاس (٣) من نشر وتوزيع البيانات الحربية فى أمريكا الجنوبية والوسطى التى كانت منطقة محتكرة لهافاس لأن الوكالة كانت منحازة لفرنسا . فاذا كانت الولايات المتحدة وهى الدولة القوية كانت تصرخ من وكالة رويتر فكيف يكون صراخ العالم الثالث؟ الآن يتحكم فى ميدان الأخبار العالمية الوكالات الغربية الأربع الدولية وهى : الأسوشيتد برس واليونايتد برس (الولايات المتحدة) رويتر (بريطانيا) وكالة الأنباء الفرنسية (فرنسا) والوكالة الدولية الخامسة هى وكالة تاس السوفيتية . وهذه الوكالات وطنية كما قدمت بالرغم من اطلاق اسم دولية عليها وبالرغم من وجود بعض الجنسيات الأخرى كموظفين بها .

ماذا تفعل هذه الوكالات؟

(١) تحارب حركات التحرير وتطلق عليها صفة الانتماء الى الشيوعية كما يحدث فى جنوب افريقيا وروديسيا . لماذا هذا التشويه ؟

لحماية المصالح الاقتصادية والاستثمارات الغربية أو الأمريكية الموجودة فى هذه البلاد .

(٢) التعتيم الاعلامى أو الاهمال للهند لأنها لا تسير فى الخط الأمريكى ولأنها كانت مستعمرة انجليزية فكيف تسير وحدها بدون معاونة الانجليز؟ لابد أنها تتخبط ولابد أن تطلب المعونة من الانجليز ليؤمنوا مسارها ويسندوا انحرافها ويهدئوا من اضطراباتها . ونفس الفكرة توجد عن البلاد التى استقلت حديثا عن الدولة التى تنتمى اليها وكالة الأنباء أو الدولة التى غيرت مسارها الأيدلوجى فى الاتجاه المضاد .

---

(٢) و (٣) تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية - ترجمة محمد فهيم .

فقد شكا مسكر تسفاى تاديس مندوب أثيوبيا فى مؤتمر نيودلهى (١) عام ١٩٧٦ م من أن وكالات الأنباء الغربية تبرز للعالم صورة عن الفوضى وسفك الدماء والصراعات الدينية والتصدع والتفكك دون أن تقول شيئا عن النهضة الأنسانية للثورة الأثيوبية (٢) فى الخمسينات قامت وكالة الأنباء والصحافة باتهام الدكتور محمد مصدق رئيس الوزراء الايرانى بأنه مجنون ومتخلف عقليا وشنوا حملة شعواء على الرجل لماذا!!

لأنه أعلن تأميم صناعة البترول الايرانية ونجحت وكالات الأنباء والصحافة مع مساعدة عملاء المخابرات المركزية الأمريكية فى القضاء على الرجل بعد التشهير به . كل ذلك لتأمين الاستثمارات الأنجلوأمريكية (١)

ان أخطر ما يمكن أن تتصوره اذاعة الأخبار التى يمكن أن تؤثر على المجتمعات الثقافية والتى تعمل على التفرقة على أساس الدين أو العنصر أو الترويج لمعلومات كاذبة مشوهة تعكر السلام وتلهب الفتن . والغريب فى الأمر أن هذه الأخبار قد تأتى بطريقة سرية وغامضة وتصدر عن آراء لمجموعات محدودة ولكن وكالات الأنباء تعممها وكأنها الرأى العام لدولة ما . والطريقة الغامضة هى العيون والآذان الألكترونية التى تنقل وتصور ما يدور فى مدينة ما على بعد مئات الأميال من هذه العيون الألكترونية .

انهم ينقلون ما يدور فى حجرات المواطنين يتصنتون عليهم ويصورونهم بدون أن يدرى هؤلاء المواطنون انهم عارون أمام هذه العيون والآذان الألكترونية وفى الصباح تتناقل وكالات الأنباء خصوصيات الأنسان عارية عرض الحائط بالقيم والأعراف الأنسانية ومعممة ما كان خاصا ومؤججة ما كان هشيما وناسفة ما كان رمادا لم لماذا ؟ لأن دولة ما استعصت على استثماراتهم أو خرجت عن خططهم .

(لقد اجتمع وزراء اعلام اثنين وخمسين دولة من دول عدم الانحياز فى نيودلهى عاصمة الهند فى شهر يوليو عام ١٩٧٦ وأعربوا عن استيائهم الشديد ازاء نوعية ومضمون التغطية الأخبارية التى تقدمها الدول المتقدمة للدول النامية من خلال وسائل الاعلام الدولية واتخذوا قرارا بضرورة تنظيم مصادرهم الأخبارية وتكوين مجموعة خاصة بهم من وكالات الأنباء) (٢)

---

(٢) تدفق المعلومات بين الدول النامية والمتقدمة ـ ترجمة فائق فهيم [illegible]

ولذ لك يكون من الضرورى إنشاء وكالة أنباء عربية حتى تقاوم المؤمرات التى تحاك لتسميم عقولنا وتحارب التشوية الذى ينصب علينا ويستعدى العالم ضدنا لعدم وجود الإعلام العربى .

السينما

امكانيات السينما هائلة فى تأصيل الثقافة العميقة وفى تاكيد الاتجاهات الانسانية الصاعدة وفى توضيح التغير الاجتماعى المحمود . ولكن السينما تنحرف فى كثير من الحالات نحو الغرائز الهابطة والميول الشريرة والكتابات القذرة وتصوير العواطف الشريفة كمقاومة المحتلين والمغتصبين والمحتكرين تصويرا ينزع عن هؤلاء المقاومين شرف المقصد ونبل الغاية ويصفهم بأنهم قراصنة أو عملاء أو باحثين عن الذهب او مرضى نفسيا .

السينما كثيرا ماتشوه حركات التحرر فى العالم ـ واذا ظهر منتج سينمائى يصور العواطف الشريفة والخط الصاعد مع الإنسانية يتعرض للتحطيم والدمار حتى يعود للخط المرسوم . فمن الذى يرسم هذا الخط ؟

المولون للسينما :

كبريات الشركات المسيطرة على الاقتصاد الأمريكى والمتحكمة فى مقدرات أكثر من نصف شعوب الكرة الارضية مثل " جنرال اليكتريك " " وستنجهاوس " " كنت" هى التى تمتص فى الوقت نفسه صناعة السينما الأمريكية وجزءا كبيرا من غير الأمريكية . إذ تساهم

الشركات الامريكية فى إنتاج نحو ربع الأفلام المنتجة فى البلدان الرئيسية الاوروبية " فرنسا ــ ايطاليا ــ بريطانيا " (١) وتسيطر هذه الشركات الاحتكارية على دور العرض والتوزيع وعلى مضمون الفيلم . اذ . توجه الناس إلى أيدولوجية مقتبسة من الفلاسفة والمفكرين الذين يدورون فى تاكيد قيمتها وفى النظام الذى تمثله .

فهى آنا ترسم صورة للرجل المثال المتمدن وتستقطب إغراء الناس ان يتشبهوا بهذا الرجل الذى يقف على قمة الحضارة ويمثل الفردية بكل حرياتها واعتزازها .

من هو هذا الرجل المثال ؟

انه (بايرون باور) و (كارى جرانت) .

الرجل المتفوق الأنيق المرجل الشعر زير النساء ثم تطوى صورة هذا الرجل المثال لترسم صورة أخرى للإنسان متخذة من كتابات فرويد وسيلة لغمر الفردية وتصوير مصير الإنسان المعتز بفرديته . إنه ينتهى به إلى الوحدة والغربة أو الضياع فى عالم المخدرات والجنس .

إن المسيطرين على الاقتصاد العالمى يعتزون بفرديتهم ولكنهم يسلبون الافراد الآخرين هذا الاعتزاز .

كما ينشر اليهود الإلحاد والضياع . وفى الوقت ذاته يتمسكون سرا بعقيدتهم ويتشبثون بها ويعللون الخير الذى ينالونه من جراء هذا التمسك والتشبث كما أعلن فرويد ذلك وهو على فراش الموت " (٢)

---

(١) ابراهيم العريس/كتابات فى السينما / ص ٣٢/ط١/١٩٧٨/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/لبنان (٢) د.حسين مؤنس /كيف تفهم اليهود

فمضمون الافلام الفكرية الامريكية الحالى / فى معظمه يدور حول " عبثية الفردية وعبثية العاطفة وعبثية العلاقات الانسانية " وبالرغم من أن المرتكز الفكرى للغرب والولايات المتحدة الاعتزاز بالفردية للإنسان لكن الذى تمثله هذه الأفلام انسان سلبى " ضائع عاجز مخبط خائب مطارد يواجه عالم الرعب والعنف عالم الخوف الدائم عالم الانهيار الاقتصادى فى مواجهة الاحتكارات الكبرى " (١)

هذا الانسان اذا تحرك ينهار • لامجال للحب وليس من الممكن أن يشعر الناس بالسعادة مع بعضهم البعض• والحل هو الاندماج فى عالم الوحدة أو الانهيار فى عالم المخدرات أو الذوبان فى المظاهر الطبيعية الكبرى كالبحر أو الصحراء أو الاستسلام للبغى •

مظهر الأفلام تقدمى ولكنه يجثم على صدر المشاهد كالكابوس يشل كل حركة فيه للتغيير ثم يسهلون له عملية الضياع بالأفلام الجنسية العارية وتصوير الكتابات القذرة على أنها منتهى مايصبو اليه الفرد العادى • أما المثقفون الشرفاء الذين ينتفضون غضبا لمصير الإنسان المرسوم تزييفا ورجسا فان أى مشروع سينمائى يقومون به يخنق قبل ان يرى النور •

مَنْ يمول السينما هُوَ الذى يعبىء المجتمع بالأفكار التى يريد وغالبا مايبتعد عن التغيير الجذرى ويعمل كل جهده على هدهدة غرائز المشاهدين ومد أحلامهم بدون أن يوقظهم وكثيرا ماتعمل الشركات السينمائية الكبرى على الزراية بنا وتصويرنا بصورة ممسوخة " ففيلم الوصايا العشر " فيه تصوير مزرى بالعرب وثقافتهم وحياتهم بالرغم من ان الفيلم صور فى مصر سنة ١٩٥٤م والحكومة المصرية آنذاك قدمت مساعدات فنية

---

(١) ابراهيم العريس/كتابات فى السينما/ص٩٦/ط١/١٩٧٨/المؤسسة العربية

للبعثة التى قامت بإخراج الفيلم .وفيلم على بابا والاربعين حرامى مثله الممثل الفرنسى "فرنانديل" أظهر العرب فيه بصورة مزرية عبارة عن تجار رقيق أبيض ولصوص .

وفيلم (سبارتكوس) الذى صور فى القاهرة أظهر العرب على أنهم رعاع وعبيد والسينما تعتبر من أخطر الاسلحة الأيدولوجية وعن طريقها تسربت الينا الافكار المسمومة مثلا الفيلم العالمى " القناع " (١)

المخرج انجماربرجمان إنتاج سويدى سنة ١٩٦٦ قام بالتمثيل فيه بيبى أندرسون وليف أولمان نجد فى هذا الفيلم " الممرضة إلما وهى تتحدث عن أحزانها العاطفية ومشاكلها تعانق مريضتها إليزابيث فى شبق جنسى يدفعها إلى ممارسة الجنس معها ويظهر الشذوذ فى الفيلم بصورة واضحة . (٢)

أما الافلام العربية فقد سارت فى الخط نفسه فاذا كان الممول للفيلم تاجرا فانه يبحث عن الربح ولايحقق له الربح إلا الافلام التى تصور ممارسة الجنس أو دغدغة العواطف الجنسية والتخلى عن الالتزام الخلقى .

مثل " خلى بالك من زوزو " - "أين عمرى " أما إذا كان الممول الحكومة أو منتج يسير فى ركاب الحكومة خوفا من الرقابة فغالبا مايكون الفيلم بعيدا عن الأفكار التى تحاول الحكومة تثبيتها بل تمجيدا لهذه الافكار التى تنصب الحكومة نفسها لاقامتها وصيانتها وعدم المساس بها .

والارتباط العربى بأوروبا أو روسيا ارتباطا أيدولوجيا يلون الأفلام باللون الأيدولوجى لهذه الدولة أو تلك .

المسرح :

يقول د . . الطاهر حسين دفع الله - رئيس قسم الدراسات

المسرحية والنقدية بمعهد المسرح بالخرطوم إن المسرح هو عبارة عن وسيلة اعلامية محايدة يمكن استخدامها فى سبيل الخير كما يمكن توجيهها نحو النشر كما انه وسيلة تربوية فعالة توثر فى المجتمع . (١)

وللمسرح تاريخ بدأ عند الاغريق بمفهوم القضاء والقدر والقدر عندهم معناه الصراع بين الانسان والألهة . (٢)

والاسلام يرفض هذا المفهوم ويلتفت عن كل التراث المسرحى الاغريقى (٢٠) ، والمسرح عند الرأسماليين كمسرح شكسبير أو برنارد شو يفصل الدين عن السياسة والعلاقة بين الإنسان والإنسان علاقة صراع بين غالب ومغلوب وعلى المغلوب التظهر من انفعالات الحقد والاستسلام للغاليب والإسلام يرفض هذا المفهوم . (٢٠)

فالإسلام متكامل دين ودولة والعلاقة بين الانسان والانسان علاقة سلام ومؤاخاه والمسرح الاشتراكى أو الشيوعى مثل مسرح برشت يقوم على الإلحاد الكامل ويرفض مفهوم القضاء والقدر كلية فالانسان فى رأيه هو الذى يصنع أقداره وهو الذى يحدد مصيره عن طريق الصراع بين الانسان والانسان .

وهذا الرأى مرفوض فى الاسلام . فلاصراع بين قضاء الله وقدره وارادة الانسان بل استسلام كامل لله فيما أراد . والمهم أن نفهم ارادة الله فهما صحيحا . والصراع الذى يوافق عليه الاسلام هو الصراع بين الانسان ونفسه الامارة بالسوء " (٢٠)

الكتب

اليهود : اليهود لايغفرون للمسلمين انهم كشفوا زيفهم وتشويههم للتوراه " يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون انه من عند الله "

المسيحيون : لايغفرون للمسلمين أنهم استقطبوا البشر حول رسالة الاسلام ويعبر عن

ذلك المستشرق الامير الايطالى ليون كايتانى " ١٨٦٩ ــ ١٩٢٦" الذى اعطانا الهدف الحقيقى من بذله الاموال الطائلة على طبع كتاب " حوليات الاسلام " هذا الهدف يعلنه بقوله " إنه إنما يريد أن يفهم من علمه ذلك سر المصيبة الإسلامية التى انتزعت من الدين المسيحى ملايين من الأتباع فى شتى أنحاء العالم مايزالون يدينون برسالة محمد ويؤمنون به نبيا و رسولا " (١)

كتابه مثل هذه تكون صادرة عن حقد وتعصب ورغبة فى التشوية لايمكن ان نجد عند أمثال هذا المستشرق رغبة صادقة فى الوصول إلى الحقيقة • ومعظم المستشرقين يدفعهم مثل هذا الغرض الخبيث ثم تعاون الاستعمار الذى يستكثر ما أنعم الله علينا من خيرات كالبترول والصليبية الحاقدة والصهيونية الموتورة للاستيلاء على أرضنا ولمحاولة تقويض الحضارة الإسلامية ورمونا بالديمقراطية والشيوعية والقومية والفلسفات المعادية للإسلام كالوجودية والفوضية والماسونية والبابية والبهائية والأحمدية ولكل نحلة من هذه النحل وكل مذهب من هذه المذاهب آلاف الكتب التى لايقصد منها إلا إجهاض ذاتية العربى وتذويب شخصية الأمة كلها عن طريق التغلغل فى اجهزة التربية والتعليم وتشوية الصفوة الممتازة من القيادات الدينية والاجتماعية وتكوين العملاء فى الفكر وفرضهم قادة على الأمم الإسلامية وشراء أجهزة الإعلام لتمجد فيها وتلهج بالمديح والثناء على آثارها الفكرية مهما كانت تافهة • والتشكيك فى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وتخريب ثقافتنا الإسلامية بطمس معالم الدين وتحريفه وتشويهه والبديل ان نصبح أتباعا لهم امعات لاجذور حضارية لنا حتى (لانحرث فى البحر) وحتى لايكتسحنا الطوفان

---

(١) عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض حاضر ص ٥٤/طبعة ١٩٦٨/١/ معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة

كأنهم هم يعيشون بلامشاكل وأمنون من الطوفان ولايحرثون فى البحر ومجتمعاتهم تطفح بالجريمة والتلوث والانتحار والمخدرات والامراض والجنون والفتن والعنصرية والقومية والفراغ الروحى والهوس الجنسى والانسان عندهم محبط سلبى خائف وقلق ضائع وأولى بهم أن يلتمسوا الهداية من ديننا ويسترشدوا بمنهج الله إن كانوا يعقلون أما كتبهم العلمية فهم يبخلون بها والتخصصات النادرة لايسمحون لعربى ان يدرسها فى جامعاتهم واذا تفوق عربى فى دراسة الذرة او أى فرع من الفروع الدقيقة بحكم عبقريته فانهم يقتلونه بسبق الاصرار ٠

المبحث الثامن

لماذا ينحرف اعلام أوروبا وأمريكا عن الخلق

لماذا ينحرف الأعلام من اتصال يعرض الحقائق وينير السبيل ويعيد التنظيم المعرفى فى مدلولات واضحة دقيقة تقوم على الوقائع الموضوعية وتزيل الخرافات والضلالات والأوهام وترسى دعائم الثبات الخلقى وتعدل المعتقدات والادراكات فى اطار الخير والعدل والحق . لماذا ينحرف الأعلام من تفجير للطاقات الخلاقة داخل الأنسان ليبنى ويعمر ويهيئ لنفسه أسباب العزة والقوة والمتعة .

لماذا ينحرف الأعلام من اعلام يتخذ من توجيه الله الذى يعلم الخبء فى السموات والأرض والذى خلق الأنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب اليه من حبل الوريد . اعلام هدفه الاتكون فتنة ويكون الدين لله . اعلام ينطق بكلمة الله وكلمة الله هى العليا .

لماذا يتغير هذا الأعلام عند أوروبا وأمريكا الى نوع من الاتصال يخدم الفساد ويؤكد الأحباط ويخلق الأحساس بالامتهان تجاه المدافعين عن انسانيتهم ويفسد الضمائر عند الزائدين عن حريتهم ، ويصيب الجماهير بالعجز والاضطراب والتصدع والتفكك والانقلابات ويعوق النمو الفكرى والاجتماعى والنضج السياسى مستعينا بالحيلة والخداع والدهاء واستغلال العواطف ومواضع النقص البشرى فى النفس الأنسانية ليستطيع أن يملى ارادته ويشحن الجماهير بمعتقدات وهمية تسرى فى الغلاف البشرى كما يسرى السم فى الدم والخلايا .

لماذا ينحرف الأعلام عند أوروبا وأمريكا الى نوع من الاتصال يفجر الصراعات ويشوه الرغبات ويزيف الأرادات ويحول الشعوب الى سلع تباع وتشترى ؟

فى رأيى أن انحراف اعلام أوروبا وأمريكا عن الخلق يرجع للأسباب الآتية :

(١) الغنى والفقر :

أوروبا والولايات المتحدة يقولون (ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) (وزين لهم حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة)

والمسيحيون منهم يؤمنون بأن المسيح هو الفادى وهو يغفر لهم ذنوبهم سواء تابوا أم لم يتوبوا ولو بلغت عنان السماء ما داموا يؤمنون به . والملحدون لا يؤمنون بشئ والقيم عندهم خرافة والدين مخدر .

والعالم الآن مقسم الى عالم أول يمثل البلدان الغنية الرأسمالية وعالم ثان يمثل البلدان الشيوعية وعالم ثالث يمثل البلدان الفقيرة ، وعالم رابع يمثل البلدان الأشد فقرا التى يصل متوسط دخل الفرد فيها الى أقل من مائة دولار فى السنة فى حين أن متوسط دخل الفرد فى البلدان الغنية يصل الى ٣٦٠٠ دولار فى السنة الدول ذات الدخل المنخفض والكثافة السكانية المنخفضة هى : الكنغو ليوبولد فيل / البرازيل / اكوادور / كينيا / بيرو .. والدول ذات الدخل المنخفض والكثافة السكانية المرتفعة هى الهند / أندونيسيا / الفلبين / مصر / الصين / اليونان . الدول ذات الدخل المرتفع والكثافة المرتفعة بلجيكا / سويسرا / المملكة المتحدة الدول ذات الدخل المرتفع والكثافة المنخفضة هى استراليا / نيوزيلندة / كندا / النرويج / الولايات المتحدة .(١)

الدول الغنية تريد أن تزداد غنى ولو على حساب الدول الفقيرة فتسعى الى تصريف انتاجها فى أسواق العالم الثالث . وتحرص هذه الدول على أن تعتمد البلاد الفقيرة على محصول واحد أو أكثر مما يدفع مصانع المستعمر للانتاج وهذا المحصول الذى تعتمد عليه مصانعها لا يسهم فى تغذية الشعب أو نموه وانما يخصص لمصانع المستعمر فجواتيمالا تزرع الموز

ومصر القطن .

وكولومبيا البن .

والجزائر الكروم .

ولكن ما الدور الذى تلعبه أجهزة الأعلام فى كل هذا .. ولنأخذ مصر مثالا ... تعلن أجهزة الأعلام أن مصر بلد زراعى ويؤكدون هذا المعنى فى تربية النشء وفى الصحافة وعلى كل منبر اعلامى .. تكرر أجهزة الأعلام هذا المعتقد بهدف تكوين اتجاه سلوكى عند الشعب باتخاذ مهنة الزراعة كحرفة أساسية وتمهد هذه الأجهزة بتعديل الادراكات والحاجات النفسية حتى لايصدم الشعب حينما تغلق الدولة المستعمرة مصانعه وتجعله يعتمد على مصانع الدولة المستعمرة . انه

---

(١) الأعلام والتنمية د . محمد سيد محمد ص ٢٠٠ ط طبعة ١٩٧٩/١ أ/دار المعارف/مصر

تخطيط اعلامي يجعل الشعب يتخلى عن أفكاره ويكتسب أفكارا أخرى عن طريق الخداع والتمويه والتزييف والكذب والدهاء.

ولما كانت كل وسائل الاتصال في يد المستعمر وأعوانه فلا يستطيع مفكرو الشعب أن يعبروا عن رأيهم عن طريق وسائل الاتصال للرقابة الشديدة على هذه الوسائل بحجة المحافظة على الأمن . واذا غلا مرجل الحركات التحررية فانهم يطلقون على هذا المرجل خراطيم الماء البارد فيقع الشعب صريع الانهزام النفسي والشلل المعنوى .

ولكن الشعوب الغنية لا تسمح للشعوب الفقيرة بالانهيار التام ـ لو فعلت ذلك لا تجد سلعها سوقا واذا وجدت سوقا لا تجد مشتريا . من هنا تقدم الدول الغنية القروض والمساعدات للدول الفقيرة ولكنها مساعدات مسمومة .... مساعدات ثمنها :

(١) أن تكون الدولة الفقيرة بوقا للدولة الغنية المساعدة .

(٢) أن تصبح الدولة الفقيرة قطعة شطرنج تحركها الدولة المساعدة كما تشاء في أحلاف أوتكتلات .

(٣) تستطيع الدولة المساعدة أن تسقط حكومات الدول الفقيرة تحت ضغط المساعدات الاقتصادية .

(٤) أيسر ما تطلبه الدولة المساعدة الغنية أن تقيم قواعدها الاستراتيجية في أرض الدولة الفقيرة .

(٥) تضغط الدولة الغنية على الدولة الفقيرة في ظل المساعدات الاقتصادية التى تقدمها لها فتجعلها تعتدى على بعض الدول الأخرى وتزيف لها من منطق الدعاية مبررا لذلك ، أما اذا كان في أرض الدولة الفقيرة بترول أو يورانيوم فان الدولة الغنية تحاول احكام السيطرة على استثمارات البترول واذا أحست الدول صاحبة البترول مثلا بحقها في بترولها وحاولت استرداد حقوقها كاملة تبدأ الحملة الاعلامية .

(١) التهديد باحتلال مناطق البترول وتتعاون وسائل الاعلام الـ... ـى تبرير هذا العدوان بالأسلوب الآتى :

(أ) انعدام الوقود للتدفئة .

(ب) اغلاق الكثير من المؤسسات والمصانع للعجز في ايجاد البترول .

(ج) اختلال حركة القطارات ووسائل النقل .

(د) ضرورة اغلاق المدارس أربعة أيام فى الأسبوع لتوفير الطاقة •

(هـ) الدول التى تملك البترول ليست عندها مصانع تستهلك هذا البترول ثم يصلون الى النتيجة النهائية بسرعة • ••• لابد من احتلال مناطق البترول وبذلك يعدون المواطن الأوروبى والأمريكى اعدادا نفسيا لاعلان الحرب على الدول النامية التى تملك البترول ويظل الأعلام الارهابى يدمدم بمراكينه المكظومة حتى تحل الأزمة •

[illegible]

(أ) كل دولة تحاول أن توسع مناطق سيطرتها دوليا • فالولايات المتحدة ملكت زمام ساسة كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا وتايلاند فى (١) الخمسينات مقابل مساعدات وهبات مالية لبعض الساسة والقادة العسكريين فى هذه البلاد ، وبذلك كانت هذه البلاد تردد ما تنطق به أجهزة الأعلام الأمريكية وتندفع السياسة السوفيتية فى منافسة الولايات المتحدة سعيا وراء التوسع والذى يقع صريعا لهذا التنافس هى الدولة المتنازع عليها • فمثلا الولايات المتحدة بمساعداتها الاقتصادية انجذب لها جزء كبيرمن الشعب فى(لاوس) فى الخمسينات ووضع هذا الجزء اعلاميا فى صندوق الدعاية الأمريكية ولم تسترح السياسة السوفيتية لهذا الانتماء الأمريكى فى لاوس فأنشأت حركة (الباسيت لاو) فى لاوس وساهمت بذلك الضغوط الأمريكية والسوفيتية فى الاعتداء على سيادة شعب وحريته وتزييف ارادته وتمزيقه فكريا بوسائل الدعاية • وفى عام ١٩٥٨ فازت جماعة (الباسف لاو) (٢) الشيوعية فى الانتخابات بثلاثة عشر مقعدا من أصل ٢١ • فأعلنت الولايات المتحدة عن وقف مساعداتها الاقتصادية للاوس •

(ب) شركة جنرال الكتريك كومبانى كانت تساهم فى فرض آراء الولايات المتحدة السياسية فى نظير أموال طائلة عن طريق الأعلانات (٣)

(أ) لجأ جوبلر (٣) وزير الدعاية فى ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية إلى تكليف بعض الألمان بالوصول إلى مكان الاحتفالات والمؤتمرات التى كان يقيمها الحلفاء ووضع قصاصات ورق فى جيوب المعاطف الشتوية للمحتفلين أوالمؤتمرين وهذه الأوراق فيها تهديد لكل صاحب معطف بالقتل أوالخطف أوالمحاكمة مع كتابة اسم الفرد صاحب المعطف فى هذه القصاصة • ان مثل هذه الأجراءات كانت تجعل المؤتمرين من دول الأعداء فى خوف دائم وذهول معطل وآمال ذاوية

(ب) (حدث أن خلا عرش أسبانيا وأعلنت ألمانيا عن ترشيح أمير من أسرة هوهنز ولرن لهذا المنصب وهذا ما أثار فرنسا لأنها لم تكن تستسيغ أن ترى

التى خلفها ذلك الترشيح هو سحب هذا الترشيح من أساسه وتمت مقابلة بين وليام ملك بروسيا وسفير فرنسا وفى هذه المقابلة قال الملك للسفير (انه لم يعد هناك موضوع للحديث بينهما ما دام ترشيح الأمير قد سحب) وهذا يعنى أن الحرب بين البلدين لايمكن أن تحدث بعد هذا الانسحاب ولكن بسمارك أمسك قلما وحذف العبارة الأخيرة من البرقية الخاصة بالانسحاب من الترشيح لعرش أسبانيا ولم يستبق الا الجزء الأول ...وهو ...قال الملك للسفير الفرنسى : انه لم يعد هناك موضوع للحديث بينهما • ومن الطبيعى أن نشر هذه البرقية على هذا الشكل المبتور فى الصحف الألمانية اهانة صريحة موجهة الى فرنسا كلها • ثم نشرتها الصحف العالمية) (١) ودقت طبول الحرب بين برسيا وفرنسا •

(جـ) أهاب أربعة من الشعراء الأمريكيين (٢) فى الشرق الأوسط بالرئيس ترومان أن يتمسك بتأكيدات روزفلت للعرب • فقال(أنا آسف أيها السادة ولكننى مسؤول أمام مئات الآلاف الذين يتلهفون على نجاح الصهيونية فليس فى دائرتى الانتخابية مئات الآلاف من العرب)

الشعوب التى تقع فى براثين الاستعمار أو فى دائرة التوازن الدولى قد تستعصى على المستعمرين أو المستغلين فتبدأ وسائل اعلام الدول القوية تعمل على نزع الدولة المستعصية من أصولها الثقافية بابرازها فى صورة مشوهة وتعمل على تأكيد الأحساس بالدونية والنقص والعجز والتصدع والتفكك •

فاذا كان الدين هو القوة التى تمسك الشعب أن يضيع أو يذوب فان الدولة المستغلة تسلط علماءها على دراسة هذا الدين بغية التشكيك فيه والتشهير به وتطلق تيار المعلومات الكاذبة والأفكار الوهمية لتصيب صمود هذا الشعب فى الصميم • وتظل محاولة تحويل الرأى العام الى معتقدات تعرقل نمو هذا الشعب وتعطل تفكيره •

وتنقسم الجماهير على نفسها طائفيا واقليميا وثقافيا وتذهب ريح الجماهير وتصبح كالريشة فى مهب الريح لا تعرف لها مأوى ولاتستريح •

---

(١) د• أنور السباعى / ص ١٧٦ / التخطيط الأعلامى السياسى

(٢) // // // ص ٤٩ // //

الباب الثالث

الثبات الخلقى والاعلام المعاصر

في البلاد الاسلامية واتخذت مصر مثالا

ـ الاعلام فى البلاد العربية

واتخذ مصر مثالا لهذا الإعلام.

الإعلام فى البلاد العربية مزيج من الإعلام الاسلامى والاعلام الغربى ـ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.

وليست كل البلاد العربية مثل مصر فهناك بلاد عربية كان حجم الاعلام الغربى (١) عندها قليل ولكنه موجود.

لنبحث عن الثبات الخلقى فى الإعلام المعاصر فى مصر: النفوذ الفرنسى حاول التسلل إلى مصر فزين لمحمد على باشا أن يرسل البعوث إلى فرنسا لاستكمال كوادره من العلماء والأطباء والقادة العسكريين. وكان هدف فرنسا أن تبذر بذور الحضارة الفرنسية فى مصر تمهيدا لنزع جذورها الحضارية ووضع رقبتها فى حبل التبعية الفرنسية. وظل تيار الغزو يتدفق حتى كان الخديوى اسماعيل الذى تعلم فى فرنسا شيئا من التعليم القاصر الذى لايدع صاحبه يحكم على الأمور حكما صائبا. استدعى على عجل ليحكم مصر بعد أن انبهر بحضارة فرنسا وقد وعدوه بالتأييد فى الانفصال عن الدولة العثمانية إذا هو عزم على أن ينشر الحضارة الأوروبية (١) فى بلاده. فيفصل الخلق عن السياسة وعن المال وعن المرأة ويجعل الدين بعيدا عن الدولة وبذلك يجعل مصر قطعة من أوروبا ـ ووسوست له أوروبا أن يبنى دارا للأوبرا يستقدم لها المغنيين والمغنيات والموسيقيين من أوروبا وأن يبنى قصرا

في حفل واحد عند افتتاح قناة السويس . ووصلت ديون مصر في آخر حكمه [1] الى ٩٥ مليون جنيه انتهت هذه الديون بالافلاس والتدخل الأجنبي ونشأت المحاكم القنصلية تمثل [1] سبع عشرة دولة كانت تتمتع بالامتيازات في مصر وحول اسماعيل المحاكم القنصلية إلى المحاكم المختلطة واستجلب القانون الفرنسي [1] ليكون شريعة للمتحاكمين وأنشأ أول مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي .

وبعد سبع سنوات من استجلاب القانون الفرنسي احتل الانجليز مصر سنة ١٨٨٢ ومثلما فعل الانجليز في الهند من الغاء القوانين الإسلامية ويستبدلون بها قوانين وضعية حتى تم الالغاء شيئا فشيئا في أواسط القرن ١٩ . ولم يبق الاقوانين الأحوال الشخصية التي تختص بمسائل الزواج والطلاق والميراث.

ومثلما فعلوا في السودان من تغيير الشريعة الإسلامية ووضع قوانين جديدة كقانون العقوبات رقم ١١ / ١٨٩٩ وقد أخذ أساسا من قانون العقوبات الذي وضعه الانجليز للهند سنة ١٨٦٠م.

ومثلما فعلوا في باكستان وسيلان وبورما والملايو وسنغافورة وعدن وحكومات الخليج العربي من تغيير القوانين الإسلامية إلى قانون العقوبات الهندي مثلما فعلوا ذلك أقدموا على قصر القضاء الشرعي الإسلامي على ماسمى بالأحوال الشخصية في مصر أما بقية المعاملات فقد أحالوها الى القانون الفرنسي المطبق في المحاكم المختلطة ترجموه بنصه وجعلوه أساسا لمحاكم أسموها المحاكم الأهلية [2] ـ والأهلية منها براء أما المحاكم الشرعية فتختص بالأحوال الشخصية وتم إلغاء الشريعة الإسلامية بصفتها المتكاملة الموحدة بعد أن ظلت أكثر من ألف سنة [2] تلبي حاجات المجتمعات

---

(١) . عبد الستار سعيد / الغزو الفكري / ص ١٠٦/ط١/١٩٧٧/د.م .

وألغيت الشريعة الاسلامية فى تونس ولبنان وسوريا والأردن والعراق والمغرب

(حيث صدر " الظهير البربرى " لعزل مسلمى البربر عن الاسلام)

وفى الجزائر . " إن الغزاة شرعوا فى انشاء جيل مجانس لهم فى الثقافة ليسهل

عليهم الاتصال به والتفاهم معه "

وبدأ الغزو .

افتتحت السينما لأول مرة فى بالقاهرة سنة ١٨٩٦ (١) والخمارات فى كل مكان

حتى فى الريف وفتحت دور البغاء المرخص لها من الحكومة فى كل العواصم وبدأت

المسارح والملاهى تسخر من قيم البلاد وتسهل التلبيس تحت نقر الدفوف وعواء

الراقصات ــ وأخذ العملاء يؤلفون للمسرح والملاهى ــ بما يوحى بالتندر على

اللغة العربية وعلى أساتذة الدين لينفض الناس عن أصولهم ويمزقوا الوشيجة التى

تربطهم بتراثهم " وانتقلت الثروة عبر المراقص والخمارات وغانيات أوروبا وصناعات أوروبا

الى أيدى الكفار "

وشرع فى يد دنلوب القس الانجليزى تخطيط سياسة التعليم فضغط مناهج الدين

والتاريخ الإسلامى وغير لغة الدراسة إلى الإنجليزية . وأُنشئت كلية الآداب فى

مصر واستقدموا لها المستشرقين وأصبحت كلية الآداب مركزا للغزو الفكرى

حيث يدرس الدارسون فيها تيارات الفكر الغربى ومذاهبه وفتح النوافذ لنقد

تراثنا والسخرية منه باسم حرية الفكر واستغلال الجامعة ومناهج البحث والشك

واليقين والوعى الفكرى .

وابتعث إلى أوروبا انضج العقول المصرية فغسلوها وشحنوها بما يريدون ووعدوهم

بعرض الدنيا الزائل .

والكلية الأخرى التى كانت أداة فى يد المستعمر لتمزيق وحدة الأمة الاسلامية فى مصر كانت كلية الحقوق أسسها "الغر اسماعيل" فى فترة حكمه لمصر (١٨٦٣ ــ ١٨٧١) لدراسة القانون كما يدرس فى فرنسا ثم أصبحت كلية الحقوق الحالية وضيعت علينا هذه الكلية الطاقات الفكرية العظيمة لشبابنا الأفذاذ فبدلا من الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية اجتهدوا فى القانون الفرنسى وتصدع بنياننا التشريعى فدراسة الشريعة فى كلية الحقوق لاتتعدى محاضرتين فقط بينما توجد عشرون محاضرة فى الأسبوع للقوانين الأوروبية وبدأت السموم تسرى فى مصر.

وبدأ الشعب المصرى المسلم يفرز المضادات الحيوية ليتلافى فتك السموم.

وظهر محمد عبده (١٣٢٣ ــ ١٩٠٥) ليقيم صالحه بين الأنف العصى الذى ذل والصولجان الفتى الذى انكسر والجبهة العالية التى تعفرت بالتراب ــ بين الشعب المغلوب على أمره والحضارة الأوروبية الجاثمة فوق صدره فأنشأ صيغة متوازنة بين قيم الإسلام والحضارة الأوروبية الجديدة. وأوضح أن الاسلام صالح لجميع العصور وأن العيب يكمن فى تقاعس المسلمين ودسائس الأجانب فالاسلام يرتكز على ركائز العقل وينكر التواكل والخمول وينادى بالحرية ولا بد من بعث الاسلام من جديد بالرجوع إلى نهج السلف الصالح وفتح باب الاجتهاد.

والاستاذ محمد عبده تلميذ الشيخ جمال الدين الأفغانى وعن الأستاذ محمد عبده أخذ الشيخ محمد رشيد رضا وكان هذا مجمل مابسطوه من آراء.

لقد حاول الشيخ محمد عبدة أن يلائم بين التعاليم الإسلامية وروح العصر وبغض النظر عن مدى هذه الملاءمة من الصحة فانه ثبت النفوس التى أرعجها تحكم الكفار فى المسلمين وأنحى بالائمة على المسلمين حتى لا يعلقوا على الدين الاسلامى تخلفهم ويصدقوا المبشرين والمستشرقين وأصلح الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية ولكن السموم بدأت تسرى وظهر قاسم أمين (١٨٦٥ — ١٩٠٨) كردى الأصل ولد بمصر ودرس الحقوق بها ثم أكمل دراسة الحقوق فى مونتليه بفرنسا • وعين بعد عودته إلى مصر وكيلا للنائب العام بالمحكمة المختلطة ثم مستشارا بمحكمة الاستئناف • ودعا إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال ومساواتها بهم •

ألف كتابين "تحرير المرأة" ، "المرأة الجديدة" والكتابان يدعوان المرأة الى التمرد والثورة على الحجاب وعدم المساواة بالرجل وتحطيم قوامة الرجل على المرأة • وعرض كتابيه على الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وأحمد لطفى السيد فوافقوه على قوله • (١) وما أن ظهر الكتاب الأول حتى انتفض الشعب يفرز مضاد الحيوية ضد السموم المستوردة وأصدر الشعب أربعين كتابا للرد على قاسم أمين منها " الجليس الأنيس فى التحذير عما فى تحرير المرأة من التلبيس" " السنة والكتاب فى حكم التربية والحجاب" " الدفع المتين فى الرد على قاسم أمين" و••• و•••

وتطورت فكرة قاسم أمين الى مفاهيم زائفة ظهرت فى مجال الرقص والغناء والمسرح والقصص المكشوفة ومسابقات الجمال وقصص الجنس والأزياء والاغراء والسينما والأدب والفن وعملت كل هذه العناصر على تدمير الأخلاق والأسرة وانهيار سلطتها •

(١) بدأ قاسم أمين فى النصف الأول من عام ١٨٩٩ فى نشر سلسلة مقالات فى صحيفة المؤيد تحت عنوان تحرير المرأة • هاجم فيه قاسم أمين تعدد الزوجات حيث اعتبره يشكل (احتقارا شديدا للمرأة لأنك لاتجد امرأة ترضى أن تشاركها فى زوجها امرأة أخرى كما انك لا تجد رجلا يقبل أن يشاركه غيره فى محبته امرأته) المؤيد ٥ يونيو ١٨٩٩ (١)

ويعرض الكاتب أيضا لقضية الطلاق فيقترح أن تضع الحكومة نظاما للطلاق ينص على أن لايتم الطلاق الا أمام القاضى – المؤيد – ٧ يونيو ١٨٩٩

ويرى أن المرأة لن تنال ما تستحق من الاعتبار والكرامة الا اذا منحت حق الطلاق • وقوبلت مقالات قاسم أمين برد فعل عنيف من الرأى العام المصرى •

استنكر الشيخ البولاقى (٢) من علماء الأزهر الشريف دعوة قاسم أمين وكتب سلسلة مقالات نشرتها المؤيد تحت عنوان (أنيس الجليس فى التحذير عما فى تحرير المرأة من التلبيس) المؤيد ١٦ / ١٠ / ١٨٩٩ وفند الشيخ البولاقى دعوة قاسم أمين الى السفور وازالة الحجاب مستشهدا على فساد رأى قاسم أمين بعدد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية • (٣)

وظهر فى المؤيد مقال يؤكد فيه كاتبه الدكتور محمد توفيق صدقى أن الحجاب ضار بالنساء – المؤيد ١٧ سبتمبر عام ١٩١٠ • ويكتب محمد فريد وجدى فى صحيفة الدستور احدى صحف الحزب الوطنى مطالبا باصلاح حال المرأة ٢٠يونيو عام ١٩١٨ (٤)

ويكتب الدكتور نجيب قناوى فى صحيفة وادى النيل احدى صحف الحزب الوطنى مهاجما الحجاب فى ٣٠ مايو عام ١٩٠٨ م (٥) وينتقد عبد القادر حمزة فى صحيفة الأهالى ظاهرة تعدد الزوجات ١٦ يناير عام ١٩١١ • وتكتب باحثة البادية / زنبوية موسى / وسلمى طنوس / وملكة سعد فى اتجاه قاسم أمين •

واصدر قاسم أمين كتابه الثانى (المرأة الجديدة) فى ١٩٠١ وتعرض قاسم أمين الى حملات عنيفة والى صنوف من التشهير •

---

(١) كتاب الدكتور فاروق أبوزيد – أزمة الديموقراطية فى الصحافة المصرية ص ١٦٤

(٢) نفس المصدر ص ١٦٤
(٣) // // ص ١٦٦
(٤) // // ص ١٦٨
(٥) // // ص ١٧٠

الامر فى قاسم امين أنه ليس ثابت الرأى ليس ثابت الخلق فقد ظهر كتاب للدوق (داركير) يطعن المصريين ويخص نساءهم بالجهل ويعيب على النساء الحجاب. فنهض قاسم أمين ورفع من شأن الحجاب وهاجم السفور وكانت الاميرة نازلى فاضل لها صالون يؤمه سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامعين الى تولى السلطة فى مصر اعتمادا على النفوذ البريطانى ورعاية اللورد كرومر وأحست الاميرة نازلى التى كانت تمثل النهضة النسائية فى رد قاسم أمين تعريضا بها وكشفت عن تورتها للشيخ محمد عبده الذى قام بدوره مع سعد زغلول والمويليجى باقناع قاسم أمين بالاعتذار لسمو الاميرة فقبلت الاميرة اعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها ووضع كتابه (تحرير المرأة)(١).

هل كان قاسم أمين صاحب رأى وفكرة أم كان بوقا للورد كرومر ؟

وفى عام ١٨٩٤ ظهر كتاب لمحام مصرى(٢) موال لكرومر تحت عنوان (المرأة والشرق) دعا فيه الى :

(١) القضاء على الحجاب .

(٢) اباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالاجانب عنها .

(٣) تقييد الطلاق الا امام القاضى .

(٤) منع الزواج بأكثر من واحدة .

(٥) اباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

هل كان يقدر قاسم أمين أن دعوته ستنتهى الى جرأة المرأة المعاصرة المسلمة الى الاصرار على :

(١) رفع ولاية الرجل عنها فى عقد الزواج بكرا أو ثيبا(٢)

(٢) المساواة فى حق الطلاق .(٢)

(٣) المساواة فى حق الميراث . (٢)

(٤) اسقاط حق الرجل فى تعدد الزوجات والجمع بينهن فى حياة زوجية واحدة .(٢)

---

(١) انور الجندى / رجال اختلف فى الرأى فيهم / ص ٢٨ / دار الانصار/ مصر .

(٢) د. محمد البهى / الاسلام واتجاه المرأة المسلمة / ص ١٣ / دار الاعتصام .

وعلت المضادات الحيوية عليها وأصبح قاسم أمين منبوذا وانفض عنه من وافقوه على كتابه . ومات كمدا فى الثالثة والأربعين من عمره . وسرى السم من جديد .

وقدم منصور فهمى سنة ١٩١٤ اطروحة لنيل رسالة الدكتوراه فى باريس بإشراف عالم الاجتماع اليهودى ليفى بريل (١٨٣٧ ـ ١٩٣٩) بعنوان المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها " انتقد فيها تصور الاسلام لدور المرأة الاجتماعى وتحرر من الالتزام بحقيقة الوحى ثم ارتد عن رأيه بعد ذلك .

وتعادل السم فى جسم الشعب المصرى مع ثريان التوبة والاستغفار وبخاصة عندما رد على طه حسين عندما ظهر كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر "
رد عليه قائلا " إن اتخاذ أكثر نظم الغربيين لا يجدى فى رقينا وإسعادنا وقد يعود علينا بالشقوة والخسران ... ليست بيئتى التى أعيش فيها هى بيئة الغرب فهذه سماؤها غير سماء الغرب وهذه تربتها غير تربة الغرب وهذا موقعها فى ملكوت الله غير موقعه . وهذه لغتنا غير لغته وهذا ماورثناه من عادات ومحن وظروف وصروف غير ماورث الغرب . أفتكون مكنوناته غير مكنوناتنا ومميزاته غير مميزاتنا وظروفنا وصروفنا غير ظروفه وصروفه ثم يراد بنا أن نكون كالغربيين ويحاول داعية صريح أن يقنعنا بأن نتخذ من الغرب إماما نأتم به فى كليات مايسير عليه الغرب وفى جزئياته "(١)

هذا الرد عندما قال طه حسين " لم يبق أمامنا غير طريقة واضحة بينه مستقيمة

(١) الأهرام ٢٠ يونيه سنة ١٩٣٩ .

ليس فيها عوج ولا التواء وهى أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها ومايحب منها ومايكره ومايحمد منها ومايعاب"

لقد هضم الشعب د ـ منصور فهمى ـ وأعاده الى مكتسباته وسواء غلب منصور فهمى على أمره أو اندمج فى الشعب بعد إيمان بتراث هذا الشعب وعقيدته فانه على أى حال اعتذر عن كفره وارتد عنه.بعُدٌ عن الخلق ثم التزام به ثم جاءنا دكتور محمد حسين هيكل (١٨٨٨ ـ ١٩٥٦) حصل هيكل على ليسانس الحقوق من القاهرة ثم سافر فرنسا وحصل منها على الدكتوراه فى القانون ثم عاد إلى مصر واشتغل بالمحاماه ولكنه انضم إلى لطفى السيد واشتغل فى تحرير " الجريدة " وتألف حزب الأحرار الدستوريين وأصدر جريدة السياسة ٣١ اكتوبر واختير الدكتور حسين هيكل رئيس تحريرها وبدأ هيكل ينادى بالأدب الفرعونى ويدعو إلى العلم الخالص ويشرح الدين الطبيعى لجان جاك روسو وسار فى ركاب لطفى السيد الذى دعا إلى وطنية مصرية علمانية وسرى السم فى جسم الشعب المصرى وبدأ يفرز المضادات الحيوية وأحس الدكتور محمد حسين هيكل بروح هذا الشعب ولفحة ايمانه فارتد عن فرعونيته وأسلم وجهه لله وكتب " حياة محمد " ثم " ابو بكر " ثم " عمر " بعُدٌ عن الخلق ثم التزام به وثبات عليه .

وفى كتاب حياة "محمد " صنف المستشرقين وحججهم ورد عليهم بمنطق قوى ثم جلى شخصية الرسول كنبى وكانسان وجعلنا نلمس الثراء الحضارى لانسانية الاسلام . وسرى السم مرة أخرى بكتاب الشيخ على عبد الرازق .

فى ليلة ٣ مارس سنة ١٩٢٤ اصدر برلمان الثورة فى تركيا قرارا بالغاء منصب الخلافة

وأردف — على السلطان عبد المجيد خليفة المسلمين أن يرحل من تركيا . وتم ذلك فورا .

وأصبح العالم الإسلامى منذ ألف سنة بلا خليفة وبدأت الحكومة البريطانية تفكر فى خلع لقب الخلافة على الملك فؤاد . والبلاد الاسلامية فى رأى التخطيط البريطانى تهوى مصر وقد تقبل هذا الرأى فتصبح البلاد العربية كلها تحت إمرة الخليفة فؤاد . والخليفة فؤاد فى قبضة الانجليز فتصبح الدول العربية كلها مرتبطة بخيوط مشدودة إلى أصابع بريطانيا العظمى .

فهال الأمر الشيخ على عبد الرازق . فمن هو الشيخ على عبد الرازق؟

١٨٨٨م — ١٩٦٦م . ولد فى قرية من قرى مصر الوسطى ولمابلغ العاشرة دخل الأزهر حيث اتصل بالشيخ محمد عبده وحضر بعض دروسه وفى عام ١٩١٠م دخل الجامعة المصرية لمدة عامين وحضر دروس "نلينو" فى تاريخ الأدب العربى وسانتيلانا فى تاريخ الفلسفة . وفى عام ١٩١١ حصل على العالمية من الأزهر وحاضر فيه . وفى عام ١٩١٢ سافر إلى انجلترا لدراسة الاقتصاد والعلوم السياسية فى اكسفورد ولكنه مالبث أن عاد الى مصر بسبب نشوب الحرب وعين ١٩١٥ قاضيا فى المحاكم الشرعية .

وقد نشر كتابه الذى كان نتيجة لرفضه أن يكون فؤاد خليفة للمسلمين . وكان الكتاب بعنوان " الاسلام وأصول الحكم " .

والكتاب اجابة عن سؤالين:

١ — هل الخلافة ضرورية حقا ؟ ٢ — هل هناك نظام اسلامى للحكم؟

وأجاب عن السؤال الأول بأن الخلافة ليست ضرورية للاسلام وضرب مثلا لذلك

قائلا . " إن الخلافة عندما زالت عليا فى عصر المماليك لم يؤثر زوالها فى العقيدة الإسلامية أو فى الخير لأمة الاسلام بل بالعكس كانت سلطة الخلافة نكبة على الإسلام والمسلمين وفى غالب الأحيان كانت تقوم الخلافة على القوة المسلحة وضرب لذلك مثلا بتنصيب يزيد بن معاوية بن أبى سفيان للخلافة لقد قام عميل معاوية فى حفل تنصيب يزيد قائلا " أمير المؤمنين هذا " وأشار الى معاوية " فان هلك فهذا " وأشار الى يزيد " فمن أبى فهذا " وأشار الى سيفه .

واستثنى من الخلفاء جميعا الثلاثة الأول من الخلفاء الراشدين أما معظم الباقين فلم يكن عرش خلافتهم قائما إلا على أسنة الرماح والدعوى بأن طاعتهم من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله فالخليفة له على المسلمين الأمر والطاعة ولا راد لحكمه ولا شريك لسلطانه ولا أمر الا أمره انه " ظل الله فى الأرض " .

ويمكن أن يكون للبلاد الاسلامية زعماء مدنيون سياسيون يستندون إلى السياسة وتنظيم أمور الناس ودعامتهم فى الحكم مصلحة الناس لا سيف الدين يسلطونه على رقاب الناس سواء أخذوا الخلافة بالرضى والاختيار أم اغتصبوا الحكم اغتصابا .

أما إجابته عن السؤال الثانى . هل هناك نظام اسلامى للحكم؟

فقال بأن القرآن الكريم لم ينص على الخلافة والسنة كذلك لا نجد فيها نصا على الخلافة ولكننا نلمح كلاما غامضا عن اطاعة أولى الأمر . ووظيفة النبى الاتصال بالأرواح لا إخضاع الأجسام . والسلطة التى كانت للنبى عليه الصلاة والسلام سلطة خاصة انتهت عندما توفى عليه الصلاة والسلام والسلطة الخاصة فى رأيه هى تناول الرسول سياسة الدولة . والقيادة من بعده تكون قيادة مدنية أو سياسية " أى أن أمر الجهاد انتهى بوفاة الرسول وانتهت بذلك شخصية الجماعة الاسلامية ويبقى المسلمون

بعد وفاته أفرادا يختار كل فريق منهم الاتجاه السياسى الذى ينزع اليه ولو كان اتجاها شيوعيا [١] فالجهاد فى رأيه لم يكن لتثبيت دولة اسلامية بل كان " تثبيتا للدين وتاييدا للدعوة "

وسرى السم فى جسم مصر الاسلامية وتهيا الجسم لفرز الضادات الحيوية ماذنب الخلافة اذا لحق الفساد ببعض القائمين عليها ؟

وماذنب العقيدة الاسلامية ليستغلها بالتحريف ارضاء لرفضه أن يكون فؤاد خليفة ولماذا لم يقرأ قول الله سبحانه وتعالى " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما " (٢)

هل هذا أمر للنبى ان يحكم بماأراه الله فاذا توفى النبى يكون الامر فوضى والحكم بما تهوى الأغلبية ؟؟ يقول الله تعالى " فما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون " (٣)

هذا خطاب للمؤمنين جميعا على مدى الازمان . فما معنى استجابوا لربهم هل يستجيبون إلا بالعقيدة والشريعة . ومن الذى يتولى تنفيذ الشريعة ؟ الشيخ على عبد الرازق ليس فى حاجة إلى نقاش فكفاه مالاقاه من الشيخ المطيعى الذى رد عليه مفحما ــ قال ان الخلافة لم تذكر فى القرآن وانما يكتفى ان يقول القران الكريم " ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (٤)

---

(١) د.محمد البهى الفكر الاسلامى الحديث ــ ص ٢٤٨/ط ١٩٧٥/٨ /مكتبة وهبة مصر
(٢) النساء ١٠٥ (٣) الشورى ٣٦ ــ ٣٨
(٤) النساء ٥٩

ومعنى ذلك أن الأمة الاسلامية فى حاجة لاولى الامر يقومون بامورها الدينية والدنيوية . اما معاوية فانة فعل مافعل من تهديد بالسيف لانه يخاف من افتراق الكلمة وماتجره من استباحة دماء المسلمين وتشتيت قوتهم وتبديل طاقاتهم فى الخلاف.

وفى النهاية يختتم الشيخ نجيب المطيعى مفتى الديار المصرية سابقا ــ كتابه حقيقة الاسلام واصول الحكم " كنا نود ألا يظهر المؤلف بمظهر الإلحاد والمكابرة والعناد وأن يسلك سبيل الهدى والرشاد. وألا يخوض فيما خاض فيه فألحق بنفسه عيبا لايمحى وعارا لاينسى ودنسا لايطهر الا بدموع التوبة والاستغفار والندم على ماوقع فيه " .

لقد تاب د . هيكل ، د . منصور فهمى وعادوا للشعب المصرى المسلم فاكرمهما اما هذا الشيخ على عبد الرازق فلم يتب وأصبح صخرة لاتهضم واكياسا ميكروبية لاتتمثل فى جسم الشعب المسلم . فنبذة الشعب فعاش الشيخ وحيدا منعزلا مجردا من شهاداته محروما من تولى أية وظيفة فى مصر .

وقد ترجم كتابه " الإسلام واصول الحكم " إلى اللغة الانجليزية وقررته بعض الجامعات الامريكية كمرجع أساسى لعلم الاجتماع الإسلامى لا لأنه يعرض فكرة جديدة على الغرب للدراسات الإسلامية بل لأنه صدر من مسلم وهو عالم أزهرى ــ وفى ذلك ترويج لفكر الكتاب بين الطلاب الغربيين الذين يدرسون الإسلام والشعوب الإسلامية (١)

وعاد شعب مصر المسلم ينتفض من الحمى انها سموم طه حسين . فمن هو طه حسين ؟

" ولد طه حسين فى قرية من قرى مصر العليا سنة ١٨٨٩م وقد فقد بصره فى سن مبكرة

---

(١) د.محمد البهى/الفكر الاسلامى الحديث ـ ص ٢٣٢/ط ١٩٧٥/٨/مكتبة وهبة

تعلم فى الازهــــر وتعرف على افكار محمد عبده والتحق بحلقة لطفى السيــد ودرس اللغة الفرنسية واستمع الى محاضرات فى الجامعة المصرية الجديدة التى كان يلقيها كبار مستشرقى أوروبا وأمريكا أمثال ليتمان ونالينو وسنتيانا ثم ذهب إلى فرنسا للدراسة سنة ١٩١٥ حيث مكث أربع سنوات طالع فيها مؤلفات أناتول فرانس واستمع إلى دروس دوركايم ووضع رسالة عن ابن خلدون وتزوج من فرنسية وبعد عودته سنة ١٩١٩م تولى التدريس فى الجامعة كأستاذ وعميد فى جامعتى القاهـــرة والاسكندرية وفى سنة ١٩٥٠م ـ ١٩٥٢م تولى وزارة التربية (١)

وفى سنة ١٩٢٦ طلع طه حسين على الناس بكتاب سماه " الشعر الجاهلى " وبدأ كتابه بانه يشك ويلح عليه الشك أو يلح هو فى الشك وأنه أخذ يبحث ويدبر ويفكـر حتى انتهى الى شىء هو قريب من اليقين وماهذا الذى انتهى اليه ؟

(١) الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا . ليست من الجاهلية فى شىء .

(٢) روى القرآن قصة ابراهيم واسماعيل ومجيئها إلى مكة من الحجاز وتعاونهمـــا فى بناء الكعبة وهى قصة مصنوعة لاسند لها من التاريخ .

(٣) (ان الصانع الاول لهذه القصة هم اليهود والذين وفدوا إلى بلاد العرب حين أجلاهم عن الشام الرومان فى أوائل القرن الأول من ميلاد المسيح "(٢)

(٤) " إن النبى العربى محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم رأى هذه الحيلة " قد جازت على العرب فرأى أن ينتفع بها بدوره لاقامة صلة بينه وبين ابراهيم أبى الاديـــان والأنبياء " .

(٥) إن غاية اليهود من خلق هذه القصة أن يستديموا السلام بينهم وبين العـــرب

---

(١) البرت حورانى/الفكر العربى فى عصر النهضة ـ ص ٣٨٨/ط٣/١٩٧٧/دار النهار/بيروت

بعد طول حروب لأنها تثبت أن العرب والعبريين أولاد عمومة " .

(٦) القرآن ساير محمدا صلى الله عليه وسلم فأثبت هذه القصة على كذبها في آيات وأدخلها على المسلمين . (١)

وانتفض الشعب المصري المسلم لهذا الكفر الصريح واعترض الملك والبرلمان واعترضت الحكومة على كتاب طه حسين . وأفرز الشعب أنزيمات ضد السم. الشيخ محمد الخضر حسين أحد علماء الأزهر يؤلف كتابا بعنوان " نقض كتاب الشعر الجاهلي " وتوالت الكتب .

وأحيل طه حسين إلى النيابة وعجز عجزا تاما عن سوق أي دليل علمي وهرب من ليهدى النيابة بادعائه أنه يشك ولا يقرر .. وكل هذا لم يعفه فقد اجتمع مجلس الوزراء في ٢٠ مارس ١٩٣٢م وقرر فصل طه حسين من خدمة الحكومة .

ولكن قرار الفصل لم يسقطه نهائيا فقد عاد إلى الحياة مرة أخرى . لم ينبذ كالشيخ على عبد الرازق أو كقاسم أمين وماذلك إلا لسببين :

السبب الاول أنه عاد يتقرب الى الشعب بتأليف " على هامش السيرة "

السبب الثاني أنه كان عميلا للثقافة الأوروبية يقيمونه كلما مال وينهضونه كلما سقط فظلت ميكروباته متحوصلة مستخفية إلى أن مات .

وظهر الشعب المصري في " مؤتمر الطلبة الشرقيين " وذلك في عام ١٩٣٢ بكلمة عبد الوهاب عزام " أضل الشرقيون أنفسهم فإذا هم أجساد تنبض بقلوب الغرب وتفكر بعقوله وإذا هم أذلاء مقلدون يحقرون أنفسهم وآباءهم وميراث حضارتهم وتاريخهم . إلا أن تعظم أوروبا أبا من آبائهم أو تعجب بمأثرة من مآثرهم فيقتدوا بها . والخلاصة أن الشرقيين

---

(١) فتحي رضوان / أفكار الكبار — ص٣٤/ط١/١٩٧٨/ الهيئة المصرية العامة للكتاب

يتلقون على الغربيين أفكارهم وعقائدهم كما يأخذون منهم منسوجات القطن والصوف ومصنوعات الحديد والنحاس وأصناف الأحذية . وكأنهم أوان شرقية تملؤها أوروبا بما تشاء من حلو ومر وجيد ورديء ... (١)

ويسجل عباس محمود العقاد ـ الوعي الاسلامي ـ كتب يقول في أغسطس سنة ١٩٣٥م نحو عشرين كتابا صدرت عن الإسلام في أقل من عام ومن أشهرها الاسلام والحضارة العربية " لكرد علي " ، " ضحى الاسلام " لاحمد امين و" حياة محمد " للدكتور هيكل ، والاسلام والتجديد " المترجم عباس محمود العقاد على هامش السيرة لطه حسين (والشروق الاسلامي) لحسين مؤنس . ومن اخلاق العلماء للاستاذ محمد سليمان . "وحاضر العالم الاسلامي " المترجم عجاج نويهض وكتب اخرى عن حياة النبي لفريد وجدي ورشيد رضا . (٢)

وتكونت جماعة الاخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ فطاف شعاعها في كل مدينة وقرية وعزبة في مصر ورأينا الشباب عبادا بالليل فرسانا بالنهار وتطهرت القلوب بنور الإيمان وخشعت مصر لله . القهار .

الشعب المصري المسلم قريبا من الله رموه بالدواهي ليصرفوه عن الجهاد في سبيل الله وتمثلت الدواهي في :

سلامة موسى ـ إحسان عبد القدوس ـ لويس عوض ـ زكي نجيب محمود ـ نجيب محفوظ

الإذاعة ـ التلفزيون ـ المسارح ـ السينما ـ الملاهي ـ الأدب .

سموم احسان عبد القدوس

احسان عبد القدوس من كتاب " روز اليوسف " التي تحمل لواء الانفلات من القيم الاسلامية

---

(١) ملحق السياسة الادبي ٤ جمادي ١٣٥١ ـ ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ عدد خاص ...

الخاصة بالمراة وتغييرها إلى القيم التى يعتنقها الشيوعيون او الليبراليون فى اوروبـــا وامريكا ٠

ففى النظام الشيوعى الروسى القائم حاليا فى البلاد السوفيتية ومن دار فى فلكها تؤثـــر الدولة الإنجاب لذاته حتى ولو كان إنجابا حرا فهى لاتحرم الزنا " والأسرة عندهـــم سبب الطبقية حيث الأب يحى فى أبنائه روح التعالى والتشبث بالاصل العريـــــق ويسعى لزيادة الاقتناء لتأمينهم وتوريثهم (١) وفى النظام الليبرالى تسود فكـــرة الحرية الذاتية المطلقة فى أن يتصرف الإنسان فى عرضه كيف يشاء مادام لايخالف القانـون ولايضر غيره ٠ فإذا لم تكن المراة قاصرا أو بلهاء أو مكرهة بل كانت رشيدة حرةالإرادة وإذا لم تكن متزوجة ولم [illegible] ولم يعترض وإذا لم تظهر ذلك علنا ولم تـــدر له مشروعا فان القانون يحمى حريتها فى أن تفعل ماتشاء ويعاقب من يتعرض لها فيمـــا تفعل ٠

ولسنا فى حاجـــة الى أن نقول إن الزنى والطريق المؤدى إليه ممنوعان تماما بنص قول الله " ولاتقربواالزنى " وقد قلنا ذلك فى الجزء الخاص بالإعلام الاسلامى ٠

التجارب التى مرت بها المراة فى النظام الشيوعى والنظام الليبرالى هى التى ينتج منها إحسان عبد القدوس مدرسة (روز اليوسف) والامثلة كثيرة ومخزية ٠

أجرت " روز اليوسف " استفتاءً ماجنا خبيثا فى العدد الخاص بالمراة (ابريل ١٩٧٥م) عن الحب والجنس (٢) ونشرت أجوبـــة بعض الفتيات كالتالى " الحب والجنس وجهان لعملة واحدة لماذا لاأمارس الجنس مع من أحب إننى لااعتبر الزواج شرطا أساسيا لممارســة الجنس مادمت احب وأثق فيمن أحب حتى لو كان فى ذلك نظرة عدم احترام من المجتمع ٠

---

(١) د٠مصطفى كمال/ نظام الحكم فى الإسلام ، ص ١٩/ط ١٩٧٧/١/دار المعارف/مصر

فى أوروبا وأمريكا لايقيم الناس أى اعتبار للعرض والشرف كما نفهمها نحن وصحافتهم تطفح بهذا وساروا فى ظلمة هذا المنهج رحلة طويلة وعندهم تجارب لاعداد لها واحسان عبد القدوس ينقل ويقلد كتاب أوروبا ويصور حوادثهم وأوهامهم رغم اختلاف المنهج وبعد الشقة .

فالفتاة فى رأيه لها أن تلتقى فى حرية تامة مع أى شاب وبدون أن يدور فى خلدها مسألة العفاف والبكارة ولها فى حبوب منع الحمل مايجنبها مشاكل الاجهاض أو الولادة . وقصص احسان عبد القدوس تصوير جنسى صارخ . وتقول السيدة الفاضلة (بنت الشاطىء) ان مايكتبه احسان عبد القدوس ليس أدبا ولكنه عبارة عن أوراق يوميات دفتر الاحوال فى قسم الشرطة يكتبون فيه ضبط حادثة زنا او يصفون فيه حوادث مخلة بالشرف ولا يعتبر مايكتبه احسان عبد القدوس ادبا على الاطلاق .

ويترفق به الاستاذ عباس محمود العقاد ويقول عن قصص احسان عبد القدوس انه " أدب الفراش " فى قصة " أنا حرة " ... نجد " ... ألقت بجسدها فوق جسد شاب وتركت خصلات شعرها تدغدغ وجهه وتملأ أنفه بعبير أنوثتها ثم احست بكفه يتحرك فوق ظهرها ويتردد بين كتفيها كانه كف اعمى يبحث عن باب للدخول (١)

وفى قصة " أنف وثلاث عيون " (٢) الام تاخذ بنتها وتساوم الرجال عليها وكانها قوادة ولما فاض الخبث الذى ينشره (احسان (تقدم عبد الصمد محمد عبد الصمد بسؤال فى مجلس الامة فى جلسة جلسة ٨ يونية ١٩٦٤ عن قصة " انف وثلاث عيون " التى كانت

---

(١) أنور الجندى الصحافة والاقلام المسمومة ــ ص ١٩٨/طبعة ١/١٩٨٠/دار الاعتصام/مصر

(٢) محمود مراد/اعترافات احسان عبد القدوس/ص ٦٥/طبعة ١/١٩٨٠/العربى للنشر والتوزيع

تنشرها روز اليوسف واعتبرها عضو مجلس الأمة متضمنة اثارة للشباب وماسة بالآداب العامة والاخلاق وطلب وقف نشرها والعمل على الا تصدر فى كتاب او تمثـــل فى السينما او الاذاعة وأبعد عن الصحافة فترة ثم عاد •

ومن رأى احسان ان المرأة مادامت تعتمد على ذاتها اقتصاديا فهى حـــرة تماما كحرية الرجل •

الرجال لديهم حرية التهتك فلماذا اذن لايتهتكون جميعا ان حريتهم جعلتهم يختارون "

ونفس الشيء نفس حرية الاختيار عند " الست اذا اعطت نفسها لشخص فهـــى تفعل ذلك فى حدود ارادتها دون خرق قانون او اعتداء على احد " (١) وكتب احسان خمسة آلاف قصة قصيرة وطويلة فكم طنا من السموم نفث ؟؟

وكم تحمل الشعب المصرى المسلم هذا التمزيق لحياته وخدش وقاره والسخرية من قيمه ؟؟

وانيس منصور لايخرج عن هذا المنهج • فهو يتكلم عن مزايا الراقصات المصريـــات بقوله " زيزى مصطفى اجمل راقصة وسهير زكى اخفهن دما وزينات علوى أكثرهن دلالا وناهد صبرى أكثرهن اجتهادا ونجوى فؤاد أشهر من الجميع • ويفخر بشهرتنـــا برقص البطن فى جميع انحاء العالم (٢) •

وامينة السعيد (١٨ نوفمبر ١٩٧٢م مجلة حواء) تسخر من الزى الاسلامى لفتيـــات الجامعة وتدعوه كفنا ويسخر منه أنيس منصور ويسميه خيمة • (٣)

و" صباح الخير" و " أخبار اليوم " و " آخر ساعة " و " روز اليوســــف"

---

(١) محمود مزاد / اعترافات احسان عبد القدوس ــ الحرية والجنس ــ ص١٠٠/ط١/١٩٨٠/ العربى للنشر
(٢) أنور الجندى / الصحافة والاقلام المسمومة ــ ص ٤١/ط١/١٩٨٠/دار الاعتصام

تصور العاملات فى مجال الغناء والرقص والمسرح كانهن المثل العليا للفتاة المسلمة وتدعوهن للالتحاق بمعهد الرقص أو البالية او الفن او الموسيقى أو التمثيل .

ومثال لهذا التصوير ما كتبته هذه الصحافة عن " سيمون دى بوفوار " أثناء زيارتها لمصر مع " جون بول سارتر " ١٩٦٧/١/١٩م فبالرغم من أن سيمون دى بوفوار ليست زوجة شرعية لسارتر ولكنها محظية فقد صورت الصحافة المصرية هذه العلاقة على أنها أسمى وأعلى وأكمل من العلاقة الزوجية الشريفة وأشادت الصحافة المصرية بمقالاتها وآرائها فى الهجوم على الاخلاق وعلى قوامة الرجل على المرأة .

ويقول " محمد عودة " الكاتب المصرى الماركسى ان علاقة سيمون وسارتر علاقة أغنت الحياة الادبية والعاطفية تصوير للدعارة على أنها تحرير واسقاط الاسرة والبحث عن الاهواء والملذات على انه انتصار للمرأة .

" والدكتور حسين فوزى لايتردد فى القول بانه من دعاة الحضارة الغربية فى فسادها ومجونها وانحرافها وفنونها الداعرة و من موسيقى ورقص ومسرح ولا يترك فرصة دون مهاجمة الحضارة الإسلامية والادعاء كذبا أنها انتهت " (١)

اما الكاتب زكى نجيب محمود فيؤلف كتابا عنوانه (خرافة الميتافيزيقا) وقارىء الكتاب يخرج منه بان كل مايخرج عن دائرة المشاهدة والحس أو بمعنى آخر كل معرفة وراء الطبيعة المحسة المشاهدة كلام فارغ لايحمل أى معنى لأنه لايدل على شىء اما اذا هالك ماتحفل به القواميس من الفاظ وماتحفل به اللغة من مدلولات حول ما وراء الطبيعة فاعلم انها خدعة " كظرف يتداوله الناس فى الأسواق مدة طويلة على انه يحتوى

---

(١) أنور الجندى/ الصحافة والاقلام المسمومة ص ٧٥/ط١/١٩٨٠/دار الاعتصام/مصر

على ورقة من ذات الجنيه واكتسب الظرف قيمة الجنيه فى المعاملات وبعدئذ يجيء متشكك ويفض الظرف ليستوثق من محتواه فاذا هو فارغ (١) فكل معرفة وراء الطبيعة وخارج دائرة المشاهدة والاحساس كلام فارغ ويقصد من ذلك الدكتور زكى نجيب محمود أن " الدين خرافة " (٢)

نجيب محفوظ (٣) أنظف لفظا من احسان عبد القدوس ولكنه أحد سلاحا وأخطر تدميرا وأخفى طرفا وأمضى وسيلة •

قصة نجيب محفوظ أولاد حارتنا ــ كلها رموز •

شخصيات القصة : ــ

(١) الجبلاوى : أوجد الحارة كما أوجد الله الأرض • اختار الجبلاوى ابنة أدهم "آدم" ليدير الوقف • ثار إدريس " إبليس " وتمرد متحديا قرار الجبلاوى "

تزوج أدهم من أميمة " حواء " وسوس " ادريس " " ابليس " لأدهم كى يعصى أبناه بانتهاب حرمة الخلوة للاطلاع على سر " الجبلاوى " • شجعته أميمة " حواء " •

الجبلاوى يطرد أدهم " آدم " وزوجته أميمة " حواء " من البيت الكبير " الجنة "

ولد لأدهم " آدم " "قدرى " قابيل " ، همام " هابيل " عرض الجبلاوى على همام " هابيل " أن يلتحق بالبيت الكبير •

أكل الحسد قلب قدرى " قابيل "

قدرى " هابيل " قتل أخاه " همام " هابيل "

وقصة البشرية هى مايرويه نجيب محفوظ عن الصراع بين الخير والشر • لقد وعد الجبلاوى أدهم " آدم " بأن يكون الوقت لخير ذريته •

ولكن الجبلاوى شاخ واعتزل وحل محله الناظر " الفساد " أو " رجال الدين "والناظر

عن الوقف وقفه ووظلم واستبد . هل الجبلاوى موجود وذريته تعانى كل هذا الشقاء.

رأى " جبل " " موسى " من آل حمدان من نسل أدهم . رأى الجبلاوى والجبلاوى قال له ان آل حمدان " بنى اسرائيل " هم أسرتى ولهم فى وقفى حق " الجنة " ولهم كرامة يجب أن تصان " وانى فضلتكم على العالمين "والتف آل حمدان حول جبل " موسى " وهزموا البغى " فرعون " واستردوا حقهم المهضوم.

ثم عادت البلوى. عاد الفساد. فأسل الجبلاوى رسوله هذه المرة رفاعة " عيسى "

ثم عادت البلوى والفساد. فأرسل الجبلاوى قاسم " محمد " وعادت البلوى. عاد الفساد. ولكن الجبلاوى كان قد أنذرهم أنه لن يرسل بعد قاسم " محمد " رسولا آخر. وعادت البلوى والفوضى وجاء عرفة " العلم " الى حارة الجبلاوى.

وتجاوزت البشرية آخر بدائيتها.

وحاول عرفة أن يدخل إلى خلوة الجبلاوى المحرمة فيفاجئه خادم الجبلاوى فيقتله عرفة " العلم ".

ويموت الجبلاوى عندما يعلم أن خادمة قتل.

مات من تلقاء نفسه بمجرد أن أخذت " عرفة " " العلم " الرغبة فى أن يعرف.

فكأن نجيب محفوظ يريد أن يقول ان الله لايمكن الا أن يبارك العلم فهو الذى وضع حب المعرفة فى قلوب ذريته.

ان الله لايمكن الا أن يبارك العلم حتى لوطمع هذا العلم فى أن يستبدل الله بالانسان سيدا أخيرا على الكون يريد أن يقول نجيب محفوظ:

ان حياة الجبلاوى لايمكن أن تستمر فى عصر عرفة " العلم " اى أن الدين سوف يسلم الراية للعلم . يعنى أن العلم يجب أن يكون بدل الدين (أستغفر الله) فعرفه " العلم " هو الابن الطيب للجبلاوى ومن واجبه أن يحل محله . فالعلم هو طريق الخلاص للانسانية بل قل نبيها الجديد فى عصر نهاية الأنبياء . وينصر الأديان تفسيرا اجتماعيا .

وفى قصة حكاية بلا بداية ولا نهاية وتكملتها قصة الطريق بدلا من البحث عن " الزعبلاوى " " الجبلاوى "

اعلوا شيئا فى الحياة تتناسب مع عظمة الحياة . وفى الطريق " بحث عن الله " يسأل صابر أمه " هل أضيع عمرى فى البحث عن شىء قبل التأكد من وجوده "

لقد صرح نجيب محفوظ فى مجلة الهلال شباط سنة ١٩٧٠ .

" لعل الايمان الوحيد الحاضر فى قلبى هو ايمانى بالعلم والمنهج العلمى " أسلوب أخفى من الخفاء - يسرى كما يسرى الليل وينتاش الضياء ويدب فى الفكر كما يدب الموت فى أجساد الأحياء يقتل القيم بالسكتة القلبية .

الآن يحسن بى أن أرفع رجلى من الطين الذى خضت فيه وابتعد عن دائرة التلفزيون فى مصر الذى تعج بالراقصات أمثال " نللى " وماقدمته فى شهر رمضان الماضى بطوله من عبث باسم فوازير رمضان - وأفلام احسان عبد القدوس ونجيب محفوظ والرقص الشرقى والغربى .

وانتقل الى التلفزيون فى مصر الذى يحفل بمحاضرات الشيخ شعراوى وتلاوة القرآن الكريم من مشاهير القراء واذاعة الصلاة والبرامج الدينية المباركة ومشاهد الحج وتصوير المسلمين فى أرجاء العالم الاسلامى .

الصحافة في مصر في رأي الشهيد سيد قطب

الصحافة فى مصر تقف أبدا مع الطغاة والظالمين رغم تبجحها المصطنع بالوقوف مع الشعب والجماهير المظلومة المغلوبة على أمرها .

الصحافة ليست فى وضع يمكنها من الوقوف فى صف الجماهير ضد الطغاة والمستغلين ولاضد الاستعمار ووراءه الرأسمالية العالمية القوية . ان الصحيفة مؤسسة تجارية قبل كل شئ وعليها أن توازن ميزانيتها على الأقل لتعيش وقد أصبحت المنافسة الصحفية عنيفة فى دائرة القراء المحدودين وهذه المنافسة تقتضى تحسينات صحفية وتكاليف متصاعدة وموارد مالية كبيرة .

والرواج فى التوزيع لايقلل من نفقات الجريدة بل يزيد خسائرها اذا وقفت عند حدود البيع ذلك أن تكاليف النسخة الواحدة من أية جريدة كبيرة يومية أو أسبوعية أكثر من السعر الذى تباع به هذه النسخة فى السوق وهذه حقيقة قوية يجب أن تكون فى الحساب ليعرف الجمهور الفقير الكادح أنه ليس هو الذى يمول الجريدة بقروشه وملاليمه انما تعتمد أولا على الاعلانات وهذه الاعلانات تملكها شركات رأسمالية ضخمة تخدم بدورها المؤسسات الرأسمالية التى تتولى الأعلان عنها . وتعتمد ثانيا على المصروفات السرية المؤقتة والدائمة .

المؤقتة التى تدفعها الوزارات لصحافتها الحزبية أو للصحف التى تريد شراءها أو ضمان حيادها .

والدائمة التى تتولى ادارة المطبوعات صرفها اما للصحف واما للصحفيين بصفة دائمة على اختلاف العهود لخدمة الأغراض الحكومية الدائمة التى لاتتعلق بحزب دون حزب

وتعتمد ثالثا على المصروفات السرية لأقلام المخابرات الدولية وبخاصة انكلترا وأمريكا .

ذلك عدا نفقات الدعاية المباشرة للشركات وللبيوتات ولبعض الجهات .

---

(١) الشهيد سيد قطب/معركة الاسلام والرأسمالية /ص ١٥٢/عن كتاب يوسف العظم/رائد الفكر الاسلامي/ص ٢٢١/ط١/١٩٨٠/دار القلم/بيروت

انتقل الى كتابات مباركة طيبة لأحمد حسين وحسن البنا وسيد قطب ومحمد قطب ومحمود عبد الوهاب فايد وفتحى رضوان وعبد المتعال الجبرى والدكتور جريشة وحلمى مراد وماتصدره دار الاعتصام من آيات بينات ان كتابات هؤلاء وماتصدره الدور الاسلامية من صحف وكتب ومجلات هى الترياق الذى يعادل سموم ـ احسان ، نجيب محفوظ ، زكى نجيب محمود ، حسين فوزى ، ....

يقول الامام الشهيد حسن البنا :

" دعوة الاخوان المسلمين تدعو الى المساهمة فى الأعمال الخيرية فى كل نواحيها وتتجاوز ذلك الى العمل على تكوين جماعة مؤمنة تربطها الفكرة الاسلامية وتجاهد ماوسعها الجهد فى سبيل الله إعلاء لكلمة الاسلام وتركيز الحياة الاجتماعية والمدنية فى الشعوب الاسلامية على أساسين أحكامه وأصوله " واستشهد الامام حسن البنا . ويقول المفكر علال الفاسى عن الشهيد سيد قطب " قضية سيد قطب قضية كل داعية الى الحق والخير . قضية كل داعية مسلم تتضح الرؤية وتستقيم أمام ناظريه ويعرف السبيل الى قلوب الناس بعد أن ثبتت جذور الايمان والفهم الى تطبيق فى دنيا الواقع وسطر الكلمة لتشق سبيلها ممهدا الى مجالها فى القلوب والأذهان والنفوس"

واستشهد سيد قطب

وشعب مصر المسلم لم يصبه العقم فهو خصب منجاب فأمام الأمواج المتلاطمة من الفساد نجد الصخور الشاهقة التى ترد الأمواج العاتية زبدا لايلبث أن يزول وحسبى أن أصور شخصية كريمة هى شخصية الشيخ محمود عبد الوهاب فايد .

فى عهد عبد الناصـــــر حيث ساد الظلام والطغيا ن فى الجزء الاكبر من هذ ا العـهد حيث كا ن الرجل قد يخرج من بيته فلايعود اليه ولا يعرف آله وذووه أين ذ هب ثـــم يُطلَبُ منهم ا ن يكفوا عن البحث عنه .

فى هذ ا الجو المخيف الخانق الذ ى ارهب اشجع الشجعا ن وجعلهم لايتكلمــــون الا همسا ا ن هم تكلموا . فى هذ ا الوقت بالذ ات فتحت مجلة الاعتصام صد رها للشيـخ محمود فايد الاستاذ بالازهر وعضو الجمعية الشرعية لكى يتعقب كل ماكانت الامـــة المسلمة تراه ضارا بدينها وكيانها " وكا ن شجاعا تنبع شجاعته من ايمانه ، قويـــا يستمد قوته من عقيدته . قام الرجل برفع الحرج عن المسلمين فى المدة من ١٩٦٠ م الى سنة ١٩٧٠م ولولاه لأثم المسلمون جميعا فالامر بالمعروف والنهى عن المنكـــر من فروض الكفايات التى اذ ا قام بها البعض سقط الحرج عن الباقين (١) .

فمن هو محمود عبد الوهاب فايـــد ٣٠ نوفمبر ١٩٢١ حصل على العالمية مـــع أجازة التد ريس سنة ١٩٤٨م كتب مقالا عنوانه " باسم الله والله أكبر فليستقل شيـــخ الازهـــر " وقطع مرتبه سنة ثم اعيد الى عمله .

كا ن الاول وكا ن المتبع فى نهاية الد راسة أنه يد عى الا وائل إلى حفلة يحضرهـــا الملك السابق وأُعطيت الأوامر إلى الجميع أن ينحنوا عند ما يصافحهم الملك ولكن هذ ا الشيخ أبى أن ينحنى فصد رت الأوامر بتعيينه فى سوهاج مع إن المتبع أ ن يعيـــن الاوائل فى القاهرة .

بعد هزيمة ١٩٦٧م القى محاضرات فى جامعة القاهرة وفيها حمّل الرئيس جمال

---

(١) احمد حسين ــ مقدمة الكتاب ــ وبالحق صد عنا فى وجه الطغيا ن ــ للكاتب محمود عبد الوهاب فايد/طبعة ١ دار الاعتصام / القاهرة .

مسئولية الهزيمة وقال انه فشل فيما هو اختصاصه كرجل عسكرى فمن الواجب أن نحاسبه فاحيل الى الاستيداع ٠

والف وحقق نحو سبعة عشر كتابا ومن كتبه التى الفها الرسالة المحمدية وشواهدها ـ الاسلام دائرة فى نهضة الشعوب ـ التربية فى كتاب الله ومئات المقالات (١) ٠

قال جمال عبدالناصر " الشيخ من دول يرقع وزة ويروح فاقع فتوى " ٢٣يوليو ١٩٦١م فرد عليهالشيخ محمود فايد " هل يجوز ياسيادة الرئيس أن يذاع على العالم وجميع اللغات ومن رئيس الجمهورية مثل هذا الكلام ٠٠٠ لقد فاتك أن تعقب بان كثيرا من ذوى العمائم كان لهم مواقف كريمة وغيرة مشكورة واحساس مرهف وانك لتعرف بعضهم ولبعضهم عليك فضل " ٠

ولقد تابع الشيخ محمود فايد كل انحراف فى العهد الماضى بكلمات الحق جهر بها على منبر الاعتصام (١) الم اقل ان الاعلام المعاصر فى مصر عبارة عن عمل صالح مخلوط بعمل سىء ولكنى فى هذا الموضوع لم احدد الثبات الخلقى فرسالتى الثبات الخلقى بين الاعلام الاسلامى والاعلام المعاصر لم احدد الثبات الخلقى فى الاعلام المعاصر بشقه الثانى وهو الاعلام المعاصر فى البلاد العربية وقصرت البحث عن الإعلام المعاصر فى مصر أين الثبات الخلقى هل هو فى موقف الاخوان المسلمين الذين استشهدوا وهم ثابتون على الحق والذين خرجوا من المعتقلات ولم يزدهم السجن الا ايمانا ـ كالشيخ عبدالستار سعيد والشيخ أحمد الكردى والشيخ

---

(١) [illegible]

زيـن العابدين الركابى (سودانى ولكنه اعتقل فى مصـــر) وآلاف غيرهم •

ام الثبات الخلقى نجده فى مواقف أحمد حسين وفتحى رضوان ومحمد صبيح والقائمين على مجلة الاعتصام والكاتبين بها وأصحاب المؤلفات الاسلاميـــة •

الحقيقة اننى أرى أن الثبات الخلقى فى الإعلام المعاصر بشقه الثانى الذى اقصـــده فى البلاد العربيـــة والذى اقصده على مصـــر •

الثبات الخلقى أحصره فى الشعب المصرى المسلم الذى مرت عليه المحن فلم يضعـــف ولم يهن بل مازال شامخ الرأس عزيز الأنف ثابت الخطو مازال كالجسم الصحيـــــح إذا تسللت إليه السموم أفرز المضادات الحيوية والترياق الطبيعـــى لملاقاة هذه السموم •

الشعب المصرى المسلم يُرْمى بكل داهية من دواهى أوروبا فتسقط تحت اقدامـــه ولاتنال منه شيئا •

الشعب المصرى المسلم يخايلونه بزخرف الدنيا ومتاع الحياة ويسقط بعضه فى الطريـــق ولكن الاغلبية تسير وهى تتمتم بإصرار وعناد وقوة •

" قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين "

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة البحث (١)

فى البلاد الأوروبية والأمريكية تيارات فكرية متشعبة وكلها لها أثر فى الاعلام عندهم وتمس الخلق والثبات الخلقى .

فتيار الرهبنة والزهد استبعد الدوافع والميول والعواطف كأساس للأخلاق وقصر التقدير للخير على العقل والذين ساروا فى هذا التيار الى نهايته انغمسوا فى الرهبنه والنسك وحاربوا الجانب الحيوى فى طبيعة البشر واقتصروا على تمجيد العقل .

ولم يسلم هذا التيار الفكرى عندهم من المعارضة ، فقد انبرى علماء النفس يعارضون أصحابه قائلين بأن للبشر استعدادات وغرائز ولايمكن استئصال الشهوات ولا تتحقق السعادة الا إذا أشبعنا دوافع الفرد وحققنا ذاته والزاهد مريض فى حاجة الى المعالجة وليس هناك حل كما يقولون إلا بارخاء العنان للشهوات والأهواء واسكات الضمير وتجاهل العرف .

صراع اعلامى يبلبل الخاطر ويقلقل القيم ، والاعلام الاسلامى لايوافق على الزهد ولايوافق على ارخاء العنان للشهوات . فالزهد ركون الى الراحة وهروب من المسئولية وكف حيوى عن المشاركة فى التضحية من أجل الآخرين (والتعبير (٢) الحر عن الذات يتجاهل العرف وارخاء العنان للشهوات يهبط بالانسان الى مستوى البهائم " وهذا التعبير الحر مستحيل من الناحية الاجتماعية " " لأن التسليم به فى شأن الغريزة الجنسية يجيز " تعميمه فى غيرها من الغرائز وعندئذ يجوز" " للجندى أن يهرب من ميدان القتال استجابة " لغريزة المحافظة على الذات كما يجوز للمغتصب المنفعل أن يقتك بمن أغضبه ارضاء لغريزة المقاتلة" كما يجوز للقوى أن يغتصب ملك الضعيف اشباعا لغريزة التملك والاباحه كثيرا ماتكون أكثر تعاسة لصاحبها من القمع لأنها تكون على حساب الضمير حيث يشمئز الانسان من نفسه وينفر من انحطاطه وقوانين الأخلاق لاتتعارض مع الطبيعة البشرية ، ان فضيلة الرحمة مثلا تعبر عن حقيقة بيولوجية وليست مجرد وهم دعت اليه الأديان)

---

(١) اعتمدت فى هذا الجزء على كتاب فلسفة الاخلاق للدكتور توفيق الطويل/ الطبعة الرابعة - ٧٩ م - دار النهضة العربية - مصر .

واقتحم دائرة الفكر عندهم تيار آخر بزعامة دوركايم ت (١٩١٧)ويقول بأن التصور القديم الغامض للأخلاق النظرية قد انتهى أمره وعلينا أن ندرس الاخلاق دراسة موضوعية كما ندرس العلوم ، فالقيم الاخلاقية من نوع الظواهر الاجتماعية التى تنتج من العقل الجمعى الذى ينشأ من اجتماع الناس بعضهم مع بعض ، أما رغبات الفرد فتنحصر فى إرضاء المجتمع الذى ينتمى إليه محبا أو كارها .

والأخلاق فى رأى هذا المذهب ليست مطلقه وانما نسبية تختلف من زمن الى زمن ومن مكان لآخر والظاهرة الاجتماعية ملزمة قاهرة للافراد وليس للفرد حرية وانما هو صدى للجماعة البشرية واستجابة لعرفها وتقاليدها .

ورد على أصحاب هذا المذهب (توماس كارليل) بأن الأبطال هم الذين يغيرون القيم والأخلاق والتاريخ ، وتاريخ الأبطال هو تاريخ الأمم .

والذين يؤمنون بنظرية التطور يقررون حسب مفهومهم أن نظام الكون بالنسبة للأحياء يقوم على النضال والصراع والوحشية والخداع فينقرض الضعيف ويبقى القوى ، ويرون أن الأخلاق تتعارض مع نظام الكون فى انقراض مالايصلح للبقاء ولذلك يقررون أن المعيار للأخلاق هو قدرة الفرد على النضال وكفاءته لتحقيق قانون الانتخاب الطبيعى ويعتقدون بأن البشرية سائرة فى طريق الانحدار الى الضعف والهلاك لأن الشعوب المتمدينة تعوق انقراض الضعاف باقامة الملاجئ والمستشفيات واعانة المحتاجين والمعوزين وبذلك تقاوم قانون الكون فى التطور والانتخاب الطبيعى ، لقد تجاهل هؤلاء القوم الذين يؤمنون بنظرية التطور أن التعاطف مع الضعاف والمرضى يتمشى مع قانون التعاطف الوجدانى الذى يعتبر أنبل جزء فى طبائع البشر .

ودخل فردريك بنتشه (ت ١٩٠٠م) كالعاصفة ممجدا البطش والقوة والافتراس والسير على جثث الضعاف وأطلق على هذه الاعمال أخلاق السادة واحتقر الصبر والتواضع والتعاطف والتسامح والرحمة وأطلق عليها أخلاق العبيد واقترح أن ننفى فكرة الحب حين الزواج وانما نوفق أجمل الفتيان واقواهم الى أجمل الفتيات وأقواهن ، ورأى نبتشه مبالغة ممجوجة لاتستأهل الرد ودخل ساحة الاعلام الغربى فرسان آخر من أمريكا أصحاب المذهب العملى (البراجمانزم) قالوا بأن الاخلاق والقيم ليست من وضع الفلاسفة وليست من وحى السماء ولا هى من العقل الجمعى ، انما تنشأ الأخلاق وتتحدد القيم اذا حققت مطالب الانسان الحيوية انها وسائل لتحقيق رغبات الانسان ، تتغير هذه

ولنجاحه فيما يريد ، أنكروا القيم الثابتة فى الأخلاق أو الاجتماع أو السياسة حتى الاعتقاد بالله أجازوه اذا كان يحقق للانسان المؤمن فائدة ونجاحا أما الايمان بالله فى حد ذاته فهم لايكترثون به (هؤلاء الناس يعتبرون الحق أو الخير كالسلعة المطروحة فى السوق قيمتها لاتقوم فى ذاتها بل فى الثمن الذى يدفع فيها فعلا) (١)

ويرد برتراند رسل عليهم قائلا اذا كان الاعتقاد بالله مرجعة الى تقدير أثره فى حياة صاحبة دون اكتراث لحقيقة الايمان من الناحية الموضوعية الخالصة كان هذا الاعتقاد اخبالا وضلالا .

ان المؤمن لايقول انى اذا آمنت بالله سعدت ولكنه يقول انى آؤمن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد ، فالسعادة فى نظره ليست علة ايمانه . ان الاعتقاد بوجود الله فى نظر المؤمن الصادق مستقل عما يحتمل أن يترتب على وجوده من نتائج وآثار) (٢)

ويقذف أصحاب الفلسفات الوجودية بتقريرهم لحرية الانسان المطلقة فى اعتناق القيم التى يهواها بدون النظر أو الاستجابه لأى قيم تفرضها السلطة أو يفرضها المجتمع أو يقررها الفلاسفة أو رجال الدين فهم ينكرون القيم كلها ويشفقون على الانسان لأن حريته تحتم عليه أن يختار قيمه ويتحمل مسئولية هذا الاختيار ، وينسى الوجوديون أن الانسان لايكون انسانا مميزا عن سائرالكائنات بغير مثل أعلى يدين له بالولاء) (٣) .

يعيش الأوروبيون والأمريكيون فى هذه الدوامة الفكرية حيال القيم والأخلاق والمثل العليا ، وماذا كانت النتيجة ؟ كانت اسقاط كل القيم والانفلات من كل قيد وانتشار المخدرات والرشوة وتمزق العلاقات بين أفراد الأسر .

ولكن هل معنى هذا أن هذا الغلاف البشرى الذكى صاحب الحضارة الذى داس على سطح القمر وسبر أغوار المحيطات وتفوق فى الطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء وفتت الذرة .

هل معنى هذا أن الأوروبيين والأمريكيين انتهوا خلقيا ؟ هذا غير

---

(١) د. توفيق الطويل :فلسفة الأخلاق ص ٣٠٣ – الطبعة الرابعة – ١٩٧٩م – دار النهضة العربية – مصر .

(٢) د. توفيق الطويل : فلسفة الاخلاق ص ٣٠٣ – الطبعة الرابعة – ١٩٧٩م – دار النهضة العربية – مصر .

صحيح فالله سبحانه وتعالى الذى يضع القيم للعالمين يعلم أن هذه القيم متفقة مع الفطرة التى خلق الله الانسان عليها ، ولذلك نجد عند الأوروبيين والأمريكيين انتفاضات خلقية من صنع الفطرة عندما تنتهك قواعد الأخلاق .

لقد أسقط الشعب الأمريكى رئيسهم لأنه أجاز وضع أجهزة التصنت على خصومه السياسيين وهذا ماعرف بفضيحة (ووترجيت) .

لقد انتفض الناس فى ايطاليا وفى اليابان وعقدوا المحاكمات وانزلوا العقوبات حين عرفوا بالرشاوى التى قدمتها شركة لوكهيد لحكام دول شتى حتى ييسروا بيع طائرات الشركة لشعوبهم .

هؤلاء الناس الأذكياء ينقذهم الاعلام الإسلامى من الانتكاسات التى يغرقون فيها الى أذقانهم - ينقذهم الاعلام الاسلامى من مستنقع التحلل الخلقى ومن هاوية الانفلات من كل قيد ويعيدهم الى فطرتهم التى خلقهم الله عليها .

ان القرآن الكريم ينشىء تصورا عاما للوجود يربط الانسان فيه بربه ويقيم نظاما للحياة وضعه رب الحياة .

الناس فى أوروبا وأمريكا عندهم جوع للعقيدة الصحيحة التى ترتبط بالفطرة والاسلام دين الفطرة .

أما دين هؤلاء الذى يلوحون به فهم فى دوامة من الشكوك به والاختلاف فيه فالأناجيل (الأربعة (1) الموجودة اليوم فى أيدى الناس اختارها رجال الكنيسة الكاثوليكية من ٤٠٠ انجيل كتبها الناس فى عهود مختلفة بين عامى (٦٠ - ١١٠م) أى بعد رفع الله لعيسى بمدة بين (٣٠ ، ٨٠ سنة) . والانجايل الأربعة سمتها الكنيسة الأناجيل القانونية ، وهذه الاناجيل ليس فيها شىء من العقائد الموحدة ، ولا من الأحكام المقننه لأن العقائد والأحكام فى النصرانية وضعها رجال الكنيسة فى أزمنة متأخرة ، والخلاف فى النصرانية عميق ، فالكاثوليك يقولون ان المسيح هو الله بذاته ، أما الأرثوزكس فيقولون ان المسيح هو ابن الله).

ويعتقد المسيحيون أن اليهود قتلوا المسيح وأن تبرئتهم من هذه التهمة مشكوك فيها لديهم . ويعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار ولايعترفون بالمسيح ويحاولون افساد العالم ليتولوا زمام الأمور عالميا .

---

(1) د. عمر فروخ - تجديد فى المسلمين لافى الاسلام - ص ١٠ - الطبعة الأولى

دوامة من الأفكار الخرافية التى يرفعونها شعارا ولايؤمنون بهـــا باطنا أما الاسلام فهو يؤمن بموسى وعيسى ومحمد وبجميع الرسل والأنبيـــاء.

والقرآن الكريم كتاب منزل وصل الينا كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأه اليوم كما كان يقرأه رسول الله على المسلمين الأوائل .

والخلافات فى المذاهب الاسلامية هى تفسير أوجه العبادة وتفسير المعاملات الاسلامية وليس فيها شىء من الخلافات حول الله أو حول الرسول .

وضوح فى الرؤية من ناحية الدين الاسلامى ومعانقة للعقل بمجرد الدعوة الصادقة والاعلام الاسلامى الواعى والناس الأذكياء فى العالم عندهم جوع للعقيدة الصحيحة . والذى يقوم بالاعلام الاسلامى حاليا تعترضه مشكلات فمثـلا:

الاسلام يقسم العالم الى قسمين أو ثلاثة

دار الحرب ودار العهد ودار الاسلام

فدار الحرب تتألف من جميع الدول التى تكون خارج العالم الاسلامى وغالبا مايُنعت سكانها بالكفار .

(ودار العهد اضافها الامام الشافعى وهى اعتراف مشروط للدولة غير الاسلامية اذا مادخلت فى علاقة تعاهدية مع دولة الاسلام كأن تدفع جزية أوتتنازل عن جزء من أراضيها)(١)

(ودار(٢) الاسلام هى الأراضى الخاضعة للحكم الاسلامى وسكانها من المسلمين بالولادة أو بالاعتناق ومن أهل الكتاب أو الذميين الذين تمكسوا بديانتهم ورضوا بدفع الجزية).

(ودار الاسلام فى حرب على الدوام مع دار الحرب فالاسلام والشرك بالله لايمكن أن يتعايشا فى هذا العالم حسب العقيدة الاسلامية والجهاد هو الكلمة الفصل بين الاسلام وبين الشرك بالله فالجهاد حرب مشروعة ودار الاسلام ملزمة بالجهاد على الدوام حتى نزول دار الحرب من الوجود)(٣) .

وعندما بدأت قوة المسلمين بالاضمحلال أقر الباحثون فى الشرع الاسلامى

---

(١) د. مجيد خدورى - الحرب والسلام فى شرعة الاسلام - ص١٩٦ - الطبعة الاولى - ١٩٧٣م - الدار المتحدة للنشر - بيروت .

بأن مبدأ الجهاد باعتباره حالة حرب دائمة لم يعد منسجما مع مصالح المسلمين. (٢)

والمذهب السنى يقول ببعث الجهاد من خموده عندما يسترد المسلمون قوتهم ، وفى ظل الحكم العثمانى اعترف الاسلام بالمسيحيه وأعفى الفرنسيين من ضريبة الرأس بموجب معاهدة (٢) عام ١٥٣٥ م .

وفى عام ١٩٢٤م تحولت تركيا الى دولة علمانية وألغت الخلافة وتخلت عن الشريعة وطرح السؤال الآتى : هل يجب علمنة الدولة الاسلامية ؟ وأجاب بالايجاب الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الأزهر فى كتابه (الاسلام واصول الحكم) عام ١٩٢٥م .

ووافق الدكتور السنهورى على علمنة القانون من ناحية العلاقات الخارجية فقط وعلى اشتراك الدول الاسلامية فى الأسرة الدولية وفقا للقانون الدولى (٣).

فهل قبل المسلمون المقاييس العلمانية فى العلائق الخارجية وفقا للقانون الدولى ؟ وما موقف الاعلام الاسلامى ؟ وكيف نوفق بين القانون الدولى واندماج كل الدول الاسلامية فى الأسرة الدولية ؟.

لابد من التوفيق بين القانون الاسلامى فى موضوع الجهاد والقانون الدولى الذى يسود المنظمات الدولية والتى وافقت عليه الدول الاسلامية .

ونحن اذا تركنا القانون الدولى بدون تكيف مع قانوننا الاسلامى الذى يؤكد أن الجهاد هو وسيلة الاسلام لتحويل دار الحرب الى دار الاسلام . فالاسلام قد ألغى جميع أنواع الحروب ماعدا الجهاد ، فالحرب التى غايتها تطبيق شريعة الله أو درء الاعتداء هى وحدها الحرب المشروعة وعلى الفقهاء أن يجدوا حلا لأن الجيل الاسلامى الجديد من الشباب اذا وجد أن قانونه الاسلامى يزول شيئا فشيئا فانه يتحلل من العقيدة أو ينعزل عن المجتمع الاسلامى الضعيف فى صحراء أو يستخفى مؤلفا الجماعات السرية أو يتمنطق ببندقيه ويقتل من يشاء .

ليس لى من حق الافتاء ولكنى أعرض رأي مشايخنا الفقهاء وأساتذة الاعلام الاسلامى .

يمكن أن نعتبر أن الجزية نزول من أهل الكتاب متى ماشاركوا الجيش

---

(١) ابن خلدون المتوفى سنة ١٤٠٦ م ط ١ - ص ٣٠٩ عن كتاب د. مجيد خدورى / الحرب والسلم فى شرعة الاسلام ص ٩٤ - الطبعة الاولى - ١٩٧٣ - الدار المتحدة للنشر - بيروت .

الاسلامى فى الحروب الاسلامية وأهل الكتاب يشتركون فى الجيوش الاسلامية بجانب المسلمين الآن يمكن أن نعتبر الدول المسيحيه دار صلح كما يقول الامام الشافعى واذا كانت دار الصلح لها الأمان اذا تنازلت عن قطعة أرض للمسلمين كما يقول الامام الشافعى . أليست الدول المسيحية تعطينا العلم والتكنولوجيا وهذا شىء أثمن من قطعة أرض تتنازل عنها والدول المسيحية لاتمتنع عن السماح لنا بالدعوة للاسلام فصحفنا الاسلامية تطبع فى ديارهم ومساجدنا منتشرة فى ربوعهم والمسلمون من أبنائهم ينالون حرية كاملة فى أداء شعائرهم الدينية .

بقى الكفرة من الاتحاد السوفيتى ونحن مازلنا نصارع أفكارهم ونهاجمهم ولنا فى ديارهم مسلمون واذا كنا أضعف منهم الآن ولانستطيع الدخول معهم فى حرب فليس علينا الا الصبر والاعداد .

ولا ريب أن عند فقهائنا رأيا أكمل وعند أساتذة الاعلام خطة أشمل.

هذه الخطة وهذا الرأى لابد أن ينتشرا ويظهرا حتى يطمئن الشباب المسلم على أن كياننا الاسلامى لايذوب فى الخضم الدولى وذلك حتى لايصاب المسلمون بالانفصام فى الشخصية .

بقيت مسألة القوانين الوضعية والأمر فيها يحتاج الى رأى متعقل هادىء يتمشى مع الدين الاسلامى فقطع يد السارق لايجوز فى عام المجاعة كما أفتى سيدنا عمر بن الخطاب - وكثير من الدول الاسلامية فى مجاعة فلابد من اصلاح الحالات الاقتصادية للدول الاسلامية حتى تتخلص من التشريعات الفرنسية والانجليزية التى ارتضيناها فى غفلة أو اجبرنا على ارتضائها فى فترة ضعفنا وأحللناها بدل شريعة الرحمن - (والامام ابن حزم يحدد حقوقا أساسية للمسلم ينبغى أن تتوفر له . فينبغى للمسلم ببيت يأويه وطعام وشراب ملائمان وكساء يكفيه صيفا وشتاء وخادم يساعده ان كان غير قادر ودابة يركبها اذا احتاجت مصلحته ذلك بعد هذا كله اذا سرق المسلم يطبق عليه الحد وعند المالكية والحنابلة أن الزكاة التى تعطى لفقراء المسلمين ينبغى أن تغطى كفاية المسلم وأسرته لمدة سنة كاملة "[(١)]

والاسلام هو الذى يوجه الاعلام توجيها صحيحا ويمحو عن الاعلام الغربى المعاصر محنته ، فمحنة الاعلام المعاصر الأوروبى والأمريكى هى محنة أخلاق وقيم.

فالصحف والأقلام تشترى والحقائق تنتشر أو تحجب أو تزيف بحسب رأى الحاكم أو بحسب الثمن الذى يدفع والسيطرة لرأس المال والاحتكار يزوران حرية

---

(١) فهمى هويدى - القرآن والسلطان - ص ١١٢ - الطبعة الاولى - ١٩٨١ - دار

الصحافــة ٠

الملك فيصل رحمه الله عندما كان في نيويورك رد على سؤال أحـــد الصحفيين بقوله (لقد ثبت بكل أسف أن اليهود يدعمون الحركة الصهيونيــة واسرائيل والذين يساعدون أعداءنا هم أعداء لنا) ، فما كانت النتيجة ٠

الصهاينة في نيويورك أرغموا السير ليندس عمدة نيويورك على الغاء حفل العشاء الذي كان مقررا أن يقيمه تكريما لضيف حكومة وشعب الولايــات المتحدة الأمريكية الصديقة كما أذعن السير روكفر حاكم ولاية نيويورك لنفــس الضغط الذي يمارسه الصهاينة فألغى زيارة المجاملة التي كان مقررا أن يقــوم بها لجلالة الملك (١) ٠

اعترفت احدى المتسابقات بأنها عرفت اسئلة (مسابقة برنامج ٢١ سؤالا من طريق الغش وحصلت على جائزة مقدارها عشرة آلاف دولار (٢) ٠

تعتمد الصحافة على الاعلانات التي تمتلكها الشركات الرأسمالية وتعتمد على المصروفات السرية المؤقته والدائمة وتعتمد على أموال المخابرات الدولية ٠

فهل بعد هذا تقف الصحيفة مع القيم الصاعدة والصحفي يكتب ليصفــق الناس للحاكم لأن الصحافة تخضع للحاكم وبخاصة اذا كانت الصحافة مؤممــة فالصحافة بوق للحكومة وأداة في يدها وسلطة من سلطاتها فاذا كانت الحكومــة متزنه وعادلة وشريفة كانت الصحافة على شاكلتها واذا لم تكن ٠٠٠٠٠

وفي رأي أن تترك الصحافة حرة مادامت الحكومة عادلة والاعلام الاسلامي يهدف الى أن يسود الاسلام وتعلو كلمة الله وأن تقوم الدولة الاسلامية العالمية وهذا يتطلب صياغة نظرية سياسية لاتتلون بأي لون من الأيدولوجيات الموجــودة لأن الاسلام نسق عال من الفكر أوجده الله للعالمين لاسعادهم واضافة شيء للاسلام اقرار بنقص هذه الشريعة وهذا كفر ٠

الاسلام دين الفطرة أي أن العقل يسلم به متى ماعرض عليه عرضا صحيحا ولذلك أول ماتقوم عليه هذه النظرية السياسية الاسلامية اشاعة الحريات فــي العالم الاسلامي ٠ فاذا حازت الشعوب الاسلامية حريتها فانها ستسير في ركــاب الاسلام ستختار الاسلام شريعة ومنهجا وحكما وستستمد غاياتها وتشريعاتها مــن

---

(١) جميل الحجيلان ــ الدولة والثورة ــ ص ١١ ــ الطبعة الاولى ــ سنة ١٩٦٧م ــ الدار السعودية للنشر ٠

الكتاب والسنة ، وليس هذا بالأمر السهل فمخابرات العالم تجس نبض العالم الاسلامى كل دقيقة فاذا وجدوا همهمة اسلامية وخمسات قرآنية فى أى مكان فى العالم اجتمعوا وخططوا وتآمروا وحاربوا وأبادوا وليس فى العالم من سلم من هذه الحرب الا المملكة العربية السعودية التى تعيش الاسلام شريعة وحكما ومنهجا وحياة ومسئولية وتحاول أن ترفع الشعوب الاسلامية الى مستوى الايمان الكامل بما نبذله من عون وبما تقدمه من نموذج وقدوة ولكن العالم الصليبى كله يتآمر ويخطط وينفذ ويبذل أنهار المال بلا حساب .

أفواج المبشرين تتزاحم على مخيمات اللاجئين فى بنغلاديش يلتقطون أطفالنا (والفرحة لاتكاد تسعهم ويعلنون أن أمة من أبناء الصليب بدأت تولد فى بنجلاديش) .

(الرئيس سنغور حاكم السنغال ولد لأبوين مسلمين)

(ثم حملة المبشرون الى فرنسا واعادوه حاكما راهبا مبشرا) ليحكم شعبا مسلما .

ان مركز (دكار) فى السنغال فى افريقيه للتنصير ، يخرج كل عام ٢٥ ألف قسيس وراهب ، ليس للسنغال وحدها وانما لكل بلدان افريقيا الناطقة بالفرنسية .

ان البعثات التنصيرية فى السنغال توقع مع الأسر السنغالية عقودا تدفع بموجبها مساعدات عينيه كل شهر على أن يكون لها الحق فى اختيار طفل من أطفالها تربيه على حسابها .

ان ملاوى الافريقية التى كانت نسبة المسلمين فيها تزيد عن ٧٠ ٪ اذا بهذه النسبة تتناقص لتصبح أقل من ٣٠ ٪ بسبب التبشير والمبشرين (١) .

وفى آسيا فى اندونيسيا والفلبين وماليزيا وجنوب شرق آسيا والهند آلاف ومئات الآلاف الذين تفرغوا للتبشير فى ديار المسلمين انه الفقر والجوع والمرض والجهل ، هذه الاسباب التى تدفع بالرجل والمرأة والطفل الى أحضان المبشرين ، ولنتأمل هذا الخبر .

٣٠ ألف طفل تشتريهم الكنيسة من الصومال (١) .

احيل طلب التبنى المقدم بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٩م من قبل السيد والسيدة دو جاردين البلجيكى الجنسية ووكيلهم المحامى الدكتور محمد راجى محمد الى محكمة منطقة مقديشيو فى محافظة بنادر وقررت المحكمة بناء على موافقة

النائب العام وبناء على مرسوم رئيس الجمهورية الصومالية رقم ٢٣ بتاريخ ١٩٧٥/١/١١م الفصل الرابع المواد ١١٠، ١١١، ١٢٢ وبعد دراسة الظروف الخاصة برعاية وتربية الأطفال فقد أصدرت حكمها بالموافقة على الطلب المقدم من السيد والسيدة سبى دورجاردين البلجيكى الجنسية والمتعلق بتبنى ثلاثين ألف وتسعمائة وثلاثة أطفال ٣٠٩٠٣ من الأطفال الصوماليين وبناء عليه فقد وافقت المحكمة وصدقت على اعتبار الشخصين المذكورين المسئولين عن الأطفال اعتبارا من تاريخ ١٩٨١/٤/٨م

الصومال البلد المسلم الذى لم يتنصر من شعبه خلال عشرات السنين شخص واحد ولذلك اقتطعوا من اراضيه أجزاء وضموها الى كينيا واثيوبيا وأوغندا هذا الشعب المسلم ١٠٠٪ هو الذى تحكم احدى محاكمة الوطنية بأن يتبنى بلجيكى واحد أكثر من ثلاثين ألف طفل(١) من أبنائه .

عندنا المال الوفير ننفقه للحرب فيما بيننا ونترك ديار المسلمين نهبا للمبشرين . لقد عجزوا عن محاربة الاسلام فكريا فأخذوا أطفال المسلمين لينصروهم بعيدا عن أهليهم وزيفوا اسلام الفقراء والجوعى والمرضى من المسلمين وأقنعوهم بالنصرانية فى ظل الغذاء والكساء والمال .

والاعلام الاسلامى حينما يقوم بواجبه فى حاجة الى دراسات شتى تبحث فى كيفية قيادة الناس وكيفية تعديل معتقداتهم وكيف يمكن محاربة الوهم والظن والخرافة ومقاومة التغير والآراء النمطية والنبات المعرفى وكيفية تعديل المعتقدات .

والخبرة الفنية فى الهيمنة على المجتمع لاتقتصر على الدعوة للدين فالتنمية الاجتماعية تمارسها وسائل الاعلام الاسلامى لأن الهدف هو التغيير ولابد أن يقتنع الناس بهذا التغيير .

مثلا بلداتنا سائرة فى طريق النمو استخدام التكنولوجيا وهذا الاستخدام يتطلب ثقافة يتطلب تقبلا يتطلب تكيفا ثقافيا وشعورا بالحاجة الماسة وحماسا لدراسة هذه التكنولوجيا وتخريج الكوادر العلمية والهندسية والتكنولوجية فالتكنولوجية المستوردة الجاهزة غالية جدا تتطلب أيادى عاملة أجنبية بمرتبات عالية وتدهور الآلات يلزم المصانع باستيراد قطع الغيار وترتفع أثمان قطع الغيار ارتفاعا باهظا،مثلا انشاء مصانع تجميع السيارات

---

(١) مجلة الدعوة يصدرها المركز الثقافى الاسلامى فى النمسا ـ العدد ٧٤ السنة

لايدخل البلد التى تتقوم به فى ميدان صنع التكنولوجيا لأن كل مسمار فى المعدات سيكون مستوردا .

الاعلام الاسلامى هو الذى يبصرنا بضرورة رفع مستوى عقولنا لنختار التكنولوجيا المناسبة لنا ولظروفنا ويبصرنا بضرورة نمو الكفاءات العلمية الوطنية واقامة مراكز الأبحاث فى بلادنا حتى لاتلعب بنا سماسرة الشركات الكبرى ووكلاء التكتلات الاحتكارية لتحصل هذه التكتلات على الارباح والنفوذ والسيطرة .

ان وجود الكوادر الادارية الوطنية للسهر على التقنيين الأجانب (١) لايكفى ان على العرب بذل الجهد لانتاج العامل الفنى والمهندس والمفكر وعالم الأبحاث وصاحب المشاريع والورش وارباب الصناعة وفوق كل هذا نحن فى حاجة الى الاعلام الاسلامى الذى يتحمس وينقد ويعرف مواطن القوة ويدعو لزيادتها ومغامز الضعف ويدعو لتلافيها ويكون عاملا هاما فى تعزيز القدرات الذاتية والتغيير الاجتماعى والتكامل الحضارى وارساء دعائم الثبات الخلقى وعليه تخرج بالتوصيات التالية :

١ - لابد من رفع قدرتنا على الانتاج والذى يحدد قدرة المجتمع على الانتاج هو العنصر البشرى .

(فالبرازيل (٢) مثلا من أغنى دول العالم فى مصادرها الطبيعية . وسويسرا من أفقر دول العالم فى المصادر الطبيعية ونجد أن حظ البرازيل من التقدم ضئيل لابد من رفع الكفاءات البشرية) .

٢ - تعزيز القيم الروحية .

ان أول خطوة فى ارساء دعائم الاسلام هو رفع منسوب الايمان فى القلوب واذا امتلأ القلب بالايمان فان المسلم يسير على هدى الله بوازع من نفسه وتعزيز الايمان فى القلوب مسئولية التربية ووسائل الاعلام .

٣ - الساحة السياسية .

الساحة السياسية لاتترك لاعدائنا بل لابد من تقص لكل مايذاع عنا من المحطات التلفزيونية والاذاعية ولكل مايكتب عنا فى صحفهم وفى كتبهم وتصحيح معلوماتهم وعندنا المال لمن يريد التصحيح بالثمن .

---

(١) سمير عبده - العرب والتكنولوجيا - ص ٣٢ - الطبعة الاولى - ١٩٨١م - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

(٢) د. على بن طلال الجهنى - ص ٢٥ - الطبعة الأولى - سنة ١٩٨٠م - الكتاب

٤ ـ التخطيـــط الاعلامــــى

لابد من التخطيط الاعلامى السياسى العربى بمعاونة علماء القانون والاجتماع وعلم النفس ودهاقنة السياسة ودهاة الديبلوماسية ونرسم خطا واحـــــدا نتفق عليه ونواجه العالم به بشرط أن تكون الخطة الاعلامية السياســـية نابعة من اقتناع الجبهة العريضـــة لشعوبنا •

٥ ـ الرأى العام العالمــى

فى العالم الآن توجد صفـوة مثقفة تدافع عن حقوق الانسان فى كل دولـــــة وليس من السهل خداعها بوسائل الاعلام المغرضـه ، فعلى العالم العربـــى الاتصال بهذه الصفوة المثقفة لنكسب تأييدها وليس هذا التأييد لاشوبـــه به بل له قوة وفاعلية ولقد اقترح الفيلسوف الانجليزى الراحل (برتراند رسل) محاكمة الرئيس الامريكى لندن جونسون عندما شن الغارات علـــــى فيتنام الشمالية كمجرم حرب قليل الشعور بالوشائج الانسانية وتم بالفعـل تشكيل محكمة فى باريس لمحاكمته على النحو الذى تم فى محاكمات نورمبرج وماكادت المحكمة تعقد أولى جلساتها حتى اوقف لندن جونسون شن الغـــارات الجوية على فيتنام الشمالية ووعد بسحب قسم كبير من القوات الامريكيــــة المرابطة فى فيتنام الجنوبية (١) •

ان الرأى العالمى له تأثير هائل والمنظمات الدولية تخفف الضغـــوط السياسية والعسكرية وتشجع الساسة على اعتناق الأفكار الانسانية والتـــــزام الثبات الخلقـى •

تم البحث بحمـد اللـه ،،،

أحمـــد علـــى قــــره

المحتويـــــــات

....